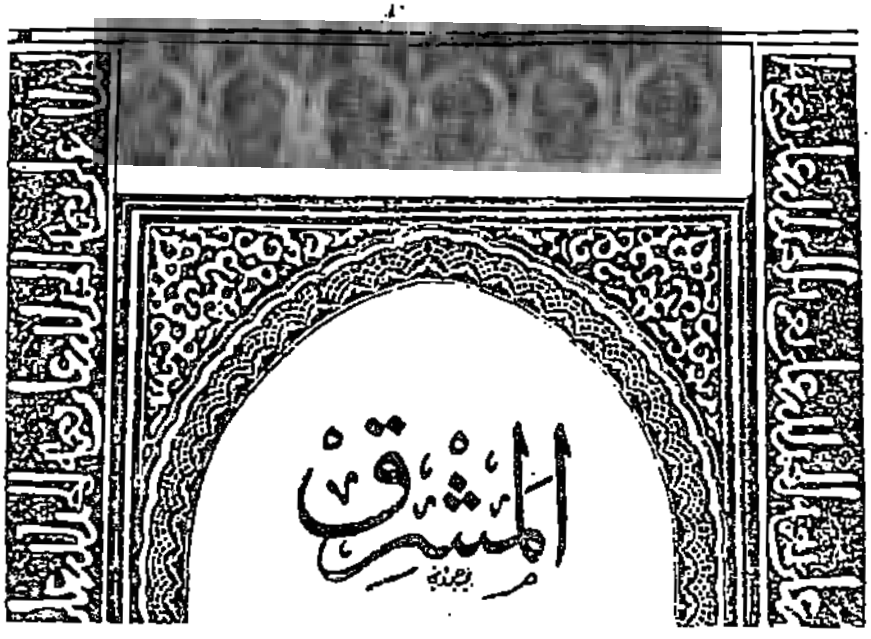

السنة السابعة والثلاثون — تيسان — حزيران ١٩٣٩

كنز جديد

من مجوهرات قديمة

بقلم الامير موريس شهاب

امين دار الآثار اللبنانية

من الاقوال الجارية مجرى المثل ان التاريخ يعيد نفسه . ولا شك ان في هذا القول بعض الحقيقة . فلو اجلنا النظر في تاريخ العالم المتتابع لرأينا ان شكل الهيئة الاجتماعية على مدّ وجزر متواليين : تقوى السلطة الحاكمة فتنحصر في افراد قلائل ، او في فردٍ مستبدّ ، يرهق الشعب الساكن فيتحمّله صاغرًا منتظرًا . حتى يرى اقلّ صدع في مظاهر السلطة ، فيقوم عليها ثائرًا منصاعاً لارباب الشغب . اما هؤلاء فلا يكادون ينعمون بانتصار ثورتهم حتى يدبّ الخلاف بينهم ، واذا بهم بعد الاتحاد يتقاتلون ،

وتكون البليـة على الشعب المسكـين ، فيستسلم الى اول من يتسلّم قيادته .

هذا ما حلّ بمصر في اواخر الالف الثالث قبل المسيح . فبعـد ان كان للفراعنة سلطة مطلقة على شعبهم ، قام بعض النبلاء يسعون للتحرر من هذه السلطة الشديدة الوطأة عليهم ؛ وقد نجحوا في الاستقلال شيئاً فشيئاً ، مستبدّين بالاحكام ، متقلّدين المراسيم الفرعونية . ولكن لم يلبث الشعب ان شعر بثقل ظلّهم وقد اصبح عليه ان يرضي جشع رؤساء عديدين ، بدل رئيس واحد . فثار عليهم ، وجرّت الثورة نكبات وبلايا تركت في قلوب المصريين ذكريات فاجعة ردّدوا صداها في مراثٍ ومناحات سبقوا بها مراثي ارميا ، فصوّروا مشاهد أليمة من ذاك الانقلاب ، منها ان الخادمة اصبحت لا تطيق تأنيب سيّدتها وهي التي كانت تقف مرتعشةً امامها . هذا اذا لم تستولِ على ملك سيدتها فتوقفها امامها صاغرةً ، وتتوسّد فراشها ، تداعب بيدها شعرها المسترسل ، وتحمل باليد الاخرى مرآة من الفضة امام وجه لم ينعكس من قبل الا على صفحة الماء الجاري . وبعد ان كان الصعلوك الاقرع يهرب خجلًا من الناس لفرط اشمئزازهم منه ، اذا بـه يتبختر متايلًا ، ناشرًا حوله في الفضاء روائح الطيوب الزكية التي انتهبها من بيوت الاغنياء .

وكان من نتائج هذه الثورة ان عمّت الفوضى البلاد . فـنُزعت ملفّات القوانين من المعابد ونُثرت في الشوارع تحت اقدام الجمهور يدوسونها غير مبالين . وسطا الرعاع على افراد الشعب . فانقطع الزارع عن العمل في حقله . وما الفائدة من الزرع وقطّاع السبل ينتظرون الحصاد ، فاذا رأوا الفـلّاح يعود من حقله سالمًا حماره ، هجموا عليه فتكوا به وسرقوا الحمار والحمل .

ومن الطبيعي ان تفقد مصر سلطتها الخارجية فتتحرّر البلاد التي كانت خاضعة لها وتستقلّ بادارتها . كما فقدت هيبتها الداخلية ، فتدفقت عليها جموع البدو فتوغلوا في انحائها الشمالية ، مكتسحين البلاد ولا من يردعهم . ولم يبقَ لمصر العظيمة مراكب تقصد البلاد الغنيّة لتعود بالاخشاب الطيّبة والاصماغ

التي تحتط بها الموتى...

سادت هذه الفوضى سنين عديدة تحملت منها مصر الويلات . حتى قامت في طيبة ، عاصمة الجنوب ، اسرة شديدة العزم جعلت نصب عينيها اعادة النظام الى البلاد . فوفقت في مسعاها مشبعة سياسة حكيمة انقذت المصريين من مخالب الجوع والاضطراب . وحصرت هذه الاسرة همتها ، اول الامر ، في الدفاع عن مصر تجاه الغارات البدوية والنوبية . ولذلك فانها احتلت نوبية جنوباً ونشرت سلطتها على الصحاري الشرقية حتى جنوبي فلسطين. ثم عملت على اعادة صلاتها بالبلدان المجاورة . فارسل ملوكها الهبات الملكية الى ملوك فنيقية فتوثقت العلاقات بين البلدين.

وكان هذا العهد من افضل العهود في فنيقية. فازدهرت مدنيتها وساد الرخاء. وذاع صيت معابد جبيل. فاخذت الوفود تؤمها ، والهدايا والنذور تتدفق عليها. وقد قيض لنا ان وجدنا معظم هذه الهدايا من فؤوس ذهبية وخناجر وتماثيل برونزية مموهت بالذهب.

وكان ملوك فنيقية ، اذ ذاك ، ولا سيما أبي شمو وابشموأبي ، يتمثلون بالفراعنة ، فيدفنون في قبورهم الحلي المرصعة بالحجارة الكريمة ، والآنية الثمينة. وقد وقفنا في جبيل على احد عشر مدفناً لعبت بها ايدي الناهبين ، فلم يسلم منها سوى ثلاثة . ولا شك ان في غير جبيل من المدن الفنيقية مدافن شبيهة بها ، تحتوي الكنوز النفيسة من امثال هذا الكنز الذي سنكشف عن محتوياته لقراء « المشرق » ، بعد ان نمهد بكلمة عن طريقة حصولنا عليه.

في السنة ١٩٢٥ وصل الى القدس رجل من بلادنا يحمل كنزاً ثميناً من المصوغات والمجوهرات القديمة . فباعه سراً لاحد تجار الآثار في القدس . ولم يلبث الكنز ان أرسل الى اميركة على اسم المعهد الشرقي في شيكاغو . واذا بالحكومة الفلسطينية تعرف بالامر فتفاوض المعهد الاميركي ، وتستعيد الكنز . ولما كان بيننا وبين فلسطين اتفاق سابق بشأن الآثار القديمة ، فاوضنا بدورنا رئيس مصلحة الآثار الفلسطينية ، المستر ريشموند ، بشأن هذه التحف. وعندما تأكد له مصدرها اللبناني ساعدنا على الحصول عليها ، والعودة بها الى بلادنا ،

فدخلت متحفنا سنة ١٩٣٠[1].

ولا نفيض في ذكر اهمية هذه التحف ، فوصفها وحده كفيل بالدلالة على ذلك . وهي ، وان لم تعادل مكتشفات تمفيس ودهشور ، تظهر من اثمن وانفس ما تركه لنا فنّ الصياغة القديمة . ولا تزال محفوظةً في حالةٍ صالحة رغم انتقالها من يدٍ الى يدٍ وتشتتها من بلد الى بلد ، حتى ليعجب الانسان كيف لم تتبدّد وتتفرّق شأن الكثير من امثالها .

اما عدد هذه القطع فسبع وستون نصفها موجزين في ما يلي :

١ ـ قلادة باسم الفرعون أمِنِمْحَت الثالث ، من الذهب الخالص ، مفرغة ومطعّمة بالحجارة الكريمة الملوّنة . مستطيلة الشكل يبلغ عرضها في اعلاها ٢٨ ميلمترًا ، وفي اسفلها ٢١ ميلمترًا ، ويبلغ ارتفاعها ٥٣ ميلمترًا (الرسم ١) .

يمثّل إطار القلادة مدخل معبد مع إفريزه . اما المحفورات من مشاهد واشخاص ، في داخله ، فأعيدت مرّتين على طريق التقابل بالنسبة الى محور القلادة ، ما عدا تلك التي مُثّلت على المحور نفسه .

يرى الناظر الى القلادة ، في اسفل المشهد ، الطفل هوروس واقفاً عارياً ، وعلى جبهته الافعى المقدسة ، وقد تدلى شعره في ضفيرةٍ ملتفّة من الوراء ، وتقدّم يداعب بيده ذقن البقرة حاطور . وتحت البقرة ظهر الفرعون جاثياً على ركبتيه يمتصّ ضرعها . والبقرة مزدانة بمناطق ، حاملة عقدًا في عنقها . وعلى ظهرها خاتم أمِنِمْحَت الثالث . وفوق هذا تظهر حية مقاوِجة الجسم ، وفوقها العين « أوجا » تحيطان بالقرص الشمسي الذي يعلوه قرنا أمون وريشه . وحول القرص عدد من الاقاعي وشارات الحياة . وهناك كثير من الشارات والعلامات لا غاية منها الا ملء الفراغ ، وتمديد طرق الوقاية متوازنةً في هذا الاثر المتّصف بشيء من الضخامة شأن الكثير من آثار الفنّ المصري . وكل هذه الشارات تولي القلادة اكثر ما يمكن من القوة السحرية . من ذلك مثلّث التقدمة البارز بين قائمتي البقرة

يسرّنا ، بهذه المناسبة ، تدوين شكرنا للمستر ريشموند المذكور ، ولحضرة الكونت دومال ، قنصل فرنسة العام في القدس ، لما ابدياه من الغيرة والاهتمام بشأن استرجاع هذه التحف .

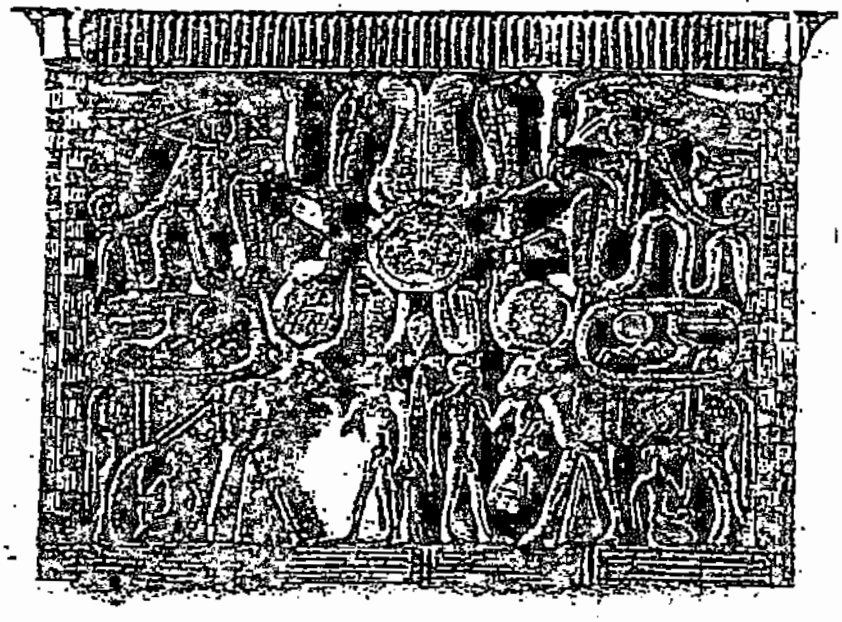

الرسم ١

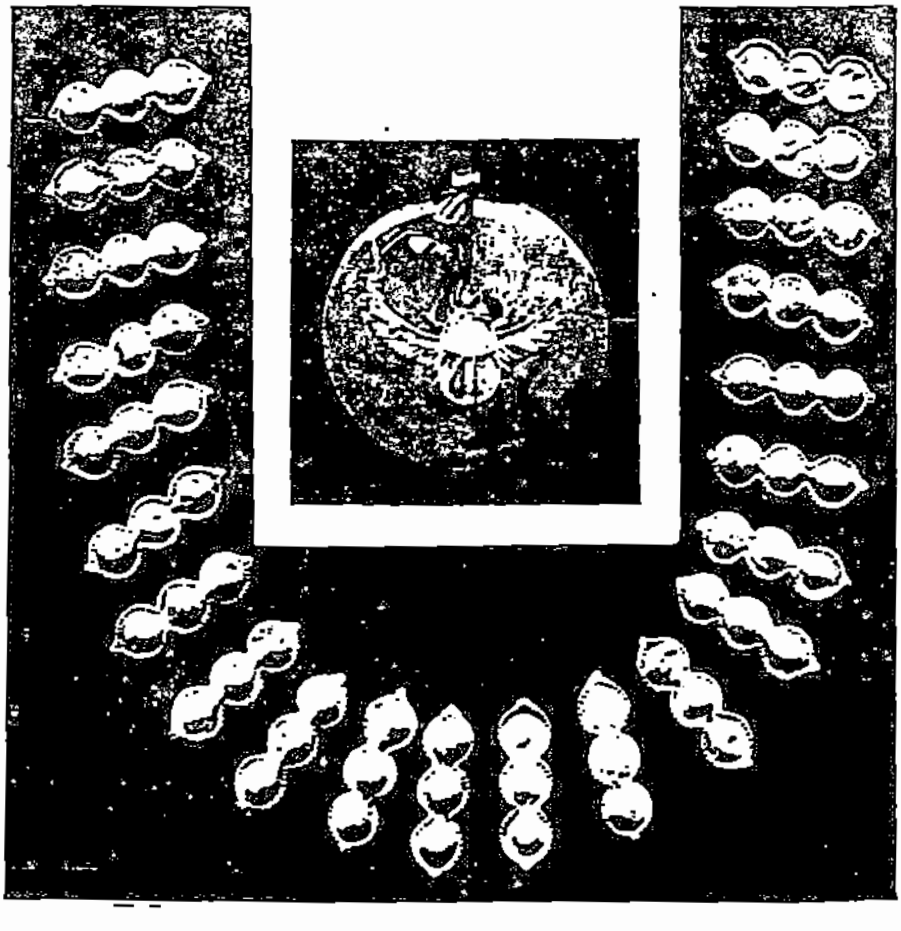

الرسمان ٢ و ٣

٣ ــ ٢٢ قطعة صغيرة متماثلة كانت تؤلف عقداً من الذهب . صُنعت كل واحدة من ورقة ذهبية مستطيلة مخصورة مرتين فألفت ثلاثة اقسام مستديرة . وقد دار بها إطار نافر محبّب . وفي قفا كل قطعة ورقة ذهبية ملصقة وفيها اربعة خروق لمرور خيوط الكتّان او اسلاك المعدن التي كانت تجمع بينها فتؤلف العقد . يبلغ طول كل قطعة ٣٤ ميلمترًا ، وسماكتها ١١ ميلمترًا ، ووزنها غراماً واحداً ونصف الغرام. (الرسم ٣)

٤ ــ خلخال ذهبي مؤلّف من انبوب اعرض في وسطه منه في طرفيه تكوّنه ورقة ذهبية ملفوفة. ويزين كلًا من الطرفين مجموعة مثلثة من الخطوط المستديرة تنتهي بدائرة ذهبية . يبلغ قطره الاوسع ١٢٨ ميلمترًا ووزنه ٧١ غراماً. (الرسم ٤)

٥ ــ ٨ ــ اربعة اساور ذهبية ، من صياغة الخلخال السابق الذكر. الا انها تختلف عنه بان انابيبها تميل قليلًا الى التسطّح ، وبان اطرافها لا يزينها الا مجموعتان من الخطوط لا ثلاث . يبلغ القطر الاوسع في كل منها ٦٢ ميلمترًا ، ووزن كل منها ١٧,٥ غراماً. (الرسم ٥)

٩ ــ ثماني وثلاثون صفيحة متماثلة من الذهب ، منطّاة في احدى جهتيها بثلاثين صفًا من الحبوب الملتصقة في كل صف اربع حبّات . يقابله خرق للجمع بينها جميعاً . تبلغ مساحة كل صفيحة ٠,٧×٤ ميلمترًا وسماكتها ٠,١٥ ميلمترًا ، وتزن ٣ غرامات

١٠ ــ ١٢ ــ ثلاثة ازواج من المفاصل الذهبية مؤلفة كل واحد من صفيحتين وفي جنب احدى الصفيحتين خط داخلي محفور يدخل فيه ، على طريقة المفصلات ، ثلاثة مقاطع بارزة في جنب الصفيحة المقابلة . وفي هذه الصفائح المقابلة ثلاثون خرقاً توافق الخروق المذكورة في الصفائح السابقة . يبلغ طول الصفيحة ٤ ميلمترات ، وعرضها ٠,٣ ميلمترًا ، وسماكتها ٠,٢ ميلمترًا . وتزن ٤ غرامات تقريباً.

وقد امكنت هذه الصفائح الموصوفة في الرقم ٩ ، والمفاصل الموصوفة اعلاه

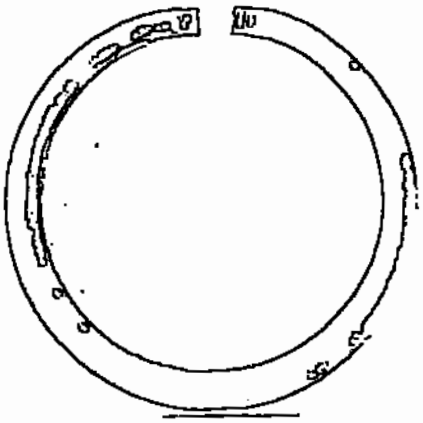

الرسم ٤

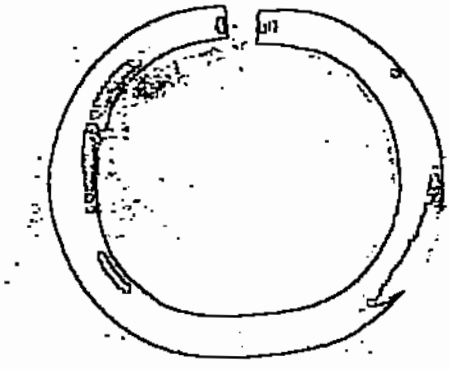

الرسم ٥

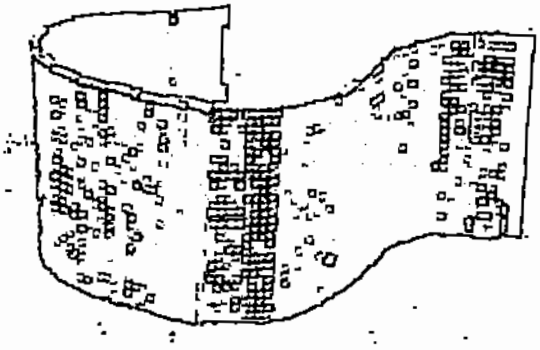

الرسم ٦

من تأليف سوار جميل (الرسم ٦) يشبه السوار المكتشف في دهشور.[1] ويلاحظ ان احد المفاصل يماثل تماماً المفصل رقم ٥٢٠١٩ الموجود في متحف القاهرة حتى في عدد الخروق البالغ ٣٠ خرقاً. اما الحبوب فهي في هذه الصفائح ادقّ منها في سوار دهشور ، تظهر متتابعة دون فاصل . وكانت اقسام السوار تُجمع بعضها الى بعض بواسطة ثلاثين سلكاً تخترق جميعها الصفائح المعنية وتستند متعلّقة بالمفاصل . فيتكوّن من ذلك سوار وافر اللين والمرونة دقيق الصنعة.

١٣ ــ زهرة مستديرة بديعة الصنع ، تؤلفها ورقة ذهبية رقيقة جدًّا على شكل دائرة مضلّعة ذات وسط مستدير وقد تحدّب وسطها وكل من اضلاعها، وفُصلت بسطور بارزة مخطّطة عرضاً . وفي وسط قفاها تعليقة مستديرة . يبلغ قطر الزهرة ٨٦ ميلمترًا ووزنها ١٤ غراماً . (الرسم ٧)

١٤—١٧ ــ اربعة اقراط من الذهب ، يتألف كل زوج من انبوبين مُفرغين ، مزدوجين ، تكوّنها ورقة واحدة ملفوفة ، ويُختم كل طرف بدائرة ذهبية . ويتصل باحد الطرفين قطعة قصيرة كان من شأنها ان تدخل في خرق الاذن . يبلغ قطر القرط ٣١ ميلمترًا ، ووزنه ٩ غرامات ونصف الغرام . (الرسم ٨)

١٨ ــ قرط ذهبي صغير مؤلف من انبوب مفرغ غير مقفول . في طرفه المسطّح المستدق سلك يُلفّ على الطرف المقابل . وعلى الناحية الخارجية منه خطّ مخبّب . ويبلغ وزنه غرامين.

١٩ ــ خاتم على شكل الهلال ، يلتقي طرفاه على فصّ بشكل جعل من الجمشت الأكدر . وفي اسفل الجعل أُلصقت ورقة ذهبية حُفر فيها حروف هيروغليفية . طول الخاتم ٢٢ ميلمترًا . (الرسم ٩)

---

(١) De Morgan, *Fouilles à Dahchour*, 1894, pl. XVII et p. 66, n° 18 ; 1894-1895. p. 52, n° 8. Cf. Vernier, *Bijoux et orfèvrerie*. n° 52019, fig. 19 et n°s 52019 bis, 52028, 52032 et 52051.

وقد وُجد خاتم يماثل هذا الّا انه اكبر في حفريّات جبيل ، في المدفن الأول.[1]

٢٠ ــ اسطوانة من اللازورد مُركّبة في خاتم ذهبي غير مقفل ، تدخل في محور الاسطوانة بواسطة طرفين محدّدتين. وقد زيّن طرفا الخاتم باشكال خيوط ملتفّة مستديرة حتى تتصل بطرفي الاسطوانة الملبّسة بالذهب، المزدانة بنقش مثلّث الازدواج ، يؤلف ست مناطق في الاولى منها تنينان رابضان الواحد وراء الآخر وقد ضمّا جناحيهما ورفعا ذنبيهما معقوفين في الهواء . وفي الثانية رسمان متقابلان لابي الهول . وفي الثالثة ارنبان برّيان . ويلي كل منطقة من هذه الثلاث منطقة فيها رسم مماثل على شكل الضفيرة. يبلغ طول الاسطوانة ٢٦ ميلمترًا. (الرسم ١٠)

٢١ ــ عصابة من الذهب مخرّمة يظهر فيها ثلاثة خطوط على شكل فلوس السمك . وكانت الميناء ترصّع جميع خلاياها . اما الآن فلم يبقَ منها الّا في خليّة واحدة . يبلغ طولها ٢٩ سنتيمترًا ، وعرضها ٢٨ ميلمترًا . (الرسم ١١)

٢٢–٢٣ ــ عصابتان من الذهب مزخرفتان على شكل جلد الحيّة . يبلغ طول الاولى ٥٨ سنتيمترًا وعرضها ٥٧ ميلمترًا ، وطول الثانية ٥٧ سنتيمترًا وعرضها ٥٥ ميلمترًا . (الرسم ١٢)

٢٤ ــ عصابة من الذهب مرنة . في كل من طرفيها تعليقة من سلك ذهبي استدار طرفاها على دوائر متعدّدة لتزيد مساحة الالتحام.[2] يبلغ طول العصابة ٥٣٥ ميلمترًا وعرضها ٣ ميلمترات ، ووزنها ٣٣ غراماً . (الرسم ١٣)

٢٥ ــ دبّوس من ذهب ، رأسه كروي بارز التضليع . ازدان القسم الاعلى من الدبوس بخطوط مستديرة ، نافرة ، متقاربة. وفي اسفل القسم المخطّط ضلع أوفر بروزًا تدخل فيه حلقة صغيرة . يبلغ طول الدبوس ١٣ سنتيمترًا ، ووزنه ٢٥ غراماً . (الرسم ١٤)

٢٦ ــ دبّوس يماثل الاول . الّا ان اضلاعه اقل تقارباً وهي منتهية في الأسفل باسنان محدّدة . وقد لفّ طرفي الحلقة الداخلة في اسفل القسم المضلّع

١) Montet, *Byblos et l'Égypte*, pl. XCVI

٢) كسرت احدى التليفتين ولم يبقَ منها الّا الدوائر ، كما يظهر في الرسم .

الرسم ٧

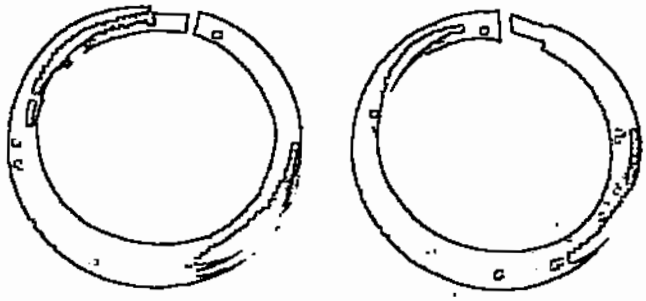

الرسم ٨

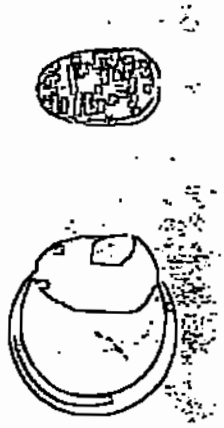

الرسم ٩

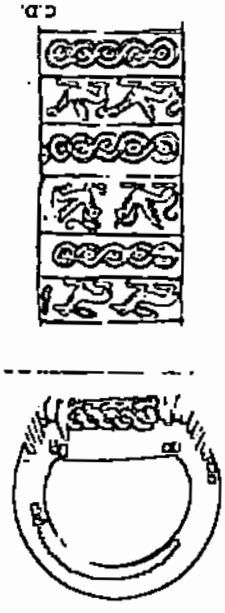

الرسم ١٠

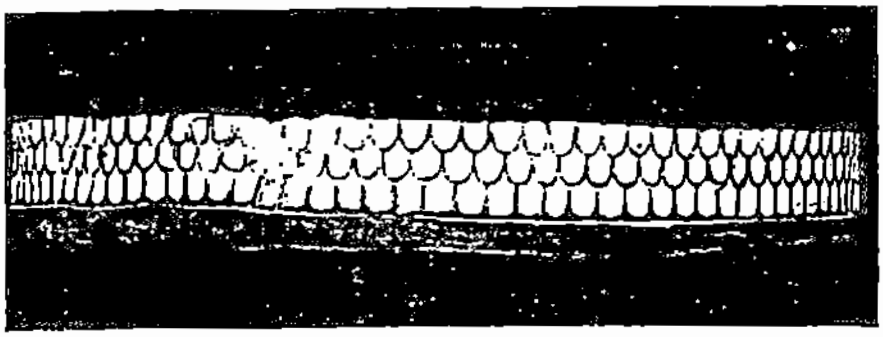

الرسم ١١

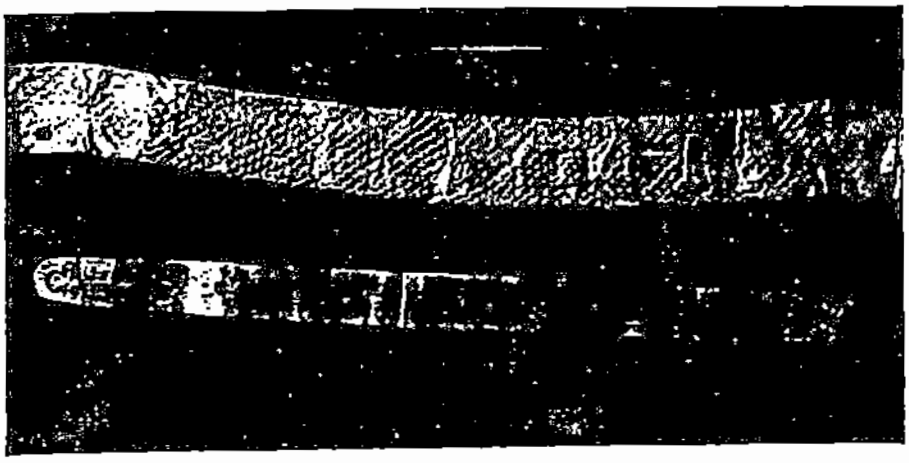

الرسمان ١٢ و ١٣

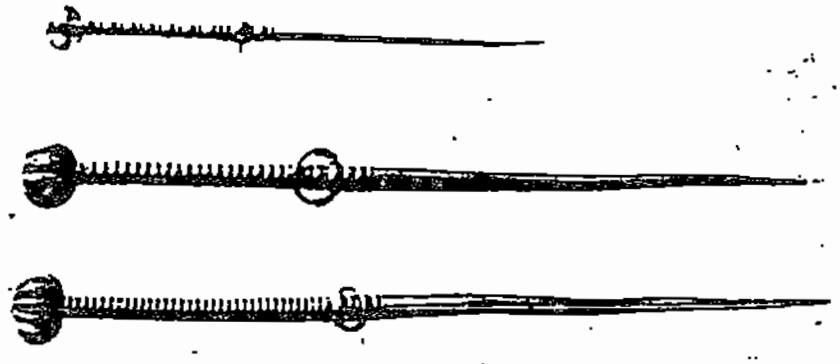

الرسوم ١٤ و ١٥ و ١٦

سلك ذهبي ملفوف . طول الـدبوس ١٢٥ ميلمترًا ، ووزنه ١٧ غراماً . (الرسم ١٥)

٢٧ ــ دبّوس ثالث . رأسه من الجمشت الأملس . وقد ازدان القسم الاعلى باضلاع متضخمة يفصل بينها فواصل رقيقة محدّدة ، منها واحدة كبيرة تقوّي مدخل الحلقة في آخر القسم المضلّع . اما هذه الحلقة فمفقودة . طول هذا الدبوس ٨ سنتيمترات ووزنه ٥ غرامات . (الرسم ١٦)

وهذا النوع من الدبابيس وافر الانتشار في عهد البرونز الثاني . وقد وجد مثله في مستوى راس شمرا الثاني .[1]

٢٨ ــ رأس حاطور منقوش في ورقة رقيقة من الذهب . طوله ٣ سنتيمترات (الرسم ١٧) ومن الراجح انه كان مُلصقاً على إناء او ماعون . وقد وجد عدد من نوعه ، انما بحجم اصغر ، في دهشور[2] ، وفي جبيل في مجموعة تتقادم ترقى الى اواخر الدولة الثانية عشرة .

٢٩–٣٢ ــ اربعة اظلاف بقرية ، على الراجح . توّلف كل منها من ورقة ذهبية . في اسفلها قسم نافر . وقد دُلّ على وسطها بحفرة صغيرة . وفي مؤخرها خرق يدلّ على امكان وضعها على قاعدة خشبية هي في الارجح قاعدة قطعة من رياش البيت . طول الظلف ٥ سنتيمترات وعرضه ٤٥ ميلمترًا ، وارتفاعه ٢٣ ميلمترًا ، ووزنه ٧ غرامات . (الرسم ١٨)

٣٣ ــ اناء متضخم الوسط مصنوع من ورقة ذهبية سمكها ميلمتر واحد . يقتطع وسطه على زاوية حادّة ، واعلاها محدّب قليلًا . فمه مشع قصير ، وكذلك اسفله . علوه ٩ سنتيمترات ، ووزنه ١٦١ غراماً . (الرسم ١٩)

٣٤ ــ اناء من ذهب محدّب الأسفل ، مقعّر الجهات قليلًا ، قويّ الالتحام . له مكتان مستديرتان عموديّتان ، اتسع طرفا كلّ منها وانقسم ليلتحم قوياً بطرف الاناء . طول الإناء ٦ سنتيمترات ، قطره ١٠ سنتيمترات ، ووزنه ١٤٣ غراماً . (الرسم ٢٠)

١) راجع *Syria*, XIII (1932) pl. XIII, fig. 3

٢) راجع De Morgan, *op. cit.*, pl. XXIV, n° 25

هيئة هذا الاناء لا تختلف في شيء عن هيئة الدست النحاسي المعروف في لبنان ، وفي بعض المناطق السورية . وهذان الاناءان هبة محل ثيستر وشركاه

٣٥ ــ اناء من حجر الشطوط مثمل البطن في اعلاه بعنق طويل متسع الفم . له مسكة واسعة مستدقة يزينها ثلاثة خطوط مستطيلة ، وهي متعلقة بمنتصف البطن الأعلى ، وبقرب فم الاناء ، وتؤلف في اعلاها كوعاً غير رشيق المنظر . ويقابلها مخرج (زمولة) منحرف يربطه بعنق الإناء عروة مستديرة . يبلغ طول الإناء ١٢ سنتيمتراً . (الرسم ٢١)

استعير شكل هذا الاناء من اناء معدني . ويلتحق شكل مسكته بمسكات الآنية الفضية المكتشفة في جبيل في المدفن الأول والمدفن الثاني[1] ، وكلاهما معاصران لعهد أمِنِمْحَت الثالث وأمِنِمْحَت الرابع .

٣٦ ــ ابريق من الخزف الأزرق مزين بالدوائر الذهبية . مرتفع البطن ، مستدير الأعلى ، قصير العنق ، مسطح اعلاه . عروته مسطحة كذلك . يستدير به ثلاث عصابات ذهبية عُلقت الوسطى منها بعروة صغيرة . وله ايضاً اربع عصائب من الذهب تلفه عمودياً متصلة بالعصائب الافقية على مسافات متوازية . واعلى الفم مغشى بورقة من الذهب . علو الابريق ١٤ سنتيمتراً . (الرسم ٢٢)

٣٧ ــ إناء من حجر الشطوط ، بيضوي الشكل ، مرتفع العنق يزينها خطوط عميقة مستديرة . وقد تآكل جسم الإناء في بعض المواضع . يبلغ علوه ١٣٥ ميلمتراً وقطره الأوسع ٨ سنتيمترات . (الرسم ٢٣)

٣٨ ــ إناء مماثل للاناء السابق الوصف . ازدان وسطه بخطوط ألفت اوراقاً مستطيلة . يبلغ علوه ١٣٤ ميلمتراً ، وقطره الأوسع ٧ سنتيمترات . (الرسم ٢٤)

٣٩ ــ إناء مماثل للسابق الا انه بدون عنق . علوه ١٢٥ ميلمتراً ، وقطره الأوسع ٨٥ ميلمتراً . (الرسم ٢٥)

---

١) راجع Montet, *op. cit.*, pl. CXI et CXII.

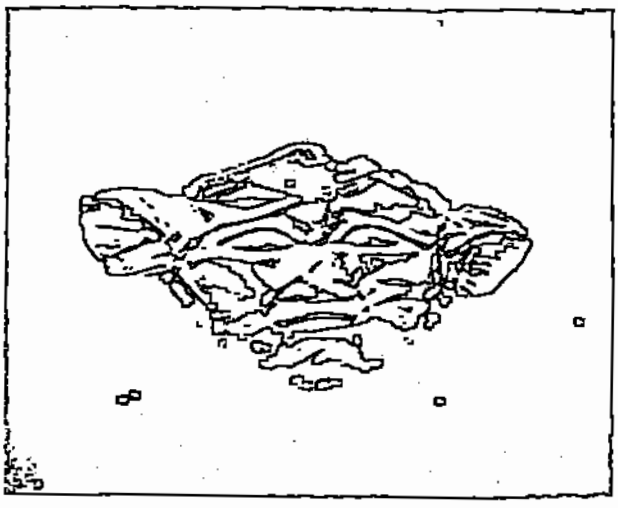

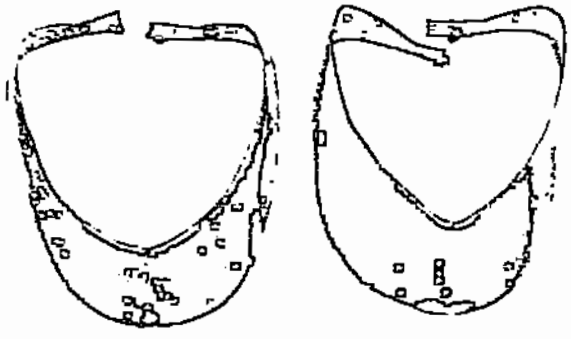

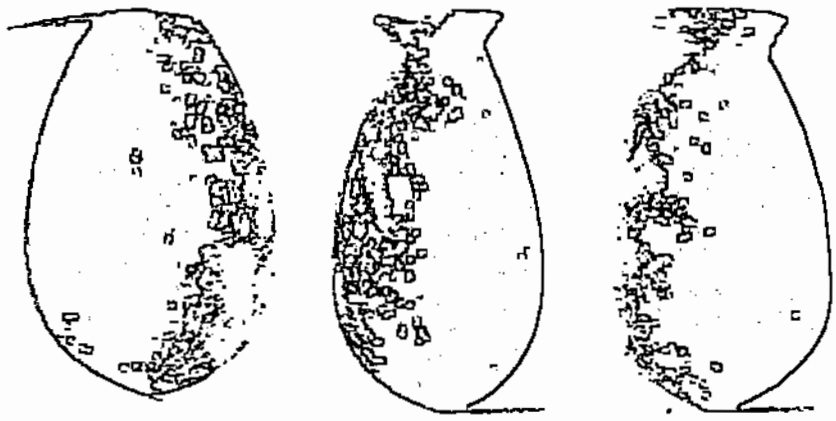

رسوم ٢٣ و٢٤ و٢٥

رسم ٢٦

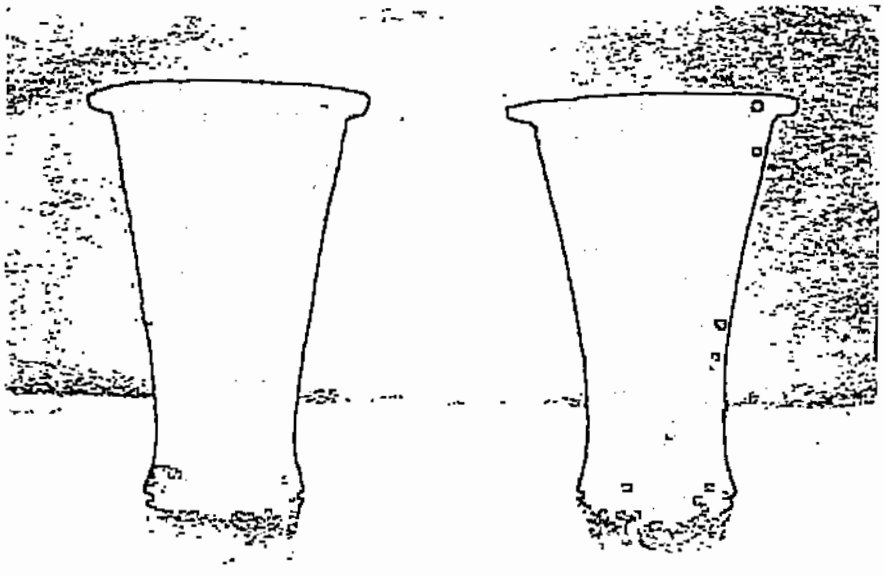

الرسم ٢٧

الرسم ٢٨

٤٠ ــ إناء صغير من حجر الدم مسطّح الأسفل والعنق ، وافر السماكة . يبلغ علوه ٣٨ ميلمترًا . (الرسم ٢٦)

٤١–٤٢ ــ اناءان للطيوب البلسمية من الحجر الرمادي ، مسطّحا الاعلى . طول الاول منهما ٦٥ ميلمترًا ، والثاني ٨٥ ميلمترًا . (الرسم ٢٧)

٤٣ ــ قطعة اسطوانية الشكل من الذهب المفرغ ، متسعة الطرفين . يظهر احدهما مستطيلاً سيكاً ، والثاني مستقًا فيه ستة خروق يتعلق بها ما يوضع فوق هذه القطعة . وقد ازدانت بخطوط تؤلّف مناطق بعضها مسطّح وبعضها محدّب . ويبلغ علوّها ٣٢ ميلمترًا ، ووزنها ٥ غرامات .

٤٤–٤٦ ــ ثلاث دوائر من الذهب مخرّمة في اطرافها . وزنها نصف غرام .

٤٧–٥٢ ــ حلي على شكل اللؤلؤة من الذهب . طوله ٦ ميلمترات ووزنه ربع الغرام . ٥ مخروطات من الذهب المفرغ . وزنها نصف غرام

٥٣–٥٦ ــ اربع اوراق مخططة من الذهب . وزنها نصف غرام .

٥٧–٥٩ ــ ثلاثة قضبان صغيرة مستديرة من الفضة تغطّيها ورقة مخططة من الذهب . طول كل منها ٤٥ ميلمترًا ، ووزنه اربع غرامات .

٦٠ ــ بعض اوراق مستطيلة من الذهب . طولها ١٥ سنتيمترًا ، وعرضها سنتيمتران ، ووزنها ٩٣ غراماً .

٦١ ــ قطع من الخزف المبيّض عليها غشاء من الميناء الزرقاء .

وقد وُجد كثير مثلها في مدافن جبيل الملكية .[1]

٦٢ ــ نصل من البرونز متآكل كثيرًا ، مسطح الاعلى وليس فيه الّا خرق واحد طوله ١٩ سنتيمترًا ، وعرضه الاوسع ٧ سنتيمترات ، سماكته ميلمتران .

٦٣ ــ سراج من البرونز على شكل كوب مضغوط العنق . قطره ١٣٥ ميلمترًا ، وعلوه ٣٥ ميلمترًا . (الرسم ٢٨)

٦٤ ــ بيضة نعامة مخروقة في اعلاها .

(١ Montet, *op. cit.*, N° 726 te 830.

٦٥ ــ وزن ، او مدقة على شكل مخروط ، محدّبة الاسفل ، مستدقة الطرف. علوّها ٤٧ ميلمترًا ، قطرها الأسفل ٤ سنتيمترات ، وزنها ١٢٢ غراماً.

٦٦–٦٧ ــ هاونان من حجر البازالت . لكل منها ثلاث قوائم . يبلغ قطر الواحد ٢٥ سنتيمترًا وعلوّه ٧٧ ميلمترًا. وقطر الثاني ١٦٥ ميلمترًا وعلوّه ٦٨ ميلمترًا.

اذا استثنينا القطع الموصوفة تحت الارقام ٦٥ و٦٦ و٦٧ ، وقد أدخلها في المجموعة البائعون احتياطاً ، على ما يظهر، رأينا ان كلّ الحلى الموصوفة تكوّن مجموعة متناسقة وُجدت كلّها معاً في اكتشاف واحد ، على الأرجح . وانها بانواعها وجنسها واجتماعها تذكرنا بالكنوز النفيسة المكتشفة في دهشور ، وكذلك بالحلى التي اكتشفها الاستاذ مونتيه في المدافن الملكية في جبيل. وهو ما يحملنا على القول انها مستخرجة من احد المدافن ، من مدفن مهمّ ، من مدفن ملك او احد افراد العائلة المالكة.

واننا نرى فيها الأثاث المدفني العادي المعروف :

١ ــ حلى الميت : الحلي الصدري ، والعقود ، والاساور ، والعصائب ، والاقراط ، والخاتم.

٢ ــ الاواني المدفنية : آنية الطيوب البلسمية ، وآنية الذهب ، وحجر الدم ، وحجر الشطوط .

٣ ــ زخارف التابوت : اوراق الذهب ، واغطية الحُرَف التي لم يتمهّل سارقو القبر لجمعها كلّها.

ونحن نعرف عهد هذه القطع الريشية المدفنية بفضل القلادة الصدرية المحفور عليها اسم الفرعون أمِنِمْحَت الثالث ، وقد حكم من السنة ١٨٤٩ الى السنة ١٨٠١ ق.م. وفقاً للتاريخ المجمع عليه اليوم . وان التشابه الذي نتحققه بين هذه الحلى وما اكتُشف في قبور اميرات دهشور ، وفي مدافن جبيل الراقية الى عهد الدولة الثانية عشرة يعزّز وحدة الاكتشاف هذا ، ويؤيّد نسبته التاريخية

المذكورة . وليس في كل هذه المكتشفات قطعة ، او دليل فني يحول بيننا وبين تأييد التاريخ المذكور .

اما اصل هذه الآثار فان لنا في وادي النيل كثيرًا من الآثار المماثلة للحلى والآنية مماثلة لا يصحّ معها الشكّ في اصلها المصري . ويمكن القول ان حلي أمنمحت الثالث ، المماثل بإطاره وبقته المُثقَّل حلي الفرعون نفسه المكتشف في دهشور[1] ، صُنع ، دون شك ، في محلّات الصياغة التي كانت توّمن حاجات هذا الملك . وكذلك القول عن السوار المرن البديع الذي وصفناه في الارقام ٩—١٢ ، فانه خرج من محلّات الصاغة المصريين . وقد وُجد مثله في مكتشفات دهشور مركّباً من الاجزاء نفسها تقريباً . وفي فهرس المتحف المصري ذكر لتسعة عشر قرطاً تماثل الاقراط الموصوفة تحت الارقام ١٤—١٧ . خمسة منها مكتشفة في جورناه (دون تاريخ) ، وبعضها مكتشفة في رقّة ، من عهد الدولة الثامنة عشرة[2] او في بوباست ، من عهد الدولة التاسعة عشرة . اما اقراطنا فتقابل ، في وزنها ، اقراط جورناه ، وهي اثقل من اقراط بوباست . على ان هناك فروقاً في طريقة الصياغة . وذلك ان اقراط جورناه وبوباست يؤلّف كلّ واحد منها من اربعة انابيب مثلثة المقطع ، ويتكوّن الانبوب من ورقتين ذهبيّتين ملصقتين الواحدة من الداخل والثانية من الخارج . واقرب قرط في المتحف المصري الى اقراطنا هو القرط رقم ٥٢٣٩٢ . على انه ، لسوء الحظّ ، خالٍ من ذكر التاريخ والمصدر . وهو يظهر اثقل مما تقدّم . كل هذه الفروق في الصياغة قد تجيز لنا ان ننسب الاقراط الموجودة في متحفنا الى آثار الدولة الثانية عشرة ، وهي اقرب اليها منها الى آثار الامبراطورية المستحدثة .

اما القلادة ذات الجعل (الرقم ٢) فهي تماثل بشكلها حلي دهشور . ولكنها اقل رشاقة . وإن يكن في طريقة صنع قوائم الجعل ما يذكّر

---

١) راجع De Morgan, *Fouilles à Dahchour*. 1894. pl. XX, 2 et XXI.

٢) Engelbach, *Riqqeh and Memphis*, VI, p. 15 et pl. XI.

بحملان الامبراطورية المستحدثة[١] ولا سيما جعل حلي أوسرتسين الثاني[٢]، فان عدم الاتقان الظاهر في صنع زهرة اللوتس، وشكل عنقها المسطح مما يجعلنا نتردّد في نسبة الحلي الى المصانع المصرية.

وفي دهشور اكتُشف عدد من آنية حجر الشطوط[٣] مماثلة لآنيتنا في الارقام ٣٧-٣٩، ومثلها اكتُشف في هراجيه[٤]. وفي كلا المحلين وُجدت هذه الآنية مع آثار راقية الى عهد الدولة الثانية عشرة. وكذلك رأينا في مدافن جبيل الملكية من هذه الآنية الّا انها على القالب اكبر[٥]. اما الاناء المصنوع من حجر الدم فذو شكل عادي في مصر على عهد الامبراطورية الوسطى. وهو يوجد دائماً مع الآنية البلسمية، وكأنه جزء ضروري في زينة الميت. وله امثلة عديدة في لاهون[٦] ودهشور[٧] وغيرهما. وليس من شك في ان شكل الاناء الخزفي الأزرق مصري محض، وقد وجدناه غالباً في عهد الامبراطورية الوسطى، في هراجيه[٨]، ورقّة[٩]. وان تكن جبيل قد اعطتنا عدة آنية او تماثيل من هذا الخزف الأزرق، فليس لنا ما يدفع الى الشكّ في اصل الاناء المصري.

الى جنب هذه الآنية المصرية الاصل، يظهر عدد من الآثار مصنوع في بلادنا. من ذلك الخاتم وفصّه اللازوردي. فان اللازورد مادة غريبة عن مصر، ثم ان طريقة تزيينه كتشيل الضفائر، وابي الهول المجنّح، والأراتب

---

١) راجع H. R. Hall. *Catalogue of Egyptian Scarabs, etc., in the British Museum*, p. XXX-XXXII ; Percy E. Newberry, *Scarabs*, p. 70 et suiv.

٢) De Morgan, *op. cit.*, pl. XXI, 2.

٣) De Morgan, *op. cit.*, p. 74, fig. 21

٤) Engelbach, *Harageh*, pl. XVI

٥) Montet, *Byblos et l'Egypte*, pl. CXXII

٦) Brunton, *Lahun*, I, pl. IX et p. 36

٧) De Morgan, *op. cit.*, pl. XXV

٨) Engelbach, *op. cit.*, pl. XLVI, n° 13

٩) Engelbach, Riqqeh and Memphis, VI, pl. XII, 2

البرية ، كلها رسوم اذا جُمعت ، تظهر خاصة باسلوب النقش السوري - الاناضولي.[1] ومن الجدير بالاهتمام ان نتحقق هذه الطرق الزخرفية على ختم من آثار الدولة الثانية عشرة ، وذلك ان العلماء يميلون عادة الى جعلها في عصر متأخر ، عصر الأختام الراقية الى ما يسميه الدكتور كونتنو بالعهد الثاني.

لقد وجدنا دبابيس تشبه الدبابيس الموصوفة في الارقام ٢٤-٢٧ ، في المستوى الثاني من حفريات راس شمرا . ونرى منها كثيراً عند باعة الآثار القديمة في سورية . ويعرض هؤلاء ايضاً كثيراً من الحلقات تشبه الأساور في الارقام ٤ و٥-٨ ، يقولون انها مكتشفة في سلمية ، قرب حماه . وفي طالش من بلاد العجم ، يظهر ان الأساور غير المقفلة من الاشكال العادية في المصوغات[2] ، وقد استعملت مصر هذا الشكل في الأقراط خاصة . بيد ان العقد والاساور الموجودة في مجموعتنا ليس لها بالحلى المصرية الا شبه بعيد . وهي اقرب الى السوار الذهبي المكتشف في المدفن الثاني في جبيل[3] ، واقل قرباً الى الحلقات غير المقفلة المكتشفة في اساسات معبد جبيل الراقي الى عهد الدولة الثانية عشرة.

لا اعرف في المصوغات المصرية جميعها قلادة واحدة تشبه الزهرة الموصوفة في الرقم ١٣ ، على كون استعمال هذا النوع من الحلي ليس بالنادر. وقد ذكر السيد مونتيه[4] عدة حالات تكون فيها القلادة المستديرة ، على شكل وردة ، ويعلق في عنق الأشخاص او الحيوانات في الصور والرسوم المصرية. وقد استنتج انه كلما ظهرت هذه القلادة المستديرة ، كان لدينا اشخاص او كائنات إلهية غير مصرية ، او هناك شخص مصري لكنه يلبس اللباس الاسيوي. اما قلادتنا الوردية الشكل فيجب ان نقارب بينها وبين القلادة المستديرة العالقة بعنق ابي الهول الاسيوي في نقش من حرم رعمسيس الثالث . وكذلك

(١) انظر مثلاً : Ward, *The Seal cylinders of Western Asia*, p. 256-322 ; Contenau, *La glyptique syro-hittite*, passim.

(٢) De Morgan, *Recherches au Talyche persan*, dans les *Mém. de la délégation en Perse*, t. VIII, p 322.

(٣) Montet, *op. cit.* pl. XC

(٤) Montet, *op. cit.*, p. 133 et suiv.

تقارب بينه وبين القلادة المستديرة المزدان بها ، في الكرنك ، ابو الهول الذي سلبه من بلاد الشام الفرعون سيتي الأول . وفي مركبة تحوتمس الرابع ، يظهر في عنق كثير من الرؤساء السوريين حرزٌ يشبه بشكله وتقاطيعه قلادتنا الوردية هذه.[١] لكل هذه الاسباب نرجح ان القلادة المذكورة من مصنوعات بلادنا.

ولم تظهر المدافن الملكية المصرية الراقية الى عهد الامبراطورية الوسطى شيئاً من العصائب الذهبية يشبه العصائب المذكورة في الارقام ٢١–٢٥ . واقرب شبيه لهذه تلك العصائب المستخرجة من المدفن الثاني في جبيل.[٢] وقد عُرف استعمال مثل العصائب المذكورة في آسية الغربية مما اكتُشف في مدفن أُور الملكي[٣]. واذًا فمن الراجح ان تكون هذه العصائب ايضاً من مصنوعات بلادنا.

اما الآنية فللموصوف تحت الرقم ٣٣ اصول بعيدة في بلاد شومر[٤] . وقد اكتُشف في جبيل مثيل لذي الرقم ٣٤ الّا انه اكبر حجماً بل هو « دست » تامّ الشكل لا شكّ انه من مصنوعات بلادنا كالآثار الموصوفة سابقاً .

واما سراج البرونز ، ذو الرقم ٦٣ ، فهو كنعاني الشكل . ونلاحظ ان جانبي العنق اقل دخولًا مما في الأسرجة الراقية الى عهد الدولتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة.[٥] فيمكن اذًا ان نرقى بهذا السراج الى عهد البرونز الثاني . بقي ان نقول كلمة عن الهاونين الموصوفين في الرقمين ٦٦ و٦٧ ، وهما شبيهان بكثير من الهواوين المكتشفة في الحفريات السورية.[٦] وقد نميل الى ان نقرن

١) راجع Carter and Newberry, *The tomb of Thoutmosis* IV, pl. X et XI, et p. 29, fig. 5

٢) Montet, *op. cit.*, pl. XCVIII, n°s 644, 645, 646

٣) Woolley, *Ur Excavations*, II, p 299, pl. 139 ; pl. 146, N. 13790.

٤) راجع مثلًا :
Woolley, *Ur Excavations*, pl. 259 ; *Field Museum of Natural History, Anthropology Memoirs*, vol. I, n°s 1-3, passim.

٥) راجع Duncan, *Corpus of Palestinian Pottery*, n°s 91, A 4 et 5.

٦) راجع مثلًا :
Pezard, *Qadesh*, pl. XXXIII, fig. 4 ; Comte du Mesnil du Buisson, *Les ruines d'El-Mishrifé*, dans *Syria*, VIII (1927), p. 26, fig. 64.

بها الحجر الفرانيتي ذا الرقم ٦٥ ، لأن اسفله الأملس يجعله اشبه بمدقة الهاون.

في ختام هذا الدرس يظهر واضحاً ان كنز المجوهرات الذي وصفناه — بما في اجزائه من تناسب وتوافق ، وبطبيعة حلاه ، وبما تظهره في صناعتها من تأثير مصري ومن أثر بلدي بارز — شديد القرابة بما اكتشف في مدافن جبيل الملكية. وهل يكفي هذا للقول بان هذه المجوهرات مستخرجة من جبيل ، من احد المدافن الملكية ؟

بيد ان في قبول هذا المصدر كثيراً من الصعوبة . ذلك ان الكنز وافر القيمة حتى لا يصح القول انه اكتُشف قبل الحرب الكبرى او في اثنائها. ولو حصل ذلك ، لما تأخر مكتشفه في بيعه الى ما بعد الحرب ، بسبب ما كان في مدتها من عوز وفاقة . ومن جهة أخرى يصعب الاعتقاد بان كنزاً من هذا النوع يُكتشف بعد السنة ١٩٢٠ — وفيها أوجدت مصلحة الآثار القديمة في بلاد الاتتداب — من غير ان يلفت نظر ارباب الشأن . بقي ان نفرض اكتشاف الكنز في منطقة بعيدة منعزلة عن السكان. وهو ما نميل اليه ونرجحه.

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

آداب المائدة في الاسلام

قلّ من كتب في آداب المائدة في الاسلام . ومن المخطوطات المفقودة التي نقل لنا اسماءها الورّاقون ، ورواة التراجم والوفيات ، « كتاب ادب الموائد » للقاضي الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد الرامهرمزي .[1] و « كتاب ادب الطعام والشراب » لابي نصر الاصبهاني.[2] و « كتاب الطعام والادام » للامير المختار عز الملك المستجي .[3] وفي كتب الادب والفقه عدة اشارات وشروح في معناها لو جُمعت لكان فيها سداد من عوز . وقد اختلف نظر الفقهاء والادباء في رسوم المائدة وشروط المؤاكلة ، وتناقضت احكامهم فيها تناقضاً بيّناً حتى عُدّت طائفة كبيرة من آداب المائدة في الحضارة العباسية بِدَعاً يجب التحرّز منها في نظر اهل السنّة . وقد اجترأنا ، من بسط آراء الفقهاء ، على اقوال ابن الحاج العبدري المالكي في كتابه « المدخل » لما فيها من البيان والغناء والغرابة .

آداب الطعام في السنّة المحمدية

الخوان او المائدة

« اما الخوان فلا ضرورة تدعو اليه لان النبي صلعم كان يأكل على الارض في بعض الاحيان . وفي بعضها يأكل على سفرة » (ج ١ : ص ١٨٨) وقد دفع التنطّع بعض المتمسكين بهذا القول الى اطراح كل ما له اقلّ شبه بالخوان لارتفاعه عن الحضيض ، فكان « اذا جاءته زبديّة لها قعر مرتفع يكسر قعرها . وحينئذ يأكل منها ويقول اخاف ان يكون خواناً لعلوها على الارض . » (١٨١)

١) الفهرست لابن النديم .

٢) الوافي بالوفيات للصفدي . خزانة اكفورد Seld. Arch. a 24 f° 5

٣) المقتفى للمقريزي . خزانة ليدن Arab. 1366 b f° 7

غسل الايدي قبل الطعام

« روى اسماعيل بن أويس عن مالك انه دخل على عبد الملك بن صالح (الهاشمي) يسلّم عليه . فجلس ساعة ثم دعا بالطعام ودعا بالوضوء لغسل يده. فقال عبد الملك : ابدأوا بابي عبدالله يغسل . فقال مالك : ان ابا عبدالله لا يغسل يده فاغسل انت يدك فقال له عبد الملك : لِمَ يا ابا عبدالله . فقال له : ليس هو من الاثر الاول الذي ادركت عليه اهل بلدنا . وانما هو من زيّ العجم . وقد بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : اياكم وزيّ العجم .» (١٨١)

آنية المائدة

« يُتحرّز من هذه البدعة التي أحدثت وهي ان يكون للرجل طعام خاص به . وزبدية خاصة به . وكوز خاص به . ألا ترى حديث عائشة رضي الله عنها . قالت : كنت اشرب من الاناء فيأخذه رسول الله صلعم . فيشرب منه . فيضع فاه في موضع فيّ » (١٧٩)

تقطيع الخبز واللحم بالسكين

« تكسير الخبز بالسكين بدعة مكروهة . وفيه انتهاك لحرمة الخبز . وكذلك لا يعضّ في الخبز حين الاكل ولا ينهشه . بخلاف اللحم . لان السنة المحمدية قد فرقت بينهما . فجعلت العضّ والنهش في اللحم دون الخبز . وبعض الناس يتساهلون في هذه الامور فيقطعون اللحم بالسكين اذا ارادوا اكله ومثله الخبز . ولا ضرورة تدعو الى ذلك » (١٩١)

الاكل بالملاعق

« السنة ان يأكل بيده ولا يدخل اصابعه في فمه ثم يردها الى القصعة . . . وينبغي له ان لا يأكل بهذه الملاعق ولا بغيرها . وذلك لثلاثة اوجه . احدها مخالفة السلف في ذلك . والثاني انه يدخل ذلك في فمه ثم يرده الى الطعام . . . والثالث فيه نوع من الرفاهية » (١٨٥ — ١٨٦)

لعق الاناء بعد الفراغ

« ينبغي له ان يلعق الاناء اذا فرغ الطعام منه لما ذُكر ان القصعة تستغفر للاحسها » (١٨٦)

إخبار الضيوف بالوان الطعام

« ينبغي له ان كانت الضيافة الواناً وقُدّم له بعضها وقد بقي بعضها ان يخبرهم بانه قد بقي عنده من الالوان كذا وكذا حتى لا يكتفوا من الاول. وقد يكون فيهم من لو علم بالطعام الثاني لانتظره ... وكذلك يخبرهم بالحلاوة ان كان ما احضرها مع الطعام . وكذلك الفاكهة والنقل وغير ذلك » (١٩١ — ١٩٣)

الحلو بعد الطعام

« ينبغي له ان لا يخلي اضيافه من شيء حلو وان قلّ . بل هو آكد من الوان الطعام . فلو اطعمهم لوناً واحداً مع شيء حلو بعده كان اولى من عمل الالوان وليس فيها شيء حلو . فان جمعهما فياحبذا ». (١٩١ — ١٩٢)

غسل الايدي وتنشيفها بعد الطعام

« كان عمر بن الخطاب اذا اكل مسح يده بظهر قدميه » (١٨١) « وينبغي له ان ينبه من حضره وغيرهم على ما يفعل اليوم من هذه البدعة بل المحرّم للسرف والخيلاء . وهي ما يفعله بعض الناس من غسل الايدي بآء الورد وتنشيفها بالمناديل والفوط الحرير » . (١٩١ — ١٩٣)

آداب المائدة في الحضارة العباسية

السفرة والمنوان

كانت السفرة اكثر ما تكون قوراء اي مدوّرة تبسط على الارض. ويتحلّق القوم حولها . ويقال لها بنيّة — وفي الاصطلاح بنيجة — اذا كانت مسفوفة من الخوص اي من سعف النخل كالاطباق . وربما عملت من النسيج او من النحاس . ثم غلب استعمالها من الاديم لسهولة إزالة الوضر عنه . ولما صار زرياب ، مولى المهدي الخليفة العباسي ، الى الاندلس كان ما اتخذه الناس عنه

« اختياره سُفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية . اذ الوضر يزول عن الاديم باقل مسحة »[1].

وكان الامراء ووجوه الدولة اذا اطعموا الناس امروا ببسط السفر للعامة ونصب الاخونة للخاصة من بطانتهم. وممن عرف بذلك ابن هبيرة امير العراق. كان اذا صلى العصر توضع السفرة والطعام للعامة . ويوضع له ولاصحابه خوان مرتفع فيأكل معه الوجوه من اصحابه.[2] ولكن يوسف بن عمر ، امير العراق ايضاً ، كان لجوده وكرمه لا يفرق بين الخاصة والعامة في اسمطته . ويطعم الناس على خمسمائة خوان . اقصاها وادناها سواء. يأكل منها الشامي والعراقي . وعلى كل خوان قرنية[3] عليها السكر . فنفد السكر من قرنية الى قرنية فتكلم أكلتها . فضرب الخباز ثلثمائة سوط والناس يأكلون . فكان الخباز يتخذ الخرائط فيها السكر فكلما نفد زاد[4].

واكثر ما كانت تصطنع الموائد من الخشب لقرب متناوله ووفرته. ولكن بعض الكبراء والاغنياء كانوا يتأنقون في اختيارها من الرخام والمرمر والجزع[5]. واتخذها الخلفاء من الفضة والذهب . واشتهر في سماط عيد الفطر في القاهرة « مائدة من فضة يقال لها المدوّرة وعليها اواني الفضيات والذهبيات والصيني »[6] وانما سميت بالمدوّرة لاستدارتها كما قيل لغيرها « المُطاوَلة » لاستطالتها. وقد ورد ذكر المطاولات مرتين في الجزء الاول والثامن من نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي[7]. ويشبه ان تكون كلمة tavola بالايطالية مأخوذة من هذا الاسم.

---

١) نفح الطيب للمقري ٢ : ١٢٢

٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٣٧٠-٣٧١

٣) يريد بالقرنية اداة بمعنى « السكرّية » كانت تصنع من القرن كما يدل عليها اسمها ويوضع فيها السكر على الموائد . وهي من الالفاظ المولّدة التي لم تذكرها المعاجم.

٤) وفيات الاعيان ٢ : ٤٧٨-٤٧٩

٥) مروج الذهب للمسعودي ، بهامش الكامل لابن الاثير ١٠ : ١٣٨

٦) المقفى للمقريزي . مطبعة النيل ٢ : ٢٢٠

٧) الخزانة الشرقية ٢ : ١٦٦

غسل الايدي قبل الطعام وبعده

قال ابن عبد ربّه : « من الادب ان يبدأ صاحب الطعام بغسل يده قبل الطعام ثم يقول لجلسآئه : من شآء منكم فليغسل . فاذا غسل بعد الطعام فليقدّمهم ويتأخر »[1] . وقد مرّ بنا ان بعض الخاصة كانوا ، اذا انتهوا من الاكل ، يغسلون ايديهم بمآء الورد وينشفونها بالمناديل الحريرية . وهذا كان رسم مائدة الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات . وقد وصف الصابئ مجلسه بين اصحابه على الطعام اجمل وصف . وشرح فيه كيف كان كتّابه يغسلون ايديهم مرتين . الاولى في الطسوت بعد ان ينتهوا من اكل اصناف الفاكهة التي كانت تقدم لهم قبل الالوان كما تقدم البوارد والمشتهيات اليوم . والثانية بعد الفراغ من الاكل « في مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه » . ومن هذا الوصف يتبين لنا مصطلح القوم في دعواتهم وخدمة موائدهم وما كانوا يتخذونه فيها من آنية واداة ومنديل . قال الصابئ بعد ان ذكر اسمآء تسعة من الكتاب الذين رسم ابن الفرات باستدعآئهم في وزارته الثانية :

« وكانوا يحضرون مجلسه في وقته . ويقعدون من جانبيه وبين يديه . ويُقدَّم الى كل واحد منهم طبق فيه اصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء . ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الاصناف . وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبه ما يحتاج الى قطعه من سفرجل وخوخ وكمثرى . ومعه طست زجاج يرمي فيه الثفل . فاذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم شيلت الاطباق وقدمت الطسوت والاباريق . فغسلوا ايديهم واحضرت المائدة منشّاة بديبقي فوق مكبّة خيازر . ومن تحتها سفرة أدَم فاضلة عليها . وحواليها مناديل النَمَر من الثياب المعصور . فاذا وضعت رفعت المكبة والاغشية . واخذ القوم في الاكل . وابو الحسن يحدّثهم ويباسطهم ويؤانسهم . فلا يزال على ذلك والالوان توضع وترفع اكثر من ساعتين . ثم ينهضون الى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ويغسلون ايديهم . والفراشون قيام يصبون المآء عليهم .

١) العقد الفريد ١ : ٢٢٤

والخدم وقوف على ايديهم المناديل الدبيقية . ورطليات[1] ماء الورد لمسح ايديهم وصبّه على وجوههم »[2] .

المَضَضَ او رقعة الوان الطعام

قال ابو الفتح كشاجم : « خُبِّرت ان بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه من الطعام في رقعة ويعرض عليهم . فمن استطاب لوناً حبس نفسه عليه »[3] وهذه الرقعة هي المعروفة اليوم باسم menu ولعل اولى ما يطلق عليها في اللغة لفظة المَضَض على قلة ما فيها من طلاوة وحلاوة . وهي تعني « الوان الطعام » .

واذا كانت عادة كتابة الرقاع في الولائم لم تتجاوز موائد بعض المتقدمين فقد استعاض عنها غيرهم باستدعاء طُهاتهم وسؤالهم امام الاضياف عما عندهم من الالوان ليحبس كل رجل منهم نفسه وشهوته على ما يختار ويؤثر منها . وقد وصف الجاحظ مائدة عبد الاعلى بن عبدالله بن عامر فقال : « يأتيه الطباخ فيمثل بين يديه فيقول : ما عندك . فيقول : عندي لون كذا . وجدي كذا . ودجاجة كذا . . . ليقصر كل رجل عما لا يشتهي حتى يأتيه ما يشتهي »[4] .

المشوش

اذا صحّ ان عمر بن الخطاب كان اذا اكل مسح يده بظهر قدمه كما تقدم من لفظ ابن الحاج، فقد كان امرؤ القيس في الجاهلية اكثر ظرفاً حيث يقول:

غشّ بأعراف الجياد أكفّنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهّب

وهذه المشوش هي التي سماها الصابئ مناديل الفمر اي الذفر . وقد سبق من وصفه انها كانت على مائدة الوزير ابي علي بن الفرات من الدبيقي وهو ثوب كان يعمل في دبيق بمصر .

وكان بعضهم يضعها احياناً على صدره كما يُفعل اليوم اتقاء للوضر . ومن

---

١) الرطلية آنية كانت تسع رطلاً من ماء الورد او غيره من السوائل . وهي مولدة .
٢) تاريخ الوزراء ، ص ٢٤٠
٣) ادب الندم . باريس ١٣٣٠ ، ص ٣٠
٤) البيان والتبيين ١ : ١٢٢ ؛ وكتاب البخلاء . ، طبعة ليدن ، ص ١٩٣-١٩٤ ؛ والعقد الفريد ١ : ٢٢٢

وصف بذلك ابن هبيرة امير العراق « كان يدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلًا على صدره ويعظم اللقم »[١].

الملاعق

« كان لاهل همذان خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها وباتخاذها جميع اهل الارض »[٢]. ولابن الخيمي المصري الدار المتوفى سنة ٦٨٥/١٢٨٦ ملغزًا في الملعقة :

وعدودة كيد المجتدي بكفّ على ساعد ممدد
ترى بعضها في فمي كالسنا ن، وجلتها في يدي كاليد (٣

واهدى البرهان الغزولي النحوي مرة ملاعق للصاحب زين الدين بن زبير وكتب معها الابيات الآتية نزويها على قلة طلاوتها وضعفها وابتذال معناها :

لما بعدتم وكاد اليأس يقضينا من نيلكم ، ودنت منا امانينا
بتنا على سغب الآمال في ظمإ والشوق ينثرنا طورًا ويطوينا
ثم استنبا تحيّات السلام عسى تعود منكم تحيات فتحيينا
وقد بعثنا لكم ملوءة قُبَلًا مثل الايادي التي اعيت ايادينا
مستطعمات طعامًا من مطاعمنا وافتكم بلسان الحال يحكينا (٤

وكانت الملاعق تصطنع من الزجاج المجرود ، ومن النحاس ، والفضة ، والذهب . وممن كان يستعمل كثيرًا الزجاج المجرود الوزير المهلبي « وكان شديد التقشف عظيم التنطس . . . وكان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله انه كان اذا اراد اكل شيء بملعقة كالارز واللبن وامثاله وقف من جانبه الايمن غلام معه ثلثين ملعقة زجاجًا مجرودًا . وكان يستعمله كثيرًا فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة. ثم يدفعها الى غلام آخر قام من الجانب الايسر. ثم يأخذ اخرى فيفعل بها فعل الاولى حتى ينال الكفاية . لئلا يعيد الملعقة الى فيه دفعة ثانية »[٥].

١) وفيات الاعيان ٣ : ٢٩٥
٢) كتاب البلدان لابن الفقيه . ليدن ، ص ٢٥٣
٣) فوات الوفيات للكتبي ٣ : ٢٩٥
٤) مطالع البدور في منازل السرور لملاء الدين الغزولي ٣ : ٤٠-٤١
٥) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١٥٣-١٥٢

ولما توفي الوزير يعقوب بن كلس ، وزير المعزّ لدين الله ، ودفن بالقبة التي كان بناها « اقام الناس عند قبره شهرًا . . . وكانت الموائد تحضر الى قبره كل يوم مدة شهر . يحضر نسآء الخاصة كل يوم ومعهنّ نسآء العامة . فتقوم الجواري باقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة . فيسقين النسآء الاشربة والسويق بالسكر »[1].

ووجد في تركة القائد جوهر وزير المعزّ ثلاث آلاف ملعقة من الذهب والفضة .[2]

وليس لدينا اقل اشارة الى ان احدًا في الحضارة العباسية استعمل على مائدته ما يقرب من « الشركة » المعروفة اليوم . وانما كان اللحم ينهش نهشاً طبقاً للسنة .

---

١) المقفى للمقريزي ، مطبعة النيل ٣ : ١١

٢) تاريخ ابن اياس ١ : ٥١

نهرا ابانا وفرفار بدمشق

طال الخلاف حتى اليوم في تعريف نهرَي « ابانا » و « فرفار » اللذين افتخر بهما نعمان السرياني في سفر الملوك الثاني . وفي كتاب الخطط التاريخية في سورية للعالم الاثري رينه دوسّو ان نهر ابانا هو نهر بردى . ونهر فرفار هو نهر الاعوج .[1] ولكن من اعتبر تشابه اسمَي ابانا وباناس يترجح فورًا لديه انهما لمسمًى واحد. ولا شك ان لفظة باناس هي رومية الاصل (Abanus) تلقّاها العرب عن البيزنطيين واسقطوا الالف الاولى منها تخفيفًا بحيث دخلت في الاوزان العربية مثل ساباط وهي السقيفة بين دارَين تحتها الطريق . ولا يعترض على ذلك ان النهر سُمّي ايضاً بانياس بزيادة ياء . فان هذه التسمية لم ترد الا متأخرة . وقد انكرها صاحب « مراصد الاطلاع » فقال : « الصواب بغير ياء في النهر . وهو بالياء اسم لقرية او بلدة قرب دمشق تحت الجبل في غربي دمشق يرى عليه الثلج ».[2] ويظهر ان النهر لم يغلب عليه اسم بانياس الا حوالي القرن التاسع للهجرة . وغاية ما وقفنا عليه في الشعر بيت واحد للشيخ شعبان الآثاري وفيه تورية الى انهار دمشق :

شوقي يزيد وقلب الصب ما بردا وبانَياس من المشوق حين بدا [3]

واما قبل ذلك فلم يُنقل الا اسم باناس وحده في النثر والنظم . قال ياقوت في كلامه على نهر بردى :

«واما باناس فانه يدخل الى وسط مدينة دمشق فيكون منه بعض مياه قَنَواتها وتساطلها . وينفصل باقيه فيسقي زروعها من جهة الباب الصغير والشرقي »[4] .

وقال شهاب الدين العمري في وصف انهار مسقط رأسه :

« فاما القنوات وباناس فهما نهرا المدينة . حاكمان عليهما ومسلطان على ديارها . يدخل باناس القلعة بها ثم ينقسم قسمين . قسم للجامع . وقسم للقلعة .

١) R. Dusseau, *Topographie de la Syrie Historique*, p p 313 et 288

٢) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ١ : ١٢٢

٣) نزهة الانام في محاسن الشام للبدري ، ص ٩٤

٤) معجم البلدان ، طبعة اروبة ، ١ : ٥٥٧

ثم ينقسم كل قسم منهما على تقاسيم تتفرق على اصابع في المدينة باصابع مقسومة وحقوق معلومة . . . ثم تتجمع وتتنهّر وتخرج الى ظاهر المدينة لسقي الغيطان » .[1]

واكثر ما جاء باناس في الشعر . ولا بأس ان نتوسع قليلاً في الاستشهاد عليه . قال العماد الكاتب الاصبهاني مشيراً الى الانهار الاربعة :

الى ناس باناس لي صبوة ... لها داعٍ وذكرى مثير
يزيد اشتياقي وينمو كما ... يزيد يزيدٌ وثورا يثور
ومن بردى برد قلبي المشو ... ق، فها انا من حرّه مستجير [2]

واقتدى به الامير سيف الدين علي بن قزل المشدّ فقال في مدح دمشق :

واضارها اربع كلها ... تسيل لُجيناً وتجري ذهب
يزيد جا الماء من طيبه ... وحسبك ثورا ببنت العنب
ترى بردا علا حارياً ... وباناسها لبناً يُحتلب

ولشهاب الدين التلعفري :

فاقت دمشق على البلاد فقدست ... عن شعب بوّان وعن قُطربُّل
فليهنها باناس اعذب مورد ... من ماء دجلة والفرات السلسل

وله ايضاً : وراق مآوك، يا ثورا، ولا برحت ... تميل فوقك بالاطيار افنان
ودام رفدك، يا باناس، متصلاً ... حتى يُرى كل ظام وهو ريّان

وله كذلك : ولا تعدّاك، يا باناس، منهمر ... جمي على القصر والميدان والشرف

ولتاج الملوك بوري بن ايوب :

وبباناس زاد وجدي فقلبي ... مستهام اليه ولهان ظامي

ولابن عُنَين الدمشقي :

ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت ... جداول باناس اليه تسيل

ولابن الظهير الحنفي الاربلي :

ايا ليت شعري هل يلوح لمقلتي ... سنير، وظني باللقاء محقق
وهل بارد من ماء باناس بارد ... لظى كبد حرّى لها الشوق محرق

ولتاج الدين الصرخدي :

اقرّ السلام على الوادي وسرحته ... وحيّ باناسها عني فتحييني

ولمحاسن الشرا الحلبي :

---

١) مسالك الابصار . خزانة باريس ٢٣٢٥

٢) معجم البلدان ، طبعة اروبة ، ١ : ٥٥٧

يا رياضاً ما بين ثورا وبا نامَ تردت على الشقائق حمرا

ولقلجق الحمصي :

ثاوٍ يشوق له الى ثورا جوىً ويزيد منه الى يزيد حنين
بالناس لا باناس امسى قصده ومراده القُطّان لا قيطون

وهذه المدائح كلها من القرن السادس الى القرن الثامن للهجرة . ومنها يُدرك السبب الذي حدا نعمان السرياني الى ايثار مياه مدينته. وكفى بها دليلاً لاثبات ان باناس الكتاب والشعراء هو اباناس التوراة . فلا يبقى من ثم الا اطلاق اسم فرفار على نهر بردى وهما النهران اللذان كانا يتساوقان لريّ دمشق. ومن معاني الفرفار حتى في اللغة العربية « الطيّاش . والمكثار . والذي يكسر كل شيء . » فلعل بردى أُتّب به قديماً في ايام الاراميين لتدفق مياهه وثورانها واجترافها كل ما يحول دون مجراها .

وروى ياقوت ان بردى كان يقال له ايضاً بَرَدَيا ولم يؤيده بشاهد واحد . ولا يبعد ان يكون من تحريف النساخ . وقد اتفق له غير مرة ان يُخدع بسوء نقلهم كرواية دير بَوَنّى بالباء الموحدة بدلاً من يُوَنّى بالياء المثناة . وتلبين بالتاء بدلاً من تُلبين بالقاف اسم قرية بدمشق. ودير أيّا بفتح اوله والياء المثناة وهو دير لم نسمع به ولم يرد فيه قول لاحد ويشبه ان يكون تحريف داريّا من امهات قرى دمشق .

وكان البيزنطيون يسمون بردى Chrysorrhoas اي نهر الذهب. ودعاه اسطفان البيزنطي منذ القرن الخامس للميلاد بَرْدِينس Bardinès ولا شك ان اللفظ العربي مأخوذ منه . واياه عنى حسّان بن ثابت بقوله في مدح آل جفنة :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يُصفّق بالرحيق السلسل

واول من ارتأى ، فيما نعلم ، ان ابانا التوراة هو نهر باناس الآباء الصوديّون في « دليل فلسطين ».[1] وتابعهم الاستاذ المستشرق جان سوفاجه في مقالته :

(٢ Jean Sauvaget. *Esquisse d'une histoire de la ville de Damas.*

(١ *La Palestine. Guide historique et pratique*, 2e édition. Paris, 1912, p. 546.

(٢ *Revue des Études Islamiques*, 1934, cahier IV, p. 432. وتعريبها في المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٦١–٢٠٨

دير مار جرجس في بلودان

من ضواحي دمشق

لا ذكر لهذا الدير في كتب الديارات . وقد اغفل ياقوت تعريف بلودان نفسها بين قرى دمشق . ولا شكّ ان بعدها عن الطريق السابلة ، وتوقلها في قنة الجبل ، وصعوبة المصير اليها قديماً كان من اهم العقبات التي حالت بين الدير وزوّار المسلمين من عشّاق الخمور النصرانية . ولذلك لم يتغنَّ بذكره مُجّان الشعراء من حُرّفاء الحانات . واوحد من نوّه به ممن تكلم على الديارات شهاب الدين العمري ، وهو دمشقي المولد ، فلم يكن يفوته موقع الدير وإشرافه على جنة الزبداني . وقد وصفه بقوله :

« بناؤه قديم . بديع الحسن . وافر الظلة . كثير الكروم والفواكه . والماء الجاري . بقرية بلوذان وهي محاذية لكفر عامر . تطلّ من مشرفها على جنة الزبداني ببلاد دمشق . وبه رهبان نظاف . وغلمان من ابناء النصارى ظراف .

سرحت به ونزلت اليه . ورأيت به غلاماً يفوق الظبي حسنا . ويشبه البدر او أسنى . بخصر نحيل . وطرف كحيل . قد قطع الزنار بين خصره وردفه . ونفث السحر بين جفنه وطرفه . ثم ما كان باعجل ما استتر بدره . ولاح ثم خفي فجره . فقلت فيه :

حبذا الدير من بلوذان دارا ... ايّ دير به وايّ نصارى
فيهم كل احور الطرف احوى ... فاتق الحسن في حياء المذارى
وغلام رأيته كهلال ... ما بدا للعيون حتى توارى
بتوام اذا تغايل نشوا ... نّا فالحاظ مقلتيه سكارى
ناحل الخصر حلّ عقد اصطباري ... عندما شدّ خصره الزنارا
قبل رؤياه ما رأيت غزالا ... بات يسبي من مرشفيه العقارا (١)

---

١) مسالك الأبصار ، مصر ، ١ : ٢٥٨

وهذا دأب الشمامسة في الاسلام لا يخلون من كلّ ما يمرّ بهم في الديارات التي يطرقونها او يضيفون فيها الّا بالتنزل بولدانها وحورها . او بإطراء طيب خورها . فلا يكاد يظفر التاريخ بشيء يُؤثَر من اقوالهم فيها .

ومعلوم ان العمري توفي سنة ٧٤٩ للهجرة (١٣٤٨ م) وقد شهد ان الدير كان يُعَدّ في زمانه « قديم البناء » . ولكن هيهات ان يُعرف متى كان إنشاؤه . وهو من اديار الملكيين . وقد غابت عنا اخبار رؤسائه ورهبانه . وغاية ما عثرنا عليه منها ان رئيسه في سنة ١٥٩٦ كان الحاج داود . دون اشارة الى نسبته وأسرته . وكان لقب الحاج يُطلق على كل من زار بيت المقدس من رجال الدنيا والدين . ومن جملة رهبانه وقتئذٍ القس شحاده . والقس ميخايل . والشماس موسى . ولا يُدرى اي الناس هم . ورد ذكرهم جميعاً في حاشية مرّت بنا في ظهر الورقة ١٥٩ من انجيل سرياني ملكي رقم ٢٠ في خزانة الڤاتيكان . كتب سنة ١٥٢٧ للاسكندر اي ١٢١٦ للميلاد . وهذا نص الحاشية بالفاظها :

« رمم هذا الانجيل واصلحه الولد الحقير يحنا ابن القس مدلج من قرية بطرام من كورة طرابلس المحروسة . الاله الرؤوف والرب الرحيم يغفر له خطاياه وخطايا والديه . وخطايا القس شحادة . واخوه القس ميخايل . وخطايا الشماس موسى الذين اهتموا في عمله بشفاعة سيدة ام النور . وجميع القديسين آمين آمين .

وكان ذلك في سنة سبعة الف ومائة واربعة لكون العالم . وعمله في دير مار جرجس بلودان . الله يسره طول الازمان . ويغفر خطايا الحاج داود رئيس الرهبان . . . »

وفي خزانة اكسفرد مخطوط تريودي سرياني ملكي رقم ٨٤ ، كُتبت عليه الوقفية الآتية :

« هذا التريودي المبارك وقف مؤبد . وحبس مخلد على دير القديس مار جرجس بقرية بلوذان . »

ولا تاريخ لهذه الوقفية .

وفي هذين التعليقين شاهد صريح بان لغة دير مار جرجس في بلودان التي كان يُصلّى بها الطقس الملكي كانت السريانية كما في صيدنايا وسائر اديار الملكيين في القرى والجبال .

وكان في دير بلودان خزانة مخطوطات قديمة كانت باقية حتى اواخر القرن السابع عشر ، وهو ما يُستفاد من قول البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي :

« حصل لي خبر سمعان العامودي العجايبي . في كتاب رميم جدًا من كتب مار جرجس بمحروسة بلودان . وكان آخره ناقص . » (١

ونقل مثل ذلك ابنه الشماس بولس في كتابه المخطوط تاريخ انطاكية فقال :

« لما جمع والدي لما كان مطرانًا بمدينة حلب كتاب الدولاب اي اخبار جميع القديسين واكثرهم بخط يدي . واوقفهم على الفلاية المطرنية . كان في اين ما سمع في كتاب قديم في اي بلد كان او دير . يرسل يستحضره وبعد نساخته يرممه ويشيده ويرسله لمكانه . ومن جملة ذلك جاب كتاب قديم جدًا من دير القديس مار جرجس المشهور بقرية بلودان بقربة مدينة دمشق الشام . فيه خبر هذا القديس الشريف (سمعان العجايبي) لا غير . الا انه ناقص منه بعض اوراق . ومن آخره جانب كثير . وبالجهد حتى احييناه واظهرناه للوجود بكل تعب ونصب . ولم توجد له في بلاد العربية نسخة ثانية لتكملها . »

ولا يعلم متى بدأ خراب هذا الدير في القرن الثامن عشر . وكانت بعض جدرانه وابوابه لا تزال ماثلة في بدء القرن العشرين . وفيه مذبح متهدم تقام فيه الصلاة احيانًا . ولا يزال قوم في بلودان يذكرون ابوابه السبعة متتابعة متصلة حتى مدخل الكنيسة . وكل منها قائم من ثلاثة احجار فقط ضخمة . وجميعها بغير سقف . وهي قصيرة قليلة الارتفاع . وقد سلم منها الباب الاكبر . وترى اليوم في العرصة امام الكنيسة عدة آثار وبقايا عُمُد ومعاصر للدبس والخمر واجران وانقاض شتى ملقاة على الارض . وكان للدير املاك واوقاف جليلة وبساتين لا تزال تُعرف الى اليوم ببساتين الدير . استولى عليها اهل بلودان وتقاسمتها الاطماع . وتجزأت وتفرقت بالبيوع . وقد اشار اليها العمري بقوله « الدير وافر الغلة . كثير الكروم والفواكه » .

وفي عهد الجنرال غورو ، ادعى مسلمو بلودان ان الدير كان مسجدًا للشمس وحاولوا وضع ايديهم عليه ، ومنعوا النصارى من الصلاة فيه . فامر للحال بكف اطماعهم عنه ، وان لا يُعترض الروم في صلواتهم فيه . فتبرع المرحوم

١) كتاب النحلة ، رقم ١٤١ من مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ، ص ٩٨

روفان مرقص الدمشقي بخمسمائة ليرة ذهباً لتجديد بناء الكنيسة واقتدى به بعض مواطنيه واعانهم قوم من المهاجرين في اميركة فبلغ المجموع ١١٩٧ جنيهاً انكليزياً . وبوشر بالعمارة سنة ١٩٢٣ وانتهي منها سنة ١٩٢٤ وهذا نص الكتابة المنقوشة في لوح على يسار مدخل الكنيسة :

« تجدد بناء هذه الكنيسة المقدسة للقديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٩٢٤ باحسان النيور روفان يوسف مرقص الدمشقي . وحسنين آخرين مقيدة اسمآؤهم في اللوحة الثانية . شقيقة هذه اللوحة والقائمة بجانبها . وجمعية واشراف اللجنة المؤلفة من حضرات نعمان بك ابو شعر رئيساً . وعضوية الافندية سرحان شحفة . وخليل الخوري . وجورج لاذقاني . سنة ١٩٢٤ »

وللكنيسة صحن واحد . وامام الهيكل حاجز من الخشب . ولما زرناها بتاريخ ٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٦ كانت ابوابها مقفلة للخلاف الذي كان قائماً بين الخوري سيريدون بيطار واهل بلودان .

دُراقِن دمشق

قال ابن دريد : « عرب الشام يسمون الخوخ الدراقن . وهو معرب سرياني او رومي ».[1] قلنا هو معرب عن الرومية δωράκινον والعامة تشدد الراء . وفي القاموس « الدراقن المشمش والخوخ . شامية . » واستدرك عليه صاحب محيط المحيط هذا التعريف وزعم ان الدراقن شجر آخر غيرهما . ويقال له الدرّاق ايضاً . وفاته انه هو الخوخ في مصطلح اهل الشام كما سبق من شهادة ابن دريد . ولذلك اضاف الفيروزبادي ان اللفظة شامية . وقد روى البدري ان الدراقن في زمانه كان يُسمَّى في القاهرة خوخاً .[2] والذي يتضح لنا ان الفيروزبادي لم يخطئ بقوله ان الدراقن هو المشمش والخوخ . وكأنه يعنى ما كان منها مُطَعَّماً من الآخر . وهو الذي يقال له بالفرنسية = abricot-pêche alberge وهو كثير في اسبانية ويقال له عندهم melocoton ولا بد انه كان من هذا التطعيم اشجار بالشام قبل انتقال من انتقل من اهلها الى الاندلس . ولذلك أُطلق عليها اسم الدراقن وهو الاصل .

وكانت اصناف الدراقن ستة عشر عدّها البدري كما يأتي : خواجكي (وهي نسبة فارسية بالكاف والياء الى خواجا) . رصاصي . حمصي . نيرباني (نسبة الى قرية النيرب قديماً) لوزي . لوزيق (ولعله سمّي كذلك للصوقه بالنواة) لقيس . كلابي . صالحي (من صالحية دمشق) غشمي (وفي المطبوع خشمي بالخاء غلطاً) مظفّري . مسافري . صوري . زهري . لحم الجمل . مجهول .[3]

وفي تذكرة صلاح الدين الصفدي خلاف في بعض هذه الاسماء الستة عشر . وهي عنده : نيرباني . زهري احمر . زهري اصفر . زهري سالمي . زهري

---

١) المعرّب للجواليقي . طبعة اوربة ، ص ٦٤

٢) محاسن الشام ، ص ٢٠٦

٣) « « ، « ٢٠٧

رصاصي . مسكي . لوزي كبار . لوزي صغار . صوري . لُريق : لحم الجمل . كلابي . مظفري . مسافري . لقيس . خواجكي[1] .

ولا ندري اي هذه الاصناف انتقل الى فرنسة في عهد العلييين . ويقال له فيها : La Tullins, ou de Syrie (dans le Dauphiné)[2] .

وقد انقرض من دمشق اكثر هذه الاصناف . واقدمها عهداً الزهري وهو الذّها طعماً واطيبها نكهة . وفيه يقول برهان الدين القيراطي :

حللنا بستان به الدوح واقف وجدول صافي الماء من تحته يجري
كأن النجوم الزُهر زهريّ خوخه ولم ارَ مثلي شبّه الزُهر بالزَهر

وفي زهره يقول محيي الدين بن قرناص الحموي :

مررت باشجار الدراقن سحرة وقد رنّحت اعطافه نسمة الفجر
فشبهته لما رأيت احمراره عيون مخامير افاقت من السكر (٣

وكان الدراقن في جملة بواكير الفواكه التي تحمل من دمشق الى الديار المصرية وتُتحف بها الملوك والسلاطين . وقد وقفنا في مجموع كتابات ديوانية على جواب هدية دراقن بعث بها احد نواب دمشق الى الابواب الشريفة بمصر . وهو غفل من التاريخ والعنوان . وهذا نص الكتاب بعد تسديد ما تصحف منه بجهل الناسخ :

« لا زال يهدي من الطُرف ما رقّ ورائق . ويخص من الطيب الثار ما اقتطفته ايدي الاحباب من ماشي النعمون واتزه الاوراق . اصدرناها تهدي سلاماً طاب نشرا . وثناء فاح عطرا . ونبدي لعلمه الكريم ان مكاتبته وردت الينا وفهمنا ما تضمنته من تجهيزه الدراقن من باكورة دمشق المحروسة ، التي اصبحت ربوعها بجميل ملاحظته مأنوسة . فلله در المقرّ كونه اهدى من التحف اطرفها . وجهّز من النفائس الطفها . كل حبة منها قد واق جناها . وحسن بجناها . ولطف مرتشفها فهي شفاء السقيم . وكأنها سقيت بماء التسنيم . تختال في برودها الزمردية . وتتجلى بالثياب السندسية . ماء الحياة مصون بين عُجمها وثوبها . فلحلاوة مذاقها تفتّر عن شنب عُجمها . فيا لها من زائرة هي للعيون قرّة . والنفوس على ترقّبها لها ابدًا مستمرّة . لكونها لا تزور في كل عام الّا مرة . وقد وصلت هذه التحفة وهي في غاية الملاحة . سالمة من كل عيب كأنما حملت على كفوف الراحة . واما

١) فصول منقولة من التذكرة للصفدي في مجلد من ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي
٢) Ch. Ballet. *Culture Fruitière*. Paris 1908 P.237
٣) محاسن الشام ، ص ٢٧

القاصد فكأنما طار بها على اجنحة من الدواب . فاكرمناه وعجبنا من سرعة سيره غاية الاعجاب . ووقع ما اهداه المقرّ من ذلك بموقع القبول الذي لا يتكر . وسرّ خاطرنا الشريف بوصول هذه التحفة واستبشر . والمقرّ بحمد الله ما زال يصل بقول النبي عليه افضل الصلاة والسلام . غادوا تتحابّوا ولا اعتراض على من اورد هذا الحديث ولا ملام . ونحن كما يعلم الله حبنا للمقر الكريم دائماً لا يعتريه غِيَر . ولا يشوب صفو ودنا كدر . فانه القريب وان بعد عن البيان . والمكين بالخصوصية وعين الاعيان . فانه تابع للمكنا الشريف طرازًا مرقوما . وعنوانًا في المحبة واضحاً معلوما . احياه الله لامثال هذا المرام . ومتّعه بطيب العيش على مر الايام . ليجتني ثمار السرور يانعة . ويتحف منها بكل شهية انوار روضاتها ساطعة . وقد اعدنا قاصده بعد ان احسنّا اليه . وأفضنا خلَل انعامنا الشريفة عليه » (١) .

ولعل اكثر ما كان يحمل الدراقن الى مصر من قرية الزبداني لقول البدري فيها « وفاكهتها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة وغيرهـا » . (٢) وكان ينادى عليه قديمًا « مُشَقِر وناعم » لاكتساء قشرته بالحملة والزغب . وقد اشار الى ذلك الشيخ ابرهيم المعار بقوله في التشبيه :

فكان كالخوخ اذ يُنادَى عليه ذا مشمر وناعم (٣)

١) خزانة باريس ؛ رقم ٤٤٤٠ ، ص ٥٥-٥٦
٢) محاسن الشام ، ص ١١٨
٣) خزانة الادب لابن حجة الحموي ، ص ٣٢٠

دير قُنّى [١]

موطن الوزراء والكتاب ، ومعقل المسيحية في العراق

بقلم ميخائيل عوّاد (بغداد)

قضت يد الزمان العاتية أنْ تندثر مئات المواقع العراقية ويغشاها ظلام حالك ، حتى صرنا نتلمّس اخبارها ، واصبحنا لا نصل الى نتيجة مرضية عنها الا ببذل الجهود الكثيرة والمراجعات المختلفة ، ولا يخفى ما يحفّ هذه التتبعات التاريخية من شتّى المصاعب ، لأنّ أغلب المصادر القديمة وعرة الاسلوب ، ملتوية المسلك ، مضطربة التفكير . وهذا ما لمسناه عند اشتغالنا في كتاب « تاريخ المدائن » ، وهي من أمّهات المدن العراقية التي لَعبتْ أدوارًا خطيرة في عهود مختلفة من تاريخ العراق . وقد رأينا أنْ نتقدّم الى القرّاء اليوم احد فصوله ، وهو في دَيْر قُنّى ، من أشهر ديارات المدائن .

١ ــ الاختلاف في تسمية هذا الدير

تضاربتْ آراء الكتبة والمؤرخين في ضبط اسم هذا الدير ، فأدّى ذلك الى إطلاق تسميات عديدة له ، تقترب أحياناً من بعضها ، وتبتعد أخرى . ولنأتِ على أهم ما جاء بشأن هذه التسميات :

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « دير قُنّى ــ بضم أوله وتشديد ثانيه مقصور »[١] ، وكذا يُقال « قُنّا » والنسبة اليه قُنّائي أو قُنّاتي[٢] . ووردَ باسم دور قُنى والنسبة اليه قُنّائي أو الدورقُنّي[٣] .

---

١) ياقوت : معجم البلدان (طبعة ليبسك) ٣ : ٨٧٠

٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ : ١٧٨ ؛ عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبري (طبعة ليدن) ص ٩٦

٣) انظر ماري بن سليمان : أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٤ و ٢١ ؛ عمرو بن متّى : أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٨٦ ؛ هلال الصابئ : تحفة

وذكر السيوطي أنّ القُنّاني منسوب الى قُنا[1]. وقد أخطأ البكري بقوله أنّ « دير قُنّه — بضم القاف وتشديد النون — بفارس »[2]، حيث من الواضح أنّ دير قُنّى واقعٌ في العراق وليس في فارس.

ووردَ ذكره في شهداء المشرق باسم دير قوني[3]، وفي ذخيرة الأذهان تارة باسم دير قُنّي، وتارةً دور قُنّي واخرى دير قوني[4]. وقد تطرّقَ السمعاني في « المكتبة الشرقية » الى هذا الاختلاف في النسبة حيث قال: « دير قوني وعند العرَب دير قُنّى أو دور قُنّى »[5]

وذكره ياقوت في المشترك بقوله: « بضم القاف وتشديد النون، قُنٌّ والنسبة اليه القُنّي »[6]

ولم نقفْ في أنساب السمعاني على ما ينير السبيل في هذه النسبة، فقد قال: « القُنّي بضم القاف وفي آخرها النون المشددة المكسورة وهذه النسبة الى قُنّه »[7]. فهل قُنّه هذه هي قُنّى التي عليها مدار بحثنا ؟ أم هي نسبة الى احدى المواقع العديدة التي ذكرها ياقوت في مادة قُنّة من معجمه والتي هي متفرقة في انحاء جزيرة العرب ؟ وذكر السمعاني في محل آخر من كتابه: « القُنّاي — بضم القاف وتشديد النون المفتوحة في آخرها الياء المنقوطة من تحتها باثنين — هذه النسبة الى . . . . . »[8]، ويلاحظ أنّ الكلمة المطلوبة ناقصة في الأصل.

الامراء في تاريخ الوزراء (طبعة امدروز) ص ٣٨١؛ النسي بطرس نصري: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ٢: ١٠٠

١) السيوطي: لبّ اللباب في تحرير الأنساب (طبعة ليدن) ص ١٨٨ و٢١٣. وقد ذكرها كلّ من مسكويه في تجارب الامم (طبعة امدروز) ٢: ٢٦٠؛ والتنوخي في نشوار المحاضرة ٨: ٣٠

٢) البكري: معجم ما استعجم (طبعة غوتنجن) ص ٢٨١

٣) أدي شير: سيرة أشهر شهداء المشرق ١: ٢٤

٤) ذخيرة الأذهان ١: ٤٠، ١٠٧، ٤٢١

٥) السمعاني: المكتبة الشرقية، القسم الثاني من المجلد الثالث، ص ٢٤١

٦) ياقوت الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صقعاً (طبعة وستنفلد) ص ٣٦١

٧) السمعاني: الأنساب (طبعة مرجليوث) ورقة ٤٦٢

٨) السمعاني: الأنساب (ورقة ٤٦٣)

يرى القارئ انه أُستُعملتْ لهذا الدير بضع تسميات نحصرها فيما يلي: (دير قُنّى، دير قُنّه، دير قُنّا، دور قُنّي، دير قوني). وعندنا أنّ التسميات الأربع الاولى تُطلق عليه في المصادر العربية، والخامسة في المصادر الارمية.

٢ ــ تأسيس الدير

تروي سِيَرُ القديسين أحاديث شتى بشأن مار ماري وتأسيسه ديرًا في موقع دير قُنّى، خلاصتها أنّ امرأة نبيلة كانت تُدعى قوني (لعلّها شقيقة أحد الملوك الفرثيين)، كانت مصابة بالبرص، فشفاها ماري باعجوبة، فقابلته بالإحسان بأنْ وهبته كثيرًا من ضياعها وأراضيها، أمّا هو فاكتفى من ذلك جميعًا ببيت النار المجوسي، حيث شَيَّدَ محلّه ديرًا هو دير قُنّى.

وقد رأينا أنّ مثل هــذه الروايات لا يمكن أن تقوى أمام التمحيصات التاريخية، فاكتفينا بالاشارة اليها دون التوغّل في تفاصيلها وجزئياتها[1].

ولمّا ماتَ ماري، دُفِنَ في هذا الدير، ومن ثَمَّ أصبح مدفنًا لكثير من جثالقة المشرق.

٣ ــ موقع الدير

يقعُ دير قُنّى على «ستة عشر فرسخًا من بغداد منحدرًا بين النعمانية، وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان، وبينه وبين دجلة ميل، وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يُقال لها الصافية وقد خربتْ... وبالقرب منه دير العاقول... والمنحدر في دجلة يرى نوره من بُعد...»[2].

وقد أخطأ ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار عندما ذكر موقعه

---

١) تفاصيل هذه القصة في شهداء المشرق لادي شير ١: ٣٤-٣٦؛ وسير الشهداء والقديسين [بالكلدانية] (طبعة بيجان) ١: ٨١-٨٦؛ ماري بن سليمان، ص ٤؛ ذخيرة الأذهان ١: ٤٠

٢) معجم البلدان ٢: ٦٨٧، نقلًا عن الشابشتي.

حيث قال: « دير قُنّى وهو ببغداد والمدائن أسفل منها باثني عشر فرسخاً . . . راكبٌ على دجلة ».[1]

والصواب فيما ذكره الشابشتي (ورقة ١١٦ من كتاب الديارات) فقد قال: « انه على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد ».[2]

كما أنّ السيد أدي شير في كتابه « كلدو واثور » قد وَهِمَ في تعيين موقع الدير وبُعْدِه عن بغداد ، قال انه « فوق بغداد على ثمانية كيلومترات منها في الجانب الأيسر من دجلة على كيلومترين منه[3] ».

والحال انّ هذا الدير تحت بغداد على تسعين كيلومتراً[4].

وجاء في المكتبة الشرقية « أنّ دير قوني محلٌ عند كوخي في القرية التي يسمّونها بادرايا ».[5]

وفي هذا القول تساهل كبير ، فانّ دير قوني ليس في قرية بادرايا ولا بقربٍ منها.

ويعطينا ابن سرابيون كشفاً بالمواقع التي يمرّ بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من بغداد ، بقوله : « واذا ما تتبعنا مجرى دجلة فالمنحدر يمرّ الى السيب ودير العاقول والصافية ودير قُنّى وهمانية وبرجراي والنعمانية »[6].

وقال القزويني في كتاب آثار البلاد أنّ « بنارق قرية بين بغداد والنعمانية ، مقابل دير قُنّى ، على دجلة ، وهي الآن خراب »[7] .

---

١) مسالك الأبصار (طبعة أحمد زكي باشا) ١ : ٢٥٦

٢) راجع مقالة رائعة للاستاذ حبيب زيّات في نقد « كتاب الديارات » الوارد في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (لغة العرب ٦ [١٩٢٨] ص ٢٢٣-٢٤٢ ، المراجعة ص ٢٢٥) .

٣) تاريخ كلدو واثور لأدي شير : مقدّمة الجزء الثاني ، ص ١١

٤) راجع بحث الاستاذ يعقوب نعوم سركيس بعنوان « مدينة بيث رمّا » (النجم ١٠ [١٩٣٨] ص ٤٩-٥٢ ، المراجعة في حاشية ص ٥٢ ، وفيها تصحيح لما توهّمه أدي شير .

٥) السمعاني : المكتبة الشرقية : القسم الثاني من المجلد الثالث ، ص ٧٤١

٦) ابن سرابيون : وصف ما بين النهرين وبغداد (طبعة لاسترنج) ص ٦

٧) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (طبعة وستنفلد) ص ١٠٦

ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى ، في شمال العزيزية ، أطلال تُعرف بين الأهالي هناك باسم « الدير » وهي ثلاثة تلول كبيرة ؛ الشمالي منها : الدير الاعلى ، والوسطي منها : الدير الاوسط ، والجنوبي : الدير الأدنى . ولعلّها بقايا دير الماقول ودير قُنّى[1] .

وخلاصة القول أنّ دير قُنّى يقع في الجانب الشرقي من دجلة ، جنوبي بغداد على نحو تسعين كيلومترًا منها ، ويبعد عن ضفة دجلة الحالية نحو كيلومترين ، نظرًا لتحوّل مجرى النهر على تعادي السنين . وبالطبع فقد كان عند تأسيسه أقرب الى النهر مما هو الآن ، وفقًا لما جاء في « شهداء المشرق » من « انّ المهاريين قاسوا مشقّات كثيرة لكثرة رطوبة المكان لأنّه كان قريباً من ضفة النهر[2] » ، وكثيرًا ما كان يفرش الرهبان الحصر والثياب من الشط الى الدير عندما ينزل الجاثليق من الشارة لاداء الزيارة المفروضة لقبر مار ماري في الدير[3] .

٤ ــ مشتملات الدير

آ ــ كنيسة الدير

أشرنا قبل هذا الى أنّ مار ماري كان قد وقع اختياره على بيت النار المجوسي ليقيم محلّه ديرًا ويضمنه كنيسة . وتفيدنا المراجع التاريخية[4] أنه عند وفاته كان قد دُفن عن يمين المذبح ، بالبيعة الكبرى بدور قُنّى .

ويؤخذ من فقرات عديدة وردت في كتاب المجدل أن من المراسيم المتبعة عند تبوء الجاثليق لكرسيّه في العراق ، أن ينحدر وفقًا للترتيبات البيعية المقتضاة لزيارة ضريح مار ماري الذي هو في كنيسة دير قُنّى .

واذا تتبعنا حوادث السنين نجد أنه أصابت الدير هجمات متعددة أتلفت

---

١) طه باشا الهاشمي : مفصّل جغرافية العراق (طبعة سنة ١٩٣٠) ص ٥٢٩

٢) شهداء المشرق ١ : ٣٤ . وقد أشار المسعودي الى تحوّل ماء دجلة هناك انظر : التنبيه والاشراف (طبعة ليدن) ص ٥٤

٣) ماري ، ص ١٥٥ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٦١

٤) شهداء المشرق ١ : ٣٥ ، ٤٠ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٠

قسما منه. وقد وقفنا على أن سبريشوع الجداوني[1]، اسقف كاشغر، كان قد جدّدَ بناء الهيكل على أثر إحدى النكبات التي لحقت به. ثمّ تلاه الجاثليق ايليا الثالث المكنى بأبي حليم، فأعاد تجديده بنتيجة تدمير آخر[2].

ولم نعثر أثناء دراستنا هذا الدير على ما يشير الى هندسة الكنيسة، ولم يتفق لأحد الكتبة الإلماع الى شيء من أوصاف البناء، أو أيّ طرز من العمارة كان قد أتخذَ له!

ب ــ مقبرة الجاثالقة

دير قُنى إحدى غرسات ماري رسول المشرق، ثمّ غدا مثوى لجسده، فنال بذلك مركزاً سامياً وأصبح محلاً يزوره المسيحيون للتبرك، كما أنه أضحى مقبرة لأجساد بعض الجاثالقة خلفاء ماري. قال السمعاني «... وأصبح دير مار ماري مدفناً لرؤساء أساقفة سلوقية القدماء»[3] وممن دُفن في مقبرة الجاثالقة هناك اسحق الجاثليق المتوفى سنة ٤١٠ أو ٤١١ م، وداديشوع شمونيل الجاثليق المتوفى سنة ٤٥٦[4].

ج ــ مدارس دير قُنى

لا شكّ أنّ أول مدرسة نشأتْ في دير قُنى، هي التي أسسها مار ماري وسميتْ باسمه، وانجبتْ تلاميذ كثيرين انتشروا في اصقاع البلاد ليبشروا بما تلقنوه من مدرستهم الاولى.

ومن نشأ في هذه المدرسة التي عُرفتْ أيضاً بـ «اسكول مار ماري»، العالِم المنطقي متى بن يونس الذي عظم أمره وخلّف مؤلفات تُعَدّ بالعشرات. ومنهم ايشوعياب القنّائي، فقد تعلّمَ في اسكول مار ماري وأسيم قسّا ودبّر

---

١) التراجم السنية لايليا الثالث (طبعة الفسّ بعقوب نعمو الكلداني) المقدمة، ص ١

٢) عمرو، ص ١١١

٣) المكتبة الشرقية: القسم الثاني من المجلد الثالث، ص ٧٤١

٤) ذخيرة الاذهان ١: ١٠٧، ١٣٠

الاسكول بعد ذلك[١].

ومن المدارس التي حازت شهرة في دير قُنّى «مدرسة مار عبدا»، ويجدر بنا أنْ نسوق هنا كلمة عن هذه المؤسسة التي يحقّ ان نسمّيها باصطلاح اليوم كلية. فقد قال ماري بن سليمان أنّ «مار عبدا (وهو عبد يشوع القناني) تمهّر في اسكول بلده واسمه قنّا وبنى في بلده (دير قُنّى) ديرًا عظيماً واسكولًا جمع فيه جماعة وعلّم وتنصّر جمع غفير من الناس على يده»[٢].

ويؤخذ مما ذكره «التاريخ السعردي» أنّ مار عبدا بنى ديرًا عظيماً واسكولًا جامعاً وصار اليه الناس من كلّ موضع... واستغنى مَنْ يريد التعلّم باسكوله عن الخروج الى الرها[٣].

وممن تمهّر فيه أخي ويابالاها الجاثليقان اللذان دبّرا الاسكول بعد تخرّجهما منه مدة طويلة[٤].

وكانت اللغة العربية، فضلًا عن الارمية واليونانية، تُدرَّس في هذه المدرسة العظيمة، كما كانت تُدرَّس في مدارس نصيبين والرها وسلوقية. ويُضاف الى هذه اللغات مجموعة قيّمة من العلوم والفنون كالنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى والفلك والطب والفلسفة والعلوم الدينية. وبطبيعة الحال فقد كان لهم خزانة كتب حافلة تضمّ الكثير من المؤلفات القيّمة التي كانت متداولة في ذلك العصر[٥].

ولكنّ شيئًا لا يستقرّ على حال. فقد حدث يوماً أنّ الملك فيروز أصدر امره الجائر — في اواسط القرن الخامس للميلاد — بهدم البيع والديارات وما اليها من المؤسسات، فكان اسكول مار عبدا إحدى تلك الضحايا[٦].

١) ماري، ص ١١٧؛ وراجع عن هذه المدرسة ما جاء في مقالة نفيسة للأب أنستاس ماري الكرملي، بعنوان مدارس الرُّوراء في عهد الخلفاء (المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٤٤٥).

٢) ماري، ص ٣٨

٣) التاريخ السعردي (طبعة أدي شير في باريس) ١: ١٩٥

٤) ذخيرة الاذهان ١: ٩٥، وعمرو بن متى، ص ٣٥

٥) ادي شير: كلدر واتور، ص ٧ من مقدّمة المجلد الثاني.

٦) التاريخ السعردي ٢: ١٥؛ وماري، ص ٤٣

د ـ سور الدير

دير قُنّى «دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سورٌ عظيم عالٍ محكم البناء»[1]. هذا ما قاله ياقوت في معجمه. ونستدلّ من كلامه أنّ هذا السور كان لا يزال منيعاً في حدود سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) وذلك عند اقتراب العساكر السلجوقية من قرية بنارق القريبة من دير قُنّى وانهزام أكثر سكانها. قال بعض اولئك المنهزمين: «فلمّا كان الليل عبرنا دجلة لنجيء الى دير قُنّى لأنّه ذو سورٍ منيع. وبقينا فيه ثمّ تفرقنا في البلاد.»[2]

وقد ظلّ هـذا السور قائماً حتى اواخر عهد الدير، وكان لا يزال ماثلاً للعيان أيام ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١١٢٨ م) حيث قال: «. . . ويسكنه الآن بعض الرهبان الصعاليك»[3]، وهذا يشير الى أن الدير قد وصل الى درجة بالغة من الانحطاط وآل أمره الى أن هجره أغلب رهبانه، حتى لم يعدْ فيه منهم سوى تلك الشرذمة.

هـ ـ قلالي الدير

امّا قلالي الدير فكان عددها حسب رواية ياقوت مائة قـلّاية لرهبانه والمتبتلين فيه، كلّ واحدة منها لراهب؛ وكانوا يتبايعون هذه القلالي بينهم بمبالغ تتراوح من ألف دينار؛ الى مائتين؛ الى خمسين ديناراً. وكان حول كلّ قلّاية بستان ذو ثمار. ولا ريب أن أثمان القلالي كانت تختلف باختلاف مواقعها واتقان بنائها واتساع البساتين المحدقة بهـا وارتفاع غلالها، وكانت هذه القلّة تباع من مائتي دينار الى خمسين ديناراً.

نرى من هذا ان قلالي الدير كثيرة العدد غالية الثمن، لكننا لم نجد شيئاً يدلّ على تخطيطها أو طرازها المعماري، اذ لم يحتفلْ أحد القدماء بمثل هذه النقاط

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ؛ والشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧

٢) معجم البلدان ١ : ٧٣٩ ؛ وراجع آثار البلاد للقزويني، ص ١٠٦ ؛ مادة بنارق.

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

والاوصاف المهمة[1].

و ـــ مزروعات الدير

الزراعة من الاعمال الضرورية التي يقوم بها الرهبان ، « فكانت الأديار والقلالي محفوفة بالبساتين والرياض ، فيها أصناف الأشجار والثمار والبقول والرياحين وكانت المزروعات تتنوّع بتنوّع الأمصار والأتربة وتكثر أو تقلّ حسب مستغلّها ورواج مبيعه في حاجات الدير ، وكانت الكروم من ثَمَّ اوفرها انتشارًا واوسعها بقاعاً ، ومن هذا ما اشتهر به دير الزندورد بالجانب الشرقي من بغداد ، ونظيره في كثرة الفواكه والاترج والأعناب دير قُنّى. »[2]

وما يقوم بزراعته رهبان الدير يكون لهم موردًا لاقتناء حاجيات الدير ولوازمهم ، ومن هذا ما ذكره ياقوت: « انّ حول كل قلّاية بستان فيه من جميع الثمار ، يقضي الراهب فيه قسماً من نهاره ، وتُباع غلّة البستان منها ؛ من مايتي دينار الى خمسين دينارًا. »[3]

وكانت المياه تساق الى بساتين القلالي من نُهير كان يجري في وسط الدير[4] ، ولا شكّ أنّ مياه هذا النهير كانت تؤخذ من النهروان باعتبار أن مستواه أعلى من مستوى دجلة .

٥ ـــ الاعياد المحتفل بها في الدير

لكلّ دير من الاديار عيد خاص ينفرد به تقريباً دون سواه ، فيشمل جمالُ العيدِ وبهجتُه جميعَ سكان الدير ويمتد الى ما يجاور الدير من قرى وأرياف ، فيخرج الرهبان والقسوس في ذلك العيد الى المذبح وبأيديهم المجامر ، وقد تقلّدوا الصلبان وتوشّحوا بالمناديل المنقوشة ، وجميعهم يرتلون التراتيل الدينية ،

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ، وراجع « الديارات النصرانية في الاسلام » للاستاذ حبيب زيات ، ص ٣٠

٢) الديارات النصرانية في الاسلام ، ص ٢٢

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

٤) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

فتتجلّى عندئذٍ عظمة العيد وجماله ، ويتقاطر الأهالون من القرى المجاورة ليشتركوا بهذه المظاهر . ولا شك أنّه كان لدير قُنّى عيد خاص به ؛ ذكره بعض المؤرخين ، من ذلك ما قاله ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع : « ولدير قُنّى يوم مشهود عند النصارى يقصدونه فيه ، وكان فيه صخرة مصنوعة يُنضح منها الدهن في يوم عيده ، فيأخذه النصارى للبركة ويستونه طيبوث »[1] .

ومن الأعياد العظيمة في هذا الدير عيد الصليب . قال الشابشتي : « انّ عيد الصليب هو اكبر عيد في الدير . »[2] وكثيراً ما ينحدر الجاثليق الى دير قُنّى ، ليقوم بنفسه بالمراسيم العظيمة التي تُقام في هذا العيد .

٦ ــ النواحي المجاورة للدير

يجاور الدير ديارات اخرى وقرى متعددة ، فمن هذه الديارات : دير العاقول ، ودير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي . ومن القرى : قرية دير قُنّى ، وبنارق ، وبادرايا ، وباكُسايا ، والصافية ، والجُدَيدة ، وغيرها . لكنّ ما يلامس موضوعنا اليوم بصورة مباشرة من هذه المواقع هو : قرية دير قُنّى ، التي سنختصها دون غيرها بكلمة فيما يلي :

قرية دير قُنّى

الى جانب هذا الدير قرية كبيرة تُعرف أيضاً باسم دير قُنّى ، أخرجت عدداً من الكتّاب والوزراء[3] ، وقد ذكر الطبري هذه القرية بقوله : « إنّ أبا أحمد بن المتوكل كان بالفرك ، فأعدّ الشذا والسميريات والمعابر والسفن[4] ؛

---

١) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع (طبعة ليدن) ١ : ٤٣٧ . والطيبوث من الارمنية (ԹԱՓԹՈՒԹ) انظر : مسالك الابصار : قسم التصويبات ، ص ١٢ والصليب في الاسلام لحبيب زيات : حاشية ص ٤٤ ؛ وكذا التراجم السريانية : حاشية ص ٣٤٠

٢) الشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧

٣) مسالك الابصار ١ : ٣٥٦

٤) هذه من وسائط النقل الشهرية في ذلك العصر . ومن ارادَ التوسع في معرفتها فليراجع مقالة نفيسة نشرها الاستاذ حبيب زيات في مجلة لغة العرب (٥ [١٩٢٧] : ٤٠١-٤٠٦) بعنوان « السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسيين »

للرحيل لمحاربة صاحب الزنج ، فصار الى رومية المدائن ، ثم صار منها فنزل السيب ثم دير العاقول ثم جرجرايا ثم قُنّى .»[١]

وخالط ياقوت بعض الشك ، في كتابه « المشترك » لدى كلامه على مادة (قُنّ) ، حيث قال : « وقُنّ اسم قرية على ظنّ أبي سعيد . قال: وعُرف بهذه النسبة أبو مُسعَاد عبد الغالب ابن جعفر بن الحسن بن عليّ الضرّاب يُعرف بابن القُنّي . . . (قال ياقوت) : وأنا أظنه منسوباً الى دير قُنّى بين بغداد وواسط ».[٢]

وأشار ابن عبد الحق الى أنّ هذه القرية كانتْ من قرى النهروان [٣]

وقد مزج المسعودي بين دير قُنّى والصافية ، القرية المقابلة لها بقوله : « وتفرّقَ تلاميذ ايشوع الناصري في الأرض ، فصار ماري الى ما دنا من العراق فمات بمدينة دير قُنّى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط . وهذا البلد بلد عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، ومحمد بن داود بن الجرّاح وغيرهما من الكتاب . فقبره هنالك في كنيسة الى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة ، تعظّمه أهل الدين النصرانية ».[٤]

والغريب أنّ اسم دير قُنّى حُرّف الى برمى ، في الطبعة المصرية لمروج الذهب (انظر ١ : ١٩٣ من طبعة القاهرة لسنة ١٣٤٦ هـ) .

وقد أُقيم في قرية دير قُنّى ديارات أُخرى ، منها الدير الذي شيّده مار عبدا القنّائي ، الذي نُصّبَ فيه مدرسة كلية كما أوضحنا آنفاً .

وصادف أنّ المتوكّل تغيّر على بختيشوع الجاثليق ، فهدم ديراً بدور قُنّى وأقطعه لمحمد بن جميل صاحب الشرط ليبنيه منزلاً ، وأُخرجتْ عظام مار ابراهيم ورُميتْ في دجلة ، وقيل أنّه كان يُرى على الماء مثل السراج مدة طويلة[٥] .

---

١) تاريخ الامم والملوك للطبري (طبعة ليدن) ، السلسلة الثالثة : ص ١٩٦١

٢) المشترك ، ص ٣٦١

٣) المراصد ١ : ٤٣٧

٤) مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس) ٣ : ٣٠٠

٥) ماري ، ص ٧٩

٧ ـ مشاهير دير قنى

لا يسعنا في هذه العجالة إلّا ذكر كلمة عن أبرز نوابغ هذه البقعة ، وان استقصاء اخبارهم مما يطول شرحه فيخرج بنا عن الحدود التي رسمناها في هذا البحث فاكتفينا بذكر اثني عشر منهم :

آ ـ مار عبدا

هو مار عبديشوع القنّائي ، كانت امه فاسدة ؛ والاعجوبة ان تلد امرأة فاجرة قديساً . ولمّا ولدته طرحته في البيعة وكفله النصارى وربّوه ، وتعلّم في اسكول بلده وتمهّر وأسيم قسّاً ، وبنى ديراً عظيماً واسكولاً جامعاً وصار اليه الناس من كلّ موضع ؛ فعظم أمره وصار فيه ستّون نفساً معلّمون وغيرهم[1] .

ب ـ الجاثليق ايشوعياب (الرابع) بن حزقيال

من دور قنى ، تعلّم في اسكول مار ماري وأسيم قسّاً فحُمِدتْ طريقته وحَسُنَ أثره في العفة والعلم ، جعله الجاثليق عبد يشوع الاول اسقفاً على القصر والنهروانات ... ودبّر الاسكول بقية ايام عبد يشوع . وكانت وفاته سنة ١٢٠٦ م[2] .

ج ـ أخي الجاثليق

من تلاميذ مار عبدا ، وكان قبل جثلقته قد أنتخبَ رئيساً لدير مار عبدا ، وفوّض اليه تدبير الاسكولانيين فيه .

ولما توفي اسحق الجاثليق اجتمع أصحاب الاختيار وأسيم أخي على الرسم بالمدائن سنة ٤١٨ م . وأخبه يزدبرد . ثم ذهب الى فارس فسأل عن قبور الشهداء الذين قباوا الشهادة في أيام شابور وقد ألّفَ كتاباً أثبتَ فيه أخبار الشهداء .

---

١) التاريخ السمردي ١ : ١٦٥-١٦٦ ؛ ماري ، ص ٢٨ ، ٣٤ ؛ عمرو ، ص ٢١ ؛ كتاب الرؤساء لتوما المرجي (مقدمة المستشرق بدج) ١ : ١٣١ ؛ شهداء المشرق ٢ : ٢٧٦ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ٦٥-٦٦ ، ١٠٧ ؛ كلدو واشور ٢ : ٣

٢) ماري ، ص ١١٧ : ذخيرة الاذهان ١ : ٤٥

الذين استشهدوا بالمشرق ، وأثبتَ هذه الأخبار ايضاً دانيال بن مريم في تاريخه المسمّى اقلاسيطيقي . وألّف أحيّ ايضاً سيرة مار عبدا . وكانت مدة جثالقته اربع سنين ، واستناح ودُفن بالمدائن[1] .

د ــ متّى بن يونس

قال ابن القفطي: «متى بن يونس النصراني المنطقي ، ابو بشر نزيل بغداد ، عالم بالمنطق ، شارحٌ له ، مُكثِرٌ وَطِئَ الكلام ، قصدُهُ التعليم والتفهيم . وعلى كتبه وشروحه إعتماد أهل هذا الشأن في عصره ومصره . وكان ببغداد في خلافة الراضي بعد سنة عشرين وثلثمائة ؛ وقيل سنة ثلثين . وله مناظرة جرتْ بينه وبين ابي سعيد السيرافي النحوي في مجلس عام بحضرة الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة .

وذكره ابن النديم في كتاب الفهرست فقال : ابو بشر متّى بن يونس من أهل دير قُنّى ، ممّن نشأ في اسكول مار ماري ، قرأ على قُوَيري وعلى روفيل وبنيامين وعلى أبي أحمد بن كَرْنيب ، واليه انتهتْ رئاسة المنطقيين في عصره .

ومن تصانيفه : كتاب تفسير الثلاث مقالات الاواخر من تفسير ثامسطيوس ، كتاب نقل كتاب البرهان ، كتاب نَقْل كتاب سوفسطيقا ، كتاب نَقْل كتاب الشعراء ، كتاب نَقْل كتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر ، كتاب نَقْل اعتبار الحِكَم وتعقُّب المواضع لثامسطيوس ، كتاب نَقْل كتاب تفسير الاسكندر لكتاب السماء واصلحه ابو زكريا يحيى ابن عدي ، وفسّرَ متى الكتب الاربعة في المنطق بأسرها وعليها يعوّل الناس في القراءة ، وله تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس وهو المدخل الى المنطق ، كتاب صدر كتاب انالوطيقا ، كتاب المقاييس الشرطية»[2] .

---

١) عمرو ، ص ٣٥ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ١٠٧ ؛ التاريخ المرديني ١ : ٢١٢ ؛ وقد ذكر ماري (ص ٣١) أنّ مدّة رئاسته كانت سبع سنين وأشهُر ، خلافاً لسائر المراجع التي تقول أنها كانت أربعاً .

٢) تاريخ الحكماء للقفطي (طبعة ليبسك) ص ٣٣٣ ؛ الفهرست لابن النديم (طبعة ليبسك) ص ٣٦٢ ؛ التنبيه والاشراف للمسعودي ، ص ١٢٢ ؛ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (طبعة

وكانت وفاة متّى بن يونس ببغداد سنة ٩٤٠ م .

هـ ــ الفضل بن يحيى بن فَرْخان شاه الديراني النصراني

كان من دير قُنى . وحدث يوماً ان قبض الخليفة المقتدر على جميع املاكه ، وكانت للفضل عند رجلٍ مائة وخمسون ألف دينار فأُخذتْ ايضاً من الرجل وضُمّتْ الى ما صودِرَ منه ، وزوّجه شغيب المقتدري بأمر الخليفة ، ومعه غلمان وخَدَم ، الى قُنى فأحصوا تركة الفضل وضياعه . وكانت وفاته سنة ٩١٥ م [1] .

و ــ الحسن بن مَخْلَد بن الجرّاح

هو ابو محمد الكاتب الوزير ، وُلِد في قرية دير قُنى سنة ٢٠٩ هـ ، وعُيّن على ديوان الضياع سنة ٢٤٣ هـ ، ثم ولّاه الخليفة العباسي المعتمدُ منصبَ الوزارة في سامراء سنة ٢٦٣ هـ ، وكانت هذه المدينة اذ ذاك مقرّ الخلافة العباسية ، وكان الحسن بن مَخْلَد في الوقت عينه كاتب سرّ الموفق أخي المعتمد . ولكن الحسن فرّ بعد شهرٍ تقريباً الى بغداد عندما وصل موسى بن بغا الى سامراء ، وعندئذٍ تولّى الوزارة عوضه سليمان بن وهب ، وتولّى كتابة السر ولدُه عبيدالله . وفي العام التالي طُرِد سليمان ونهب بيته ، وبذلك تولّى الحسن الوزارةَ للمرة الثانية . ثم دارتْ الايام عليه مرة أخرى فصُودِرتْ املاكه وأخيراً نُفِيَ الى مصر حيث ابن طولون على دست الحكم ، فأكرمَ هذا مثواه ، ولم تمضِ مدة وهو في نعيمه هذا ، إلّا انقلب النعيم جحيماً ، فأمر ابن طولون بالقاء القبض على الحَسَن فحبسه ثم دسّ اليه في شربةٍ فقتله بها ، وتندّم أخيراً على قتله ، وكانت وفاته سنة ٢٦٩ هـ [2] .

ملر) ١ : ٢٣٥ ؛ تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ٢٨٥ . وفي « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » ، للاب لويس شيخو اليسوعي (ص ١٩) ذكر ما تبقى من مؤلفاته .

١) صلة تاريخ الطبري لعريب ، ص ٥٩

٢) المطمة الاسلامية (الترجمة العربية) ١ : ٢٧٤ ، الطبري ٣ : ١٤٣٥ ، ١٩١٥ ؛ التنبيه والاشراف ، ص ٣٦٩ ؛ تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ٢ : ٦٠١-٦١٧ ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية) ٣ : ٢٧ ، ٤٥ ؛ الكامل لابن الأثير (طبعة اوربة)

ز ــ أبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود ابن الجرّاح

من أهل دير قُنّى ، كتبَ في الدواوين وتقلّد كثيرًا منها رئاسةً . وتولّى الوزارة سنة ٣٠١ هـ في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله . كان من خيار الوزراء ، محبًّا لمجالسة العلماء ، تُوفي سنة ٣٣٤ هـ[1] .

ح ــ الوزير ابن الفيّاض

كان من دير قُنّى ، وصلنا عنه أبيات شعرية مدحه بها البحتريّ وهي هذه :

ما تُقَضَّى لُبانةٌ عِند لُبنَى ؛ والمُنَى بالغايات سُنَّى !
ترلوا رَبوة العراق ارتيادًا أيُّ أرض أشفُّ دارًا وأسنى ؟
بين دير العاقول مُرتَبَع أشـــرف مُحتلُّه الى دير قُنّى ،
حيث بات الزيتونُ من فوقه النخلُ عليه ورقّ الحَمام تَغَنّى .
ما المَعالي إلّا المكارمُ تردا دُ ، وإلّا مصانعُ المجد تُبنى (٢

ط ــ مالك بن شاهي النِفّري

من دير قُنّى ، كان يسعى مع بعض رفاقٍ له في البيعة لابراهيم بن المهدي ، فأرسلَ المأمون بطلبهم ، وضربه مع أصحابه وحبسهم ، وكان ذلك سنة ٢١٠ هـ[2] .

ي ــ محمد بن عليّ القنّائي

كان من اصحاب الحلّاج ، فقُبض عليه وكُبسَ داره فوُجد فيها دفاتر مكتوبة بماء الذهب ومبطّنة بالديباج والحرير ومجلّدة بالأدَم ؛ وأشياء أخرى

٥٤:٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ؛ الفخري لابن الطقطقي (طبعة باريس) ص ٢٤٣ ؛ نشوار المحاضرة للتنوخي ١ : ٢٠ ، ٢٢ ، ٨ : ٣٠ ، ٦٦

١) تاريخ الوزراء للصابئ ، ص ٢٨١ ؛ النجوم الزاهرة ٣ : ١٩١ ، ٢٨٨ ؛ مروج الذهب ٢ : ٣٠٠ ، صلة الطبري ، ص ٩٦ ، ١٦٥ ؛ نشوار المحاضرة ١ : ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ٢٢٥ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ١٣٩

٢) مسالك الابصار (ص ٣٥٧) .

٣) معجم البلدان ٣ : ٦٨٧ ؛ اليعقوبي ٣ : ٥١٦ ؛ الطبري ٣ : ١٠٧٣ ، ١٠٧٥ ؛ تاريخ بغداد لابن طيفور (طبعة ليبسك) ٦ : ١٠٠ ، ١٧٦

من آثار الحلّاج[1].

ك ــ أبو قرّة الحسين محمد بن عليّ القنّائي

رجلٌ من دير قُنّى ، حسن الذكاء نشأ بين كتّاب واسط وعلّمها وتخرّج معهم واختص بأحمد ابن عليّ القنّائي ، فتمهّر ؛ ولم يزلْ يتدرج في التصرّف حتى تقلّد رئاسة مدينة واسط . وفي سنة ٣٦٠ هـ قُبض عليه بقرية الجامدة من أعمال واسط وحُمل الى جنديسابور فمات بها[2].

ل ــ أبو عبدالله حمد بن محمد القنائي

ابن اخت الوزير الحسن بن مَخْلَد الجرّاح ، خلف خاله دفعاتٍ على ديوان الخراج ومرةً على ديوان الضياع ، ثم ولي الخراج والضياع العامة بالسواد[3].

٨ ــ اقوال الشعراء في دير قُنّى

تَغنّى الشعراء بمقطّعات وقصائد في هذا الدير ، وأطلقوا العنان لقرائحهم في التصوّر والتفنن في النظم ، وأمامنا بعض المقطعات الخالدة من جمال الشعر :

قال ابن جمهور ، وهو ابو عليّ محمد بن الحسن القسّي :

يا مقرل اللَّهْو بدير قُنّى ، قلبي الى تلك الرُّبى قد حَنّا !
سَقْيًا لأيّامك ، لمّا كُنّا نختار منك لَذّةً وحُسْنا ،
أيامَ لا أنْعَم عيش منا ، اذا اتّشينا وصَحَونا ، غُدْنا .
وان فني دَنٌّ ترلنا دَنّا ، حتى يُظنّ أنّنا جُنّا .
ومُسعِدٌ في كلّ ما أردْنا ، يحكي لنا الغُصْنَ الرطيبَ اللَّدْنا ،
أحسن خلق الله ، اذ زانحنا ، وجسّ زير عوده وغنّى .
بالله ، يا قسّيس ، يا با قُنّى ، متى رأيتَ الرشأ الأغنّا ؟
متى رأيت نَشْيَتي تَحنّا ، آه ، اذ ما ماسَ أو تثنّى ،
أسأتُ اذ أحسنتُ فيك الظّنّا !

---

١) صلة الطبري ، ص ٦٠ ، ٦٦
٢) تجارب الامم لمسكويه ٢ : ٢٦٠ ، وحاشية ص ٢٨٩
٣) نشوار المحاضرة ٨ : ٣٠

وبات فيه الوزير عليّ بن مقلة ثم أصطبح فيه ، وقال :

باتتْ بدِيرِ تَجنِّي غارَ الجُناحْ ، بدير قُنَّى من وُجُوهٍ ملاحْ !
حتى تَلا الراهبُ مَزْمُورَه ، وضَمَّخ الأُفْقَ خَلُوقُ الصَّباحْ .
فهَلْ فَتًى يُسْعِدُني عاقِدًا ذَيْلَ غُبُوقٍ بذَيولِ اصْطِباحْ ؟
أُطيعُه في كل ما يَشْتَهي . كطاعةِ الرِّيشِ لِأَمرِ الرياحْ ؟ (١)

وللبحتري أبيات يمدح بها الوزير ابن الفيّاض ذكرناها لدى الكلام عن هذا الوزير . ولابن الحدّاد المصري قصيدة يصف كأساً فيه صورة كسرى تحت شجرة وردٍ :

إنَّ عَجزًا كما نكون وغَبْنًا أن نُرَى صاحِيَيْن في دير قُنَّى !
حُبِّذا روضُهُ المدبَّجُ لَيلًا ، وهواه ذاك المُسَكُّ رُدْنَا !
يَمَّمَ ألْبَسَتْ من الزَّهْرِ ثوبًا ، فَتَراها ترداد طيبًا وحُسْنَا !
قد جَرَى السَّلْسَبيل بالمِسْكِ فيها فَحَوَتْه الدِّنَانُ : دَنًّا فَدَنًّا .
كم سَحَبْنا به من اللَّهوِ ذَيْلًا ، واغْتَمَرْنا به من العيش غُصْنًا !
وخَلَونا بخُسْروانيّ كِسْرَى وهو يُسْقَى طَورًا وطورًا يُغَنَّى ،
غَنَّتا فَرْدةٌ من الوَرْدِ ، إلّا أنها من أنامل البدر تُجْنَى ! (٢)

وحكى جحظة البرمكي قال : كنتُ بحضرة اسماعيل بن بُلْبُل بواسطَ أيام حرب العلويّ البصريّ ، والموفّق الناصر يقاتله . فلما انصرفتُ رافقني البحتري ، وكان قد زار ابن بُلْبُل . فلما وصلنا الى دير قُنّى قال لي : ويحك يا جحظة ! هذا دير قُنّى وهو من الحُسْن والطيب على ما ترى ! وانتَ انتَ ! وطنبورُك طنبورُك ! فهل لك ان نقيم به اليوم ، فنشربَ ونطرب ، وننعمَ ونلعب ؟ فقلتُ : نعم ! ولم يكنْ معنا نبيذ . فسألنا عمن يقربُ منّا من العمّال ، فكتب اليه البحتري :

يا ابنَ عِيسى بنِ فَرْخانَ ، وللفُرْسِ بعيسى بن فَرْخان افتخارُ !
قد حَلَلْنا بدير قُنّى ، وما نبغي قِرًى غيرَ أن يكون عُقارُ ؟

١) مسالك الابصار ، ص٣٥٧

٢) معجم البلدان ٤ : ١٧٨ ، ومسالك الابصار ، ص٣٥٧ ، وبينهما بعض الاختلاف في في تدوين هذه الابيات .

فاسْقِ من حيثُ كان يشرب كسرى عُصْبَةً كلُّهم ظِماءٌ حِرارُ
من كُمَيتٍ تولَّت الشمسُ منها وما تولَّته من سِواها النارُ.

فوجّه اليه عشرين دنّاً شراباً ، ومائة دجاجة ، وعشرين حملاً ، وفاكهةً . وعملتُ في الأبيات لحناً . فلم تزلْ تشربُ عليه يومَنا وليلَتنا ، وأخذتُ فيها معنًى فقلتُ :

وبات يَسقينا جِنانيّةٌ ضنَّت بها الشمسُ على النار ! (١

٩ — زهايةُ الدير وانقراضه

لم تصلنا معلومات كافية عن خراب هذا الدير الكبير ونهايته ، وجلّ ما بلغنا اخبار متضبة ، من ذلك ما ذكره ياقوت (المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ) بقوله : « واما الآن فلم يبقَ من هـذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك ، كأنه خرب بخراب النهروان ».(٢

واننا نعلم أن سبب خراب النهروان هو اختلاف السلاطين السلجوقيين وقتال بعضهم لبعض ، ومنافساتهم التي دمّرت كل عمران(٣ . ولا يخفى أنّ الصدمات التي لاقاها الدير كانت كثيرة العدد بالغة التخريب ، فقد قال ماري ابن سليمان ان الملك فيروز بعد عودته من بلد الترك (أيام بابويه) عادَ الى شرّه ورام محق النصرانية ، فصار يهدم البيع والديارات . ومن المؤكد أن بعض شظايا هذه النكبة كانت قد أصابتْ دير قُنى فأبادتْ قسماً من معالمه(٤ .

ومن النكبات التي حلّت به انّ الكواكبي المعروف بابن البقّال ، الذي كان معلماً لبهاء الدولة ، اعتقل الجاثليق ببغداد ، وانحدر الى دير قُنى ، وتناهى في القبح وفعل الشرّ ، فشتّت الرهبان وصادرهم ، فقُبِضَ عليه وحُمل الى بغداد

---

١) مسالك الابصار ، ص ٢٥٨ .
٢) معجم البلدان ٣ : ٦٨٧
٣) معجم البلدان ٤ : ٧٢٩ ، مادّة بنارق
٤) ماري ، ص ٤٣ ؛ والتاريخ السعردي ٣ : ١٥

وقُتل ورُميتْ جيفتُه الى الماء[1].

ويؤخذ من كلام ابن عبد الحقّ في مراصد الاطلاع أنّ هـذا الدير قد استولى عليه الخراب في عهده ، ومن المعلوم أنّ وفاته كانتْ في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد.

ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى أطلال عمارات قديمة يسميها الاهلون هناك « الدير » ولا يبعد أن تكون تلك الأطلال بقايا دير قُنّى ودير العاقول ودير مار جبرائيل[2].

خاتمة

نخرج من بحثنا ان هذا الدير الشهير ظلّ عامرًا برهبانه مدة طويلة قد تبلغ الألف سنة ، ثم تطاولتْ عليه يد الزمن وانتابته الأهوال فألحقته بالكثير من رفاقه ، التي صرنا لا نعلم عنها أكثر مما نقع عليه من الشذرات المتناثرة في بطون الكتب.

١) ماري ، ص١٠٨ و١٠٩

٢) « موضع مقتل المتنبي » للاستاذ يعقوب نعوم سركيس (مجلة الاعتدال النجفية ، [١٩٣٧] ص ١٦٥)

اخبار حلب وحوادثها

من السنة ١٨٥٥ الى السنة ١٨٦٥

اخذًا عن يومية المعلّم نعوم البخّاش

المخطوطة الوحيدة ، نشرها وعلق عليها

الاب فرديناند توتل اليسوعي ٧

– السبت ، في ١١ حزيران ١٨٦٤ ، في ٦ محرم ١٢٨١

[١٤٤٢] ــ الخميس اجا خبر مطران انطون سمحيري الذي صار بطرك السريان الآن توفي ونوبوا من المجمع الى مطران جرجس شلحت يكون معلوم. ــ والسبت خطب مخائيل عجوري الى منوش بنت المرحوم يوسف حمصي عديل مقدسي فرج الله ضاهر .

– في ١٨ حزيران ١٨٦٤ ، في ١٣ محرم ١٢٨١

[١٤٤٣] ــ الخميس بالليل انغزمنا لبيت نعوم عبجي سهره موزيكا ليكره ــ الجمعة هوا زايد من يوم الاثنين لحد الان وموجود كثير جراد .

– السبت ، في ٢٥ حزيران ١٨٦٤ ، في ٢٠ محرم ١٢٨١

[١٤٥١] ــ الاثنين قعد عندي ابن نعوم صاجاتي اسكندر ــ الخميس سكرت (المدرسة) رحت عرس مخائيل عجوري لبنت يوسف حمصي والجمعة وقع نعوم بن جبرا صايغ وانكسرت قصبة ايده وقسطاكي ض وقع الاربعا في بيتهم وفظر جبينه وعلّقوا له علق . وليلة السبت صار مطر بالليل وفيّق الناس لان تاعين بالحواش والاسطحة وكبست مليح .

– السبت ، في ٢ تموز ٦٤ ، في ٢٧ محرم ١٢٨١

[١٤٥٢] ــ الاحد رسم مطران جرجس شلحت الى عبدالله ابن عمي قسيس وسماه روفائيل وباركت له بالقسوسية .

– السبت ، في ٩ تموز ١٨٦٤ ، في ٤ صفر ١٢٨١

[١٤٥٣] الاحد سافر رزق الله سالم مصر وكتبت ديوان بيت الوكيل

صمديه[1] والاربا الساعة ٣ من الليل سافر مطران جرجس شلحت الى مردين لضبط تركة بطرك انطون سمحيري ومعه قس مرقس بن القندلفت وقس[2] المارديني . والخميس توفي رزق‌الله جهامي واجوا اولاد البردخجي من ازمير نعوم واخوه يوسف .

– السبت ، في ١٦ تموز ١٨٦٤ ، في ١١ صفر ١٢٨١

وسافرت مراة الكلداني قلنجي لمصر لاجل عرس ابنها

[١٤٦'] قراوا منشور من المطران جرجس شلحت نايب البطريركي وريس خوري يوسف ياقين بداله بحلب ــ الاحد انعزمت لعماد بن نعوم صاجاتي وسموه بكشور عمانويل وسافر مخائيل عجوري الى البلاد ومعه مخائيل الشدياق والقس المارديني الى الشرفة .

– السبت في ٢٣ تموز ١٨٦٤ ، في ١٧ صفر ١٢٨١

[١٤٦'] سافر اناس ليبرتلي بحر الاسود ــ الثلاثا سافر غيرهم برا ــ والخميس قرأ مطران يوسف مطر[3] مكاتيب مطران جرجس شلحت النايب البطريركي باسم الريس خوري يوسف ياقين .

– السبت ، في ٣٠ تموز ١٨٦٤ ، في ٢٥ صفر ١٢٨١

[١٤٦'] ــ الاربا مات الشيخ كيال وقبروه بالليل .

– السبت في ٦ آب عيد التجلي ١٨٦٤ في ٢ ربيع الاول ١٢٨١

ومسكوا مسبق بك من جبل بيلان وباياس وذكروا ان زلامه مزمعين ان ينهبوا اسكندرونه هكذا قالوا ــ والاربا جابت بنت سيود سوكياس مراة انطون شعراوي بكريه .

[١٤٧'] ــ الثلاثا بدي يكتب ابن الاسود ــ الخميس العويجي مساء انكليزيات ٢ وبراته وزقزوقه .

---

١) الصمدية هي الكوة المفتوحة في الحائط على شكل خزانة بلا باب تصمد فيها الاشياء. الشينة. ٢) قس المارديني . كان اسم القس قات البخاش فترك موضعه ابيض .

٣) جاء ذكر فرحات مطر في سجل معمودية الموارنة في ٣ اذار ١٦٦٧ وكان اشيناً في عماد مريم ابنة موسى الراهبة وكانت الاشينة خورية الحصروني والى هذا البيت ينتسب المطران جرمانوس فرحات الشاعر والاسقف النائبة . (راجع المشرق المجلد السابع)

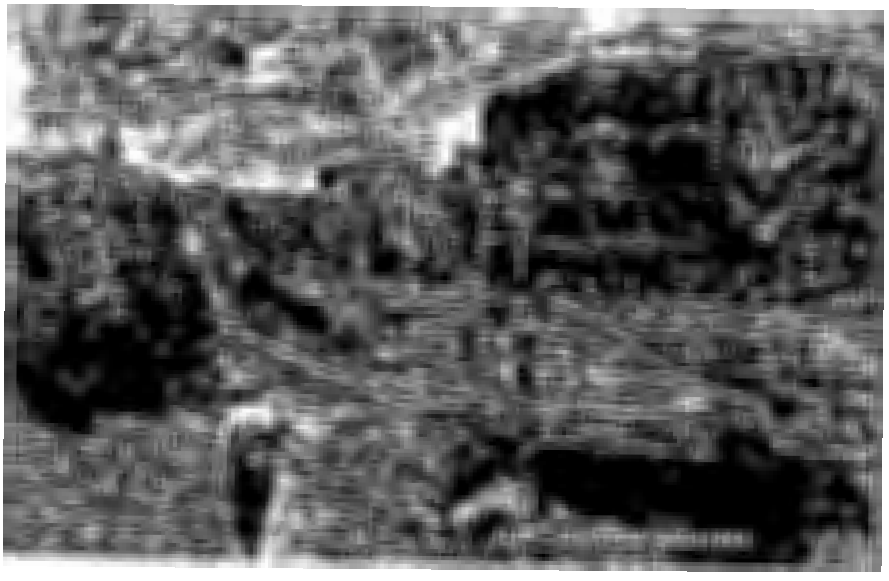

حي المشارقة عند الفويق

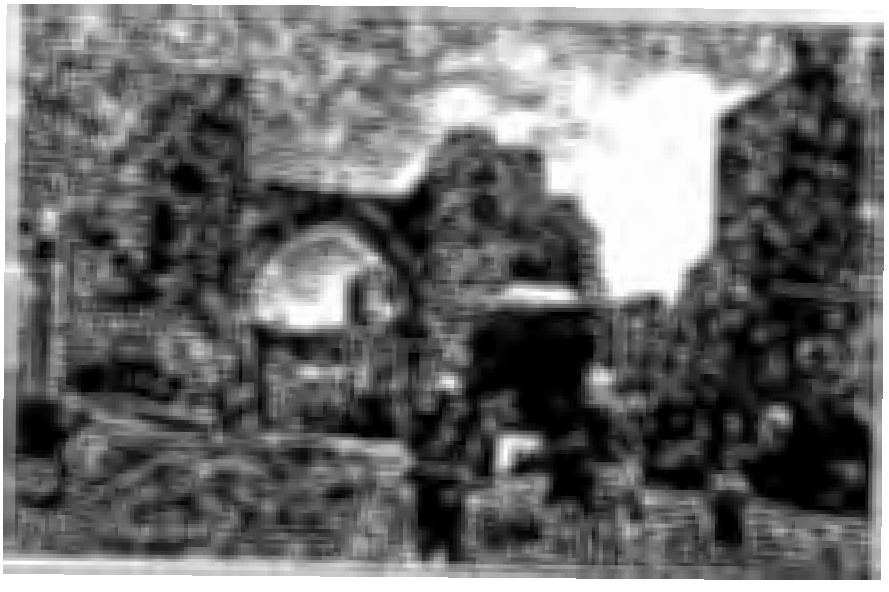

باب المقام وعنه الطريق الى مقابر الصالحين الاسلامية

– السبت ، في ١٣ آب ١٨٦٤ ، في ٩ ربيع الاول ١٢٨١

وكتبت قبر كوكور دوجه‌جي اوغلي ٢٠ غرش .

[١٤٧٢] الاثنين عرس يوسف تركماني الى بنت جنبرت[1] والمذكور تعلم عندي وما عزمني — جرجي سالم رجع يكتب — والجمعة بدي يجي باسيل صاحاتي يقرا ويكتب .

– السبت ، في ٢٠ آب ١٨٦٤ ، في ١٦ ربيع الاول ١٢٨١

[١٤٧٣] — الاثنين اجا ابن جرجس شعراوي من مصر — الجمعة قمت من الفرشة دايخ وفطرت قلب الطير وشربت ليمونادا سخن ركنت شوي .

– السبت ، في ٢٧ آب ١٨٦٤ ، في ٢٣ ربيع الاول ١٢٨١

[١٤٨١]

– السبت ، في ٣ ايلول ١٨٦٤ ، في ١ ر ت ١٢٨١

— الاربعا ماتت بنت شكري خوري بن جبرا بالمدرسة ماتت وطالعوها طلعه كتير كريسه وجابت صبي مراة جرجس حمصي بنت الخوري .

[١٤٨٢] اجا خبر انطون دير اروتين ابو الياس من ماردين الله يرحمه .

– السبت في ١٠ ايلول ١٨٦٤ ، في ٨ ر ت ١٢٨١

واجانا فستق رطل ١٠ ـ مر ١٠

[١٤٨٣]

– السبت ، في ١٧ ايلول ١٨٦٤ ، في ١٥ ر ت ١٢٨١

---

١) جنبرت جاء ذكر سوسان بنت عبداه جنبرت في ٢٩ ك ١ ١٨٣٢ في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة – الاشينة عمتها – المعمّد القس يوسف عبديني

ولما جاء في هذه الحاشية ذكر القس فرج الله العبديني رأينا الفرصة سانحة في الافادة على هذه العائلة ولم نكن قد عثرنا على هذه التنظيات لما ذكرنا عبديني في [٦٤/١]

ان اسم الخوري موسى العبديني مكتوب في رأس لائحة الكهنة الذين توفوا في حلب ودفنوا في كنيسة مار الياس منذ دخول الطائفة المارونية وذلك سنة ١٤٨٩

وورد الاسم ٤٥ مرةً في دفتر المعمودية بين ١٦٦٦ و١٦٧٢ على ١٩ معمّدًا و٢٦ اشينًا مما دل على اهمية الاسرة. وخرج منها عدة كهنة خدموا الثغوس – وجاء في دفتر اخوية عذبان الارمن المخطوط (مكتبة البطريركية غره ٣٩) اسم « جرجي عبديني ترجمان النمسا ومتقدم اخوية تطهير العذراء المتزوجي الموارنة في حلب وقد توفي في ١٧ ت ٢ ١٧٦١ »وعبديني نسبةً الى عبدين وهي قرية موقعها في محافظة الشمال في قضاء الكورة في لبنان .

[فقد من المخطوط صفحتان وفيهما ذكر الحوادث التي وقعت بين ١٧ ايلول و ٧ كانون الاول سنة ١٨٦٤ ويناسبها في بدء المخطوطة فقدان صفحتين واخبارهما الواقعة بين ٣١ ايار و٣٠ آب ١٨٥٦ . على اننا وقفنا في تفتيشنا على اثار ذلك العهد الى الحصول على تعليقات مفيدة نستعيض بها عما فُقد . في السنة ١٨٦٤جرت في الشمال السوري حوادث وفتن فيتلصص بعضها في بلاد الزور وكان ابطالها رجال دهمان من قبائل العرب وبعضها في جبل الاكراد (كردضاغ) وبطلها خليل آغا وفي جبل قازان وبطلها يوسف آغا . وكان من جانب العثمانيين ثريا باشا والي حلب ودرويش باشا قائد حملة كردضاغ يسعيان في اخماد نار الفتن .

ولم تنته فتنة جبل الاكراد الا في ١٨٦٥ بعد ان أُعدم خليل آغا شنقاً ويوسف آغا بالرصاص فقطع رأسه وارسل الى الاستانة .

وانتهت حملة ثريا باشا على عرب الزور في بلاد الفرات باتفاق ثريا باشا مع العرب الشوايا على ان يدفعوا ٧٠٠٠٠ غرشاً فيعود هو وعسكره الى حلب.

وسيئت تلك القلاقل ازمة شديدة في حلب فقد قبضت الحكومة على الدواب وساقتها لحمل الاحمال من اسلحة ومؤن.وزاد في حالة الاضطراب ظلم الظبطية الذين قبضوا على ٢٠٠ او ٣٠٠ دبة عوض ٤٠ او ٥٠ كانوا بحاجة اليها . فخافهم الجمّالة التركمان والاكراد وانسحبوا الى جبالهم . وصار الضبطية يردون ما لم يحتاجوا اليه من الدواب تلقاء دراهم يتقاضونها . فانقطعت المواصلات بين حلب وبين الارياف في ايام كان الناس في حاجة ماسة الى وسائل النقل كما والقمح على البيادر والحب في القرى . فصار الشنبل الذي كان يباع في العام السابق في حلب ٣٥ او ٤٠ غرشاً يباع ١١٠ او ١٢٠ وكذلك ارتفعت اسعار الفحم والحطب وقل اللحم في الاسواق وظلت الخضراوات في البساتين مرتعاً للعفونة والعنب متروكاً في الكروم . واخذ الوزّ يخيم على المدينة وصار الطمع يغري التجار فاحتكر بعضهم الحاجيات واحدثوا الفتنة فهجم الناس على السرايا يطلبون القوت .ووقفت حركة التجارة لان البضائع التي شحنتها السفن الافرنسية او المسكوبية او الانكليزية الى الاسكندرونة باتت مكدسة في ميناها لعدم وجود الدواب لنقلها الى حلب .

وفي ١١ تشرين الاول بلغ سعر شنبل الحنطة ١٥٠ غرشاً فتجمهر النـاس وساروا بمظاهرات يتهددون من قيل عنهم انهم احتكروا القمح وصـار اعيان البلدة المتصلين مع عرب الزور يسعون في ان يحولوا ثريا باشا عن حملته لكي يعود الى حلب ويسترد اليها الامن فعاد ثريا باشا بعد ان صالح العرب] .

[١٤٩١] ــ الاربعا مات يوسف صائغ تيبكون[1] موت الغفلة والمذكور كان بديار بكر استقام ٢٠ سنة وصار له جايه مقدار ٢٢ شهر واجا ثريا باشا باشة حلب ــ الجمعة بدو صوم الميلاد ويومها اجا انطون تاجر من اسلامبول ودار دوره مطران السريان ومعه مطران الروم توتنجي وقس مرقص وقس حنا معمرجي باشي

– السبت ، في ١٧ ك ١ ١٨٦٤ ، في ١٨ رجب ١٢٨١

ــ والجمعة ثريا باشا نزل الخبز ٢٤ باره صار ٣١ والحنطة كانت من ١٠٠ الى ١٢٠ غرش (الشنبل) والتزم يقدمها ٩٠ والفحم والحطب بده يقدمها. وطلب القرعة من الضيع وبعث عسكر للدولة .

[١٤٩٢] ــ الاحد اخوية وبعده كز قس حنا معمرجي باشي ــ الاربعا مطر كل النهار ومات نعوم بن شماس يعقوب الساعة ٢ والربع بالليـل وخطبة رزق الله اسود لفرة بنت العجوري فرنسيس التي كانت مخطوبـة الى شكرالله بخاش سابقاً ــ والخميس مطر ودار الباشا تخفاي ومعه المفتي بهاء الدين والقاضي بالسقطيه ومسك اناس شاربين ٦ (باسعار مخالفة لمـا كان امره) .فرت اللحم للكلاب وارسل البائع والشاري للحبس وكذلك الرز والخبز والاوزان والقبان ــ والجمعة دار بانقوسا وارسل بهاء الدين للجديدة فصير كذلك

– السبت ، في ٢٤ كانون الاول ١٨٦٤ ، في ٢٥ رجب ١٢٨١

[١٤٩٣]

– السبت ، في ٣١ ك ١ ختام ١٨٦٤ ، في ٢ شعبان ١٢٨١

وقلبنـا البولسة الى ١١ ك ٢ ١٨٦٥ لاخرس ودياب[2] ١٧٢٤ وانكسر

---

١) « تيبكون » هو اسم كتاب طقس بيزنطي – لعل البخاش اراد بهذا اللقب الغريب التمييز بين بيت الصايغ الروم والصايغ السريان والصايغ الارمن وكلهم حليون فيكون معنى كلامه : يوسف صائغ الرومي الكاثوليكي

٢) دياب جاء الاسم في سجل عماد الموارنة تسع مرات بين ١٦٦٧ و١٦٧٣ واول من

شركات كركور سيوفي باسلامبول وترسوس وسكروا بيوتهم ورجع عليه مقدار ليرة الف ٣ ملزوم يدفعها لانها مجيره باسمه الله يعينه .

[١٥٠١] الاحد راس سنة ٦٥ سنة مباركة الله يحيينا لامثالها بجاه اسمه العظيم - الاثنين رحت العصر لمرس شكرالله مخاش لبنت نعمةالله غزاله. ودفع السيوفي كل الذي مجير عليه من البوالس باسمه .

- السبت ، في ٧ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ٩ شعبان ١٢٨١

[١٥٠٢] — الاثنين توفي مساء نعوم بن لبوس تاجر زوج بنت الشاهيات[1] الله يرحمه — الاربعا دفعت لمطران يوسف مطر ليرة مجيديه ٦٤ سلفاً وتعجيلاً عن ١٢٨٢ — الجمعة طنبه خلص زهرة العسل من البلانساته وشلفنا البوليسه لاخرس وشتمان الى شهر ٣ . ولعبت بالطاوله مع قس حنا مصرجي باشي وغلبت ٤ .

- السبت ، في ١٤ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ١٦ شعبان ١٢٨١

وكان عيد مولد السلطان عبد العزيز وسقلت قنباز الهندي ملوك وجابت مراة فرجالله زلعوم بنت الجامي كاتينكه .

[١٥٠٣] الاحد اولها شرفت على المرضى وبعده اخويه وبعده زياح سريان وسلمت على اولاد زلعوم فرجالله — الاثنين بدي يكتب معرّي وابن الديك[2] عمال ينظم زرايع وشقوف بيت الدلال[3] — والخميس غطاس غيم شفاف

ذكر من البيت مارينا دياب الصغير وقفت اشينة في ٣٠ ك ٢ ١٦٦٧ في عماد انطونيوس بن بطرس هدناني اخو جمه وكان الاشيبين شماس رزق الله ابن شدياق حنا بشراني ومن اعلام الاسرة القس اوسانيوس دياب المتوفى في ٢١ ت ٢ ١٨١٨ والمطران يوسف دياب المتوفى في ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٣ والقس يوسف دياب المتوفى في ٥ نيسان سنة ١٩٢٥

١) شاهيات جاء ذكر مريم بنت الياس شاهيات في ٨ ك٢ ١٨٢٢ في لائحة المسدين عند الموارنة من الروم الكاثوليك - الاشينة عنها ترازيا - المسد قس نصرالله ايوب

٢) ديك جاء ذكر رزق‌الله بن الياس ديك في لائحة الروم الكاثوليك المسدين عند الموارنة في ٢ ت١ ١٨٢٢ الاشبين نصر الله بن الياس خياط المسّد المطران جرمانوس حوّا.

٣) دلال جاء الاسم تكرارًا في اليومية - وجاء ذكر كاترينا بنت عبدالله جبرائيل يعقوب دلّال في ١٨ ك ٢ ١٨٢٦ في لائحة من تسدوا من الروم الكاثوليك عند الموارنة - المسّد قس بولس آروتين

ورحت الريحاوي وعمال ينظم الدايره النـاطور من وراق ورمان وقلب الطير وكرز ونسرين وبنفسج ـ الجمعة بصل الخزاما فرقته .

ـ البت ، في ٣١ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ٢٢ شعبان ١٢٨١

وطلب ثريا من الطحانين والخبازين ان يقدموا بارخص من الحاضر فقالوا لا يوفي معنا فسندهم [؟] وبدي هو يقدم طحين وخبز بارخص منهم ووكل بها. الدين[1] المفتي حالًا بذلك والزقاقات عمال العمار بها دك لاجل الكروسات وصار اجا اربع من الاستانة وامر ان لا يحضروا الى المشورة الا ركب بالكروسه والفلوريني وابو الثلاثه ونص دقروا ما عادوا ياخذوهم بالسوق ولا بالمدينة

[١٥١] ـ الاحد سهرنا كلنا بيت الكبابه[2] وكان خيالاتي وكان اناس كثيرين واجا نيشان الى مطران جرجس شلحت[3] من سلطان عبد العزيز ـ

١) هو الشيخ محمد جمال الدين الرفاعي المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ. هو ابن ابي الوفا الرفاعي وُلد في حلب وتلقن فيها العلوم الشرعية وكان شاعرًا حسن الخط اخذ الطريقة الرفاعية وصار بعد سنة السبعين مفتي البلدة

ومن شعره : كيف اخشى من سطوة التنكيل والهي على الاعادي وكيلي
واعتصامي بجلبه والتجائي لحماه من كل سوء كفيلي

وكان ينصر الضعيف ويبلغ شكواه آذان الحكام . ورثاه يوسف الداده بعد موته بشعر جاء فيه :

هذا نجيب كل باغ باسلٍ هذا مشجع مهجة المسكين

(عن اعلام النبلاء للطباخ : ٧ : ٣٥٥)

٢) كبابة جاء ذكر خمسة اطفال في (ر ك م) منهم مريم بنت نسمة الله كبابة في ٢٦ تموز ١٨٢١ امها ترازيا بنت يوسف بطرس دياب – الاشبينة مرغريتا اختها – المعمّد المطران جرمانوس حوّا .

٣) جرجس روفائيل شلحت تعلم الجادي السريانية منذ نعومة اظفاره ولسرعة فهمه وحسن خطه جُعل كاتبًا لجباية الاموال الاميرية في حكومة ابراهيم باشا المصري في حلب اذ كان في السن التاسعة والعشرين ولم يشغله ذلك عن التردد الى حضور القداس وخدمة الكنيسة واذ احبه بطرس جروه اخذ يترنم في المقدم المقدسة والالحان السريانية فاقتبسها سريعًا منه ومن يوسف شقال الحلبي الضرير . فلما تهيأ للدرجات المقدسة رقي في ٢ شباط سنة ١٨٤٣ الى درجة الكهنوت ولنشاطه رُفع في ٢٩ اذار سنة ١٨٤٦ الى رتبة المفوري مع اربعة اخرين وهم المطوانة جبرائيل رباط وباسيل صعب ويوسف ياقين وروفائيل جروة .

وسافر المفوري جرجس الى رومة سنة ١٨٥٠ وعاد منها عن طريق مصر والشرقة الى

والاثنين الساعة ٨٤ عصليه راح المطران ولبس النيشان عند الباشا ثريا باشا وركبه حصانه وارسل قدامه قواسه عده ٣٠ واخذوا له سلام كل القلقات الذين بالدرب ورجوعه وقع ولد بصهريج القلاية ووجوه ركبه وطالعوه وباركت بعد المغرب وكان موزيكه النصاره وتمشوا عنده بعض من الطائفة ومساء رحت الريحاوي وكان يوسف شماع ونزل ينكي دنيا بالديره حاج عمر الناطور عده ١٣ — الثلاثا بديت تقرا مراة انطون تاجر[1] ودباغ صبي جابت — الاربعا غيم شفاف ومطر نخناخ وجابت بنت مرة سوكياس بنت الشوكتلي .

– السبت ، في ٢٨ ك ٢ ١٨٦٥ ، في ١ رمضان ١٢٨١

[١٥١] — الجمعة مات نعوم الغلام الذي كفلان كسبار القاطرجي الذي الي عنده غرش ١٠٠٠ وكتبت ختم الى قس وافائيل بن عمي .

– السبت ، في ٤ شباط ١٨٦٥ ، في ٨ رمضان ١٢٨١

[١٥٢] الخميس سافر رزق الله عجوري وراح يودي بنت الحمصي مراة اخوه مخائيل لمشتر — الجمعة وسمعان حجه[2] سمعوا اهله انه مات من يوم ١٥ الله يرحمه والمرحوم متعلم عندي القراءة والكتابة .

– السبت ، في ١١ شباط ١٨٦٥ ، في ١٥ رمضان ١٢٨١

حلب . ولما حان الوقت لاقامة مطران على حلب انتُخب المنوري جرجس بتوقيع ثمانية من الاكليروس في ٢ كانون الاول سنة ١٨٦١ وهم المنوري يوسف ياقين والقس حنا اسلامبولية وبطرس سالمه ويوسف اسلامبولية ومخائيل ضاهر وبولس صباغ وافرام مداواتي ورفقتي قندلفت ومائة وثمانين من الوجوه ورؤساء العائلات : نعمة الله فرج الله صباغ وسائر ممثلي آل حمصي وعندي وشلحت وسيوفي وبخاش وصعب ورباط وجنا وياقين وفتال وهزاز واسطنبولية وغيرهم وخُتم انتخابهم باستحسان السيد يوسف حائك ولما عاد جرجس شلحت اسقفاً الى حلب انشأ مدرستين للصبيان والبنات وسأوى للفقراء وابنية جديدة واغنى المكتبة فعظم جاهه حتى عند المسلمين واولي الامر فخص بالذكر جاه الدين مفتي حلب فكان يوده ويساعده في حلّ المشاكل حتى لقب كخيا المطران جرجس .

راجع تتمته : عناية الرحمان في هداية السريان ص ٥٩٣–٥٩٤ مطبعة صيدا ، بيروت ، ١٩١٠

١) في ١٦ ت ٢ ١٨٢٣ عبدالله انطون فيلبوس انطون تاجر ذكر في لائحة الروم الكاثوليك المسدّدين عند الموارنة – الاشبين اخوه فتح الله – المسدّد قس يوسف عبديني

٢) جاء ذكر جرجس ديتري بن مخائيل حجه في ١٦ ايلول ١٨٢١ في لائحة الروم الكاثوليك المسدّدين عند الموارنة – الاشبين عمه حنا – المسدّد القس بولس اروتين

وطبخنا دست من الذبيب طلع فطير تركناه لبعد يكون معلوم .

[١٥٢] الجمعة سمعنا رجع خليل اغا الذي مسكه ثريا باشا من كلز وارسله لاسلامبول الان امه برطلت[1] الى اولاد سليمان باشا الذي مات بقونيه

١) البرطيل او الرشوة آفة المحاكم . رأيت سابقاً ان آخرة خليل آغا كانت عاقبتها وخيمة عليه — على اننا نتخذ من الحادث فرصة لرواية ما كتبه القنصل سكين الانكليزي عن حالة القضاء في ذلك العهد . قال :

ما ابعد نظام العادلية وادارتها في حلب عن طرق القضاء العادل :

ان مجلس التحقيق مكوّن من الرئيس والاعضاء الاربعة واعماله محصورة في التفتيش على الذنب من غير اصدار الحكم فيه الّا اذا أمره الوالي بذلك . اما الوالي فيرسل الى مجلس التحقيق دعاوي لا اهمية لها ويرفع الدعاوي المهمة الى مجلس الولاية للنظر في صحة البينات . ان مجلس الولاية يكون من ١٣ عضوًا ويتصدره الدفتردار ويجري جميع رؤساء الدوائر معاً مع بعض الاعيان وهو المحكمة المميزة في حكم مجلس التحقيق في الدعاوي الصغرى ويمكن الاستئناف من بعد ذلك التمييز لدى المحكمة الشرعية . اما السامة الوحيدة التي تدلو على تلك المحكمة في العادلية فهي سلطة شيخ الاسلام في القسطنطينية .

ان سياق الدعاوي في المحكمة الشرعية هو في يد القاضي ويساعده المفتي وليس احد منها رئيساً على زميله بل مجانباً له ومستقلاً عنه . والقاضي يُحوَّل من مدينة الى مدينة في كل عام اما المفتي فحلبي المولد والموطن . ان هذا النظام لا بأس به ولكن طريقة تطبيقه لا تترك مجالاً للانصاف لان غاية القاضي الوحيدة هي ان ينتهي في مدة وظيفته القصيرة . اما المفتي فيسير عليه امر بيع فتواه والفتوى عبارة عن حكم شفاهي يطبق على كل حادث من الحوادث بعد نظر المحكمة فيه ولكن قبل اصدار الحكم عليه . اما سير الدعاوي فجاري من غير ترتيب البتة . فلا يكتبون الشهادة الشفاهية وكثيرًا ما تفسد الرشوة الشهود وتفسد الحكم والراجحون في الدعوى اغلبهم المتألون في الرشوة . ان مدخل المجلس ايام المحكمة مزدحم بجماعة من الناس المعروفين بتأدية شهادة الزور اذا ان تحتاج المحكمة الى شاهد الّا ويجدونه واقفاً على الباب وقد عُلّم ما عليه ان يقوله ويقبض مبلغاً يتراوح بين العشرين والخمسين غرشاً . ومجلس التحقيق ومجلس الولاية مفتوحان كلاهما للرشوة وقد يصادق عليها ضمناً الكثيرون من اعضاء المحكمة لانهم يصرفون وقتهم كله في وظيفتهم ولا راتب لهم فلا يبقى لهم الّا قبول الرشوة وقد نالوا بها وظيفتهم لانها تعطى لا لمن يستحقها ولكن لمن يشتريها .

وهذه المحاكم كلها لا تنصف البتة في تقاضي مصاريف الدعاوي فان الخمسة بالمئة المضروبة في قيمة الدعوى على الرعايا الثمانين والاثنين والنصف على الرعايا الاجانب يُعنى منها خاسر الدعوى ومن ثم تُشجّع المرافعات ، وهذا ما يدعو بالمدين ، وان يكن عالماً بانه اخيرًا سوف يُحكم عليه بدفع الدين ، في الا يرضى بالتسوية فلا يأبى المحاكمة وقصده ان يغرّم الدائن بدفع مصارفها خاسًا .

ليره مجيديه ١٠٠٠٠ وماتت زيزف بنت كركور سيوفي عمرها سنة ٢ . للحارث[1] بشاره ٥ غروش قمري — وأذّن قمر رمضان — ٥٧ قمري للحارث .

— السبت ، في ١٨ شباط ١٨٦٥ في ٢٢ رمضان ١٢٨١

[١٥٢] — الاحد حساب مازو شعراوي — الاثنين وحت ورزق‌الله طنبه التفنكه . ما حوشنا شي ولا شفنا شي . وضرب دالول — الاربعا راح المطران للدوره ومعه قس حنا وقس مرقس وصلوا للميدان وبديت المطره اكلوها ورجعوا لعندي ولمبت مع المطران للساعة ١٠ . وكسح الداليه بستاني العويجي وقرمت التتون . والزود وصل لعند قفل باب الطاحون الجبل النهر — والسبت تزلت دراع — وسمعنا انهزم من ادرنه خليل اغا الذي مسكه ثريا باشا وشلّح لابن طايفتنا بليره ١٥٠ ورصدت الترابية غرش ١٥٩ عن ١٢٨٠

— السبت ، في ٢٥ شباط ١٨٦٥ ، في ٢٩ رمضان ١٢٨١

[١٥٢] — الاحد المرفع سوا . ورقّعت لوسيا والعيله عندنا واجا يوسف البطى من مصر واليان من اللاذقية — والاثنين اول الصوم وعيد رمضان — الاثنين اجا ثابت رزق‌الله من الغباير[2] وعبدالله صايغ من اسكندرية مصر —

---

١) كان عند كل بوابة من بوابات البلد الكبرى حارس له كوخ ينام فيه فيغلق البوابة عند الليل ويفتحها عند الطلب لمن تغيّب من الحيّ وعاد اليه متأخرًا . ولم تكن مصلحة عامة او بلدية تقضي براتب معين للحارس فكان ينال « معاشه » من اهل الحي او « الحارة » في ايام الاعياد والمواسم مبلغًا ، غير محدود ، يعطى له طبقًا لسخاء المعطي وحسن حاله . وفي الاعياد يجلس الحارس عند البوابة او في مفارق طرق الحي ويده قارورة طيب فيطيب طربوش او كمة المارين تلقاء نقد ينقدونه اياه .

٢) اليك ملاحظات قيمة على تطور التجارة في ذلك العهد من جراء زيارات « الغباير » او الغبارك .

كانت الجالية الاوربية وافرة العدد في ولاية حلب ، لكن ما لبث ان تضاءل عددها وهذا التضائل سببه لا كساد الشغل بين حلب واوربة ، لان العلاقات ازدادت واتسع نطاق المعاملات على مدى الايام ولكن في السابق كانت التجارة محصورة في يد التجار الفرنسيين والانكليز والايطاليين والالمان المقيمين في حلب . ولم يكن من دواعي للمحلات التجارية الاوربية وسيلة للاتصال المباشر مع الحلبيين فلما تسهلت طرق المواصلات بالملاحة البخارية صار زعماء التجار الحلبيون يزورون قواعد اوربة التجارية وخاصة في فرنسة وفي انكلترة وصارت تلك المدن ترسل الى حلب رجالًا يدرسون ويختبرون مطلوبات البلاد ويديرون

الثلاثا طبخنا الزبيب التابح [اي العاطل] — والخميس قعد عندي بن الجن . وبدينا رياضة عندنا بالبيت ومات انطونيوس مشاطي عم مشاطيه .

المعاملات وهاجر عدد غير قليل من التجار الحلبيين مع اسرهم الى بلاد الافرنج فأسسوا محلات في فرنسا وفي انكلترة وكان النجاح حليفهم اجمالا فصاروا وسطاء بين الحلبيين وبين الافرنج فاغنوا عن وساطة الاوروبيين الموجودين في حلب . وصار لاكثر المحلات المهمة الحلبية شعب في مرسيلية ومانشستر وليفربول وفي النمسة وفي ايطالية فتناطت التصدير والتوريد واستغنت عن مساعدة اليد الاورية في السوق المحلية . تلك الحالة اعرب عنها البخاش مرارًا في ذكره سفر من ذكرهم الى البلاد وان تراجع الفهارس في اعلام المدن الموضوعة في آخر الكتاب تهتدي الى معرفة اسماء التجار المذكورين كم كانت تتفاقم في اسفارهم في ذلك العهد ؟

— في الدار الاسقفية المارونية في حلب مخطوط غرته : ١٤٧٩ وهو بخط القس خائيل كلداني الماروني . سافر من حلب في ٣٠ نيسان سنة ١٨٥٩ قاصدًا الى بلاد الافرنج وقد تزود بمكاتيب من اسقفه المطران يوسف مطر ومن غبطة البطريرك الماروني ومضى على وجهه فزار فلسطين ومصر ومالطة وفرنسة وانكلترة وايرلندة وذكر انه قطع ورقة سفره من دوبليته الى اميركا ، فكان سعرها ١٦٨٠ غرشًا ولا يثبت من جريدة سفره ، هل بلغ العالم الجديد او لا ، وعاد عن طريق فرنسا الى بيروت ثم عرج الى الاستانة فبلاد المجر وزار الامبراطور فرنسوا جوزف وجمع الحسنات ووصف رحلته وصفًا مستحلًا في المخطوط الذي ذكرناه ووضع لائحة نفقاته في السفر .

من حلب الى بيروت فرسيليا على حساب الغرش ، والفرنك الافرنسي انذاك قيمته خمسة غروش والنصف ، فافادنا على معرفة ما كانوا ينفقونه تقريبًا في سفراتهم الى اوربة في ذلك العهد ؛ قال :

غرش	
٣٠٠	كرا من حلب الى اسكندرونه
٢٧٥	مصروف طريق اسكندرونه
٢٣٠	بابور الى بيروت ومصاريف أساكل لاذقية وغيره
١٥٥	كرا من بيروت الى ذوق وجبل مع بخاشيش ، زيارة غبطته ورحمه
١٢٣	مصروف في بيروت وبخاشيش للذي نزلت عندهم
٢٠	حق تواسيم الي والى كارلس
١٥٠	كرا بابور الى يافا ومصروف زواده ومصروف بحر
٨٠	كرا من يافا الى القدس
٧٢	من قدس الى يافا مع مصروف
٨٥	مصروف في يافا وكرا مركب هوا الى بيروت وزواده

— السبت ، في ٤ اذار ١٨٦٥ ، في ٦ شوال ١٢٨١

[١٥٣١] — الاحد قبروا انطانيوس مشاطي وانكسر يوسف الطي على الف ١٥ للمديون لهم . الاثنين مطر وافر — الثلاثا ربطوا الداليه وتفدوا عندنا اولاد بستاني المويجي ومعهم واحد وطباخ المرق تغدا وكبس الزبيب . وما. لعبنا بالطاوله انطانيوس وطنبه. وثابت وخوري — والاربعا اجا زود بطاحون الجميلات ناقص القنطريه منه نصف مدماك اخذت الاولاد بكره وتفرجنا للظهر . وقعد وراح بن مخائيل نقولا اليان[1] يورغاكي — وفتحنا شبابيك البيت من الشوب — الخميس اربعين شهيد قرّيت واخذت حمار كلداني ورحت وعزوز عين التل زريقيه ٢ — السبت بدي يكتب بن جره . وكسر شيشة الناربيج رزق الله جن .

في ١١ اذار ١٨٦٥ ، في ١٣ شوال ١٢٨١

[١٥٣٢] — اجا بن المراش[2] من منشستر واجا رزق الله سوكياس من انطاكية وانتهت رياضة مار فرنسيس وبديت القرعة للاسلام — الاثنين سافروا المقادسة — الاربعا ظهر مخنوق رجال الجبل النهر .

— السبت ، في ١٨ اذار ١٨٦٥ ، في ٢٠ شوال ١٢٨١

[١٥٣٣] — الاحد سافر كركور سيوفي الى اسلامبول . ونامت كزه بنت

---

١٩٠ مصاريف في بيروت الى حين ما رجعنا الى اسكندريه وكرا مكاتيب
٤٢٠ عن كرا بابور الى اسكندريه ومصاريف غيرها مع زواده
٣٤٠ في اسكندرية حق طربوش وزنار ومصروف اكل بعض ايام
١٣٠٠ مصروف الى مرسيليا ومصاريف زواده
٦١ مصروف في مالطه عن يوم واحد
٧٠٠ مصاريف في مرسيليا عن اكل عن يوم ٣٥ من عدا العزايم
٥٥ مصاريف غريبه
٥٧٥ كرا من مرسيليا الى باريز في درب حديد ومصاريف

١) جاء ذكر اليان مرارًا في اليومية . وجاء الاسم في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند المواردة في ٢٨ ت ١ ١٨٢١ في عماد جرجي الياس بن نعمة‌الله اليان — اشبين نعمة بن حنا اليان — المعمّد قس شكرالله ايوب .

٢) مراش جاء ذكر عبدالله الياس بن بطرس مراش في (ر ك م) في ٢٦ آب ١٨٣٠ — الاشبينة جدته ام ايه — المعمّد قس نصرالله ايوب .

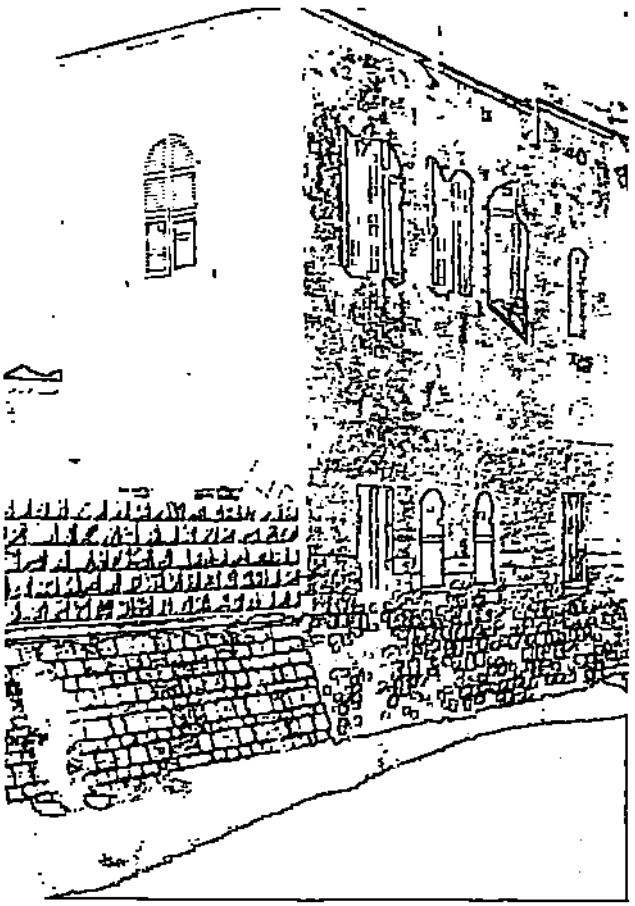

دار الشابندر القديمة ، وهي الآن جزء من دير الآباء اليسوعيين

انطانيوس ــ الاربعا قعد يورغاكي بن اليـان مخائيل مع بن عم ابوه اليان ــ السبت رسم مطران جرجس شلحت خوارنه ٢ قس يوحنـا معمرجي باشي خوري وقس مرقس خوري وسماه خوري انطانيوس . وراحو للصيد وللتنزه بردخجيات وانطون عبجي ومقدسي وفرج وخاهر وشكري ثابت ونعوم خليل الى سنبل اسم الضيعة شوكات بردخجي بالزراعة [كذا] .

– السبت ، ٢٥ اذار ١٨٦٥ ، في ٢٧ شوال ١٢٨١

[١٥٤'] ــ الاثنين عمـال يبلطوا عند الزقازيق الطرفين معاطب وعمال يدهنوا الكشوكه بالقصير لعم الناطور . واجا حبيب سيوفي ــ الجمعة جاب لي صورته قس رافائيل بخاش بن عمي فتح‌الله بخاش . واجوا ولاد البردخجي ــ السبت توفي شكرالله خوري بن رزق‌الله سهر بيت الدلال زوج لوسيا دلال الله يرحمه وسافر الخوري حنا معمرجي لبيروت .

١ نيسان ١٨٦٥ ، في ٥ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٤'] ــ الثلاثا جابت بنت مرة رزق‌الله سوكياس ــ ودخل رزق‌الله صايغ اخو انطانيوس الى الرياضه بده يصير قسيس واجا نعوم حمصي من منشستر ــ الخميس سهرت عند المطران جرجس شلحت ولعبنـا بالدمينو ــ الجمعة الكشوكة عمال يدهنوهم وبالقبار الانكليز عمروا اوض دف فوق الجسر عده ٤ . ومات عبدالاحد اچق باش الله يرحمه

– السبت ، في ٨ نيسان ١٨٦٥ ، ١٢ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٤'] ــ الاحد رسم انجيلي لابن الشقال مطران جرجس ورسم انجيلي الى اخو انطونيوس صايغ بن اختي مطران بولص حاتم روم وباركت له بعد الصلاة ورحت دورة العذارى ــ الاثنين انتقل الياس سيوفي للكتّاب حوش سنيور موسه ــ الثلاثا ماتت ام رزق‌الله كبابه غره بنت الجهامي بالداي ــ الاربعا اجا جرجي صايغ من ترسوس وسلمت عليه ــ الخميس رحت صبحية تريس ٢ وحضرت القداس والدوره وبعد الظهر رحت العويجي اكلت مطر وافر .

– ١٥ نيسان ١٨٦٥ ، في ١٩ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٥'] ــ الاحد عيد الكبير غربي ١٦ نيسان ١٨٦٥ ــ الثلاثا مات برنابا الحكيم . وبالسهرة دعوة الدومنو مع المطران ــ والاربعا طبخنا العرق

وكان هواء بارد ــ الخميس اصبحت رجلي عمال توجعني من قبل الريح ما اقدر امشي . ووصف الجد جاي سخن والبابونج والحمدلله الجمعة احسن وجرحوا بجده الى مصطين ولد مسلم وراح ابوه خيط له حنكه وخده بالشيخ بيرق بالقشله عند العسكر .

ــ السبت ، في ٢٢ نيسان ١٨٦٥ ، في ٢٦ ذي القعدة ١٢٨١

[١٥٥] ــ الاثنين مات نعمةالله صباغ الله يرحمه ويومها وقع القندلفت يوسف الاشرم ابو خوري انطون قندلفت من فوق حيط الذي فوق الادبخانات لارض القلاية لولا العناية الالهية كان عض المطران جرجس شلحت . والمذكور فسخ رأسه وقبقبوا عينيه وتهشم وبعد قليل توفى والمذكور كفن نعوم صباغ وسبقه للقبر . ومات ابن الياس كلداني الصغير . والثلاثا جتزوه وقبروه بالكنيسة قدام بيت النسوان عند بيت الشمع وبعده قبروا نعوم صباغ عند الباب قدام العامود لبيت النسوان وجابوه الموارنة والارمن والسريان كله ببدلاتهم والبادرية[1]

١) البادرية اي الآباء الفرنسيسكان Padri – جاء ذكر الجنازة [٣/١] وعلى ذكرها هنا وذكر اجتماع الطوائف فيها رأينا ان نثبت بين الوثائق المفيدة لتاريخ المسيحية في حلب اثرًا عثرنا عليه في اضبارة المطران يوسف مطر في تاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٨٧٦ وفيه حجة وصية الياس عبدالله قجله ترى فيها رحابة صدر الحلبيين للطوائف التي ليسوا منها فصاروا بذلك قدوةً صالحة لمن يحتاج ان يفهم ان الجوهر في الدين هو وحدة الايمان وان الطائفية ليست الّا صبغة عرضية :

« اوصى الياس قجله رحمه الله ، بثلث جميع متروكاته من نقود ومنقول ورزق وتجارة واثاث وفضة وغاس وكمبيالات وسندات وغير ذلك يُصرف بعد وفاته في وجوه البر بموجب نصف الثلث المذكور الى طائفة السريان الكاثوليك بحلب ، واقام وصيًّا عليها الاب بطرس سالم الوكيل البطريركي ويكون توزيعه هكذا : ثلث ما خص الطائفة المذكورة حسنات قداسات وجنازات وتذهيب الوفاة والثلثان الآخران على فقراء السريان ما عدا المتاد ان يوزع عليهم .

وما تبقى منه نصف ثلث المال قد اوصى بنصفه الى طائفة الارمن الكاثوليك بحلب واقام وصيًّا بذلك المطران غريغوريوس بليط . . . والنصف الاخير منه نصف ثلث المال اوصى به الى طائفة الموارنة بحلب واقام وصيًّا بذلك سيادة المطران يوسف مطر لكي يوزّعه هكذا : اي ثلث السهم حسنة قداسات وجنازات اعتيادية والثلثان لاجل عمار الكنيسة الجديدة والفقراء . »

كذلك وقدامه صليب ٣ وكل واحد بشمعه ٢ مربوطين بريبان اسود . الله يرحمه وصار له دفنه معتبره كتير وعمره ــ الاربعا جبنا جبنه رطل ٨ بسعر ٧٠ ماكول الهنا مع ارادة الله ــ الخميس راحوا زارو مار جرجس وراح عازار وابوه وعماته .

٢٩ نيسان ١٨٦٥ ، في ٣ ذي الحجة ١٢٨١

[١٥٥[٢]] ــ الاثنين ماتت بنت الماروني ام شكور صباغ . وبدي يكتب الياس صايغ ــ الجمعة ماسكتي ريح بجنبي الشمال بالصابونه .

– ٦ ايار ١٨٦٥ ، في ١١ ذي الحجة ١٢٨١

[١٥٦[١]] ــ الاحد كان عيد المسلمين ما صار اخوية ومساء زياح بالشيباني ــ الاثنين مات شكرالله ناقوز الله يرحمه وبدي يكتب مرعب[1] ورفاقه ــ الخميس ارسل المطران خلفي لاجل الحوش انتهت سنة ٣ ليرة ٧٠ مجيدية ــ الجمعة سمعنا نوبة بايازيد .

– السبت ، في ١٣ ايار ١٨٦٥ ، في ١٨ ذي الحجة ١٢٨١

ودفعت للمطران ١١١٦٧ والى ارسان ٣١٣١ والى رزق‌الله سوكياس ٢٨٩٢ .

[١٥٦[٢]] ركبوا بالناعوره تيل‌غراف الى اسكندرونه . وكرّس المطران جرجس شلحت زيت الميرون ــ الاثنين رحت الشابندر وكان انطوناكي وكوبا وطلع صايغ[2] وعجوري[3] وكانوا بيت الضاهر في قبار الصغير ورحت عندهم مساء وكيفنا . ووقعت بكتورين بالنهر وطالعها خالها عبدالله ــ الثلاثا اجرا من القدس

---

١) جاء في (ر ك م) اسم مريم بنت عبد الله مرعب في ٤ نيسان ١٨٢٤ – الاشينة اختها – المعيّد قس شكرالله ايوب .

٢) جاء ذكر خمسة اطفال من بيت الصايغ في لائحة المعمّدين عند الموارنة من الروم الكاثوليك ، اولهم نعمة الله بن جرجي صايغ ٣ ك ١ ١٨٢٣ – اشبين ابن عمه نعمة الله – المعيّد قس الياس راجي .

٣) ثلاثة اطفال في (ر ك م) منهم رزق‌الله بشارة بن المقدسي ، جبرائيل عجوري ، في ٢١ تموز ١٨٢٣ – الاشبين نعمة الله بن يوسف بليط ارمن – المعمّد قس شكرالله ايوب .

(راجع في المشرق ترجمة الورتيت بولس بليط (١٧ ، ٨١–٨٦) ، وذكر المطران غريغوريوس بليط (٩ ، ٤٦١)

عبـــدالله انطاكي ومراة الكلداني من مصر فصـابت شهر ١١ ومـاء سلمتُ .

– البت ، في ٢٠ ايار ١٨٦٥ ، في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨١

[١٥٦] ــ الاحد رحت للمسليه ركب . على جبرا[1] بليط المركوب ورجعنا مساء ــ الثـلاثا نوريه ٥ سطل ١٧ ــ الجمعة انتقل يوسف طنبه لحوش بيت الكبابه عند رزق الله ابن اخوه وخليـل انتقلوا للشرعاسوس ودار كنيدر[2]

---

١) وكثر ما جاء ذكر بيت البليط في اليومية وجبرا بليط كان صديق البخّاش ورفيقه في تجرهاته ، وشريكه على ما يظهر في التجارة . وقد زرنا من عهد قريب السيد الياس بليط الحاكم سابقاً في المحكمة المختلطة فاارانا في خزانته المقطية مكاتيب تجارية عديدة مكتوبة بخط البخّاش فضلاً عن تحاارير تجارية غيرها عديدة محفوظة من زهاء ١٥٠ سنة وفيها ما فيها من الفوائد على تجارة تلك الايام وهي جديرة بان تراجع سنداً لوضع تاريخ حلب الاقتصادي .

ومما رأيناه في خزانة السيد الياس بليط دفترًا فيه منتخبات شعرية ونثرية محررًا بيد نوم البخّاش . جاء في احد فصوله المختصة بالمراسلات وبصور المكاتبات الى البطاركة وغيرهم من المسيحيين هذا الشعر مع كلمة المتمم ، وروايته لائقة بالبخّاش الخطاط الشهير :

« اذا افتخر الابطال يومًا بسيفهم وعدّوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزًا ونصرةً مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

تم الكتاب بعونه تعالى في اليوم التاسع من شهر تشرين الاول سنة ١٨٣٣ »

وجاء هذا التاريخ في موضع آخر منه :

« وقد كان الفراغ من نسخته على يد احقر عبيد الله نعمة الله الياس بخّاش من طايفة السريان في ايام بن محمد علي ابراهيم باشا في ٢٠ تشرين الاول ١٨٣٣ والرجا من القارئ به المسامحة من الغلط لانه كان بعجله — انتهى الكتاب الثالث » .

وقرأنا هذه النكتة استودعها البخّاش مجموعته المذكورة ، تروحا على علاتها وما فيها من وحشي المعنى ، اثرًا لاخلاق عهد مضى غير مأسوف عليه :

« بنت ١٠ لوزه مقشره — بنت ٢٠ تزهة الناظرين — بنت ٣٠ ام البنات والبنين — بنت ٤٠ ابرد من الاربعين — بنت ٥٠ عجوز في الغابرين — بنت ٦٠ اقتلوها بالسكين — بنت ٧٠ عليها لعنة الله والملائكة والناس اجمعين »

٢) وفي ١٦ ايلول ١٦٦٨ وقفت اصيل ابنة يوسف كنيدر اشبينة في عماد يوسف بن عبد المسيح الساحلاني وكان الاشبين نصير بن جرجس بردوط .

اشتروها بيت البردخجي[1] بليرة ٢٧٠٠ مجيديه — ومساء جاب انطانيوس ليرة ٢٨٤ مجيديه ورحت وديتهم لرزق‌الله سوكياس الذي دفعهم عني من يوم ٦ الى رزق‌الله ارسان وكيل وقف الموارنة عن كرا الدار وصار الجملة ليره ٧٠ مجيديه عن سنة ثلاثة سلف وتعجيلاً .

— السبت ، في ٢٧ ايار ١٨٦٥ ، في ٢ محرم ١٢٨٢

وهنا تنتهي اخر صفحة محفوظة بين يدينا من اليومية .

وفي التفتيش على آثار تلك الايام عثرنا على تحرير مؤرخ في تشرين الاول سنة ١٨٦٥ جاء فيه خبر الهواء الاصفر الذي حدث في صيف تلك السنة وعن اسبابه وتعليلاتها فاثبتناه في موضعه هذا تكملةً . « في شهر آب ١٨٦٥ صار قدوم الحجاج من مكة الى حلب يلقي في قلوب الحلبيين الخوف من تفشي الهواء الاصفر لان الوباء كان قد رافق الحجاج من بلاد العرب الى مصر وزرع فيها جراثيمه . وكان الحجاج بعضهم حلبيون وبعضهم ايرانيون . وطلب الناس الى الحاكم ان يحبس القادمين في المحجر الصحي لكن الحجاج عادوا الى بيوتهم زرافات ووحدانا قبل ان تتدارك السلطة امرهم . وقلق الناس لمرور قافلة الايرانيين وقد شاع عنهم انهم زرعوا الوباء في ساحل سويس ومعهم جثث موتاهم يحملونها ليدفنوها في بلادهم ولم يحسنوا تحنيطها . وسار على رأس القافلة المذكورة عيسى خان مدير شرطة طهران وميرزا حسن علي رئيس مجلس تبريز . وأتت القافلة عن طريق دمشق وكانوا قد قرروا في الشهباء ان يمكثوا الحجاج الايرانيين بعيدين عن البلدة بثلاثة فراسخ ويحملوا اليهم ما يحتاجون اليه من المؤن ليواصلوا سيرهم فلا يدخلوا المدينة . لكن تهاون الاتراك حال دون تنفيذ الاوامر الصحية فقربت القافلة حلب ودخلتها في ١٦ آب . فهاج الاهلون ورفعوا شكواهم الى ثريا باشا قائمقام ثريا بطردهم وقد توزعوا في البلد وغصت بهم

١) بردخجي جاء ذكر سوسان بنت مخائيل بردخجي في لائحة الروم الكاثوليك المعمدين عند الموارنة في ١٩ ك ٢ ١٨٢٢ — الاشبينة عنها صوفيا — المعمّد القس الياس راجي

الاسواق . وحدث اوليات اصابات الوباء في ١٦ آب فكانت حجة احتج بها الاهلون في قولهم ان الوباء لم يدخل الا مع الحجاج الايرانيين .

ومهما كان من صحة القول او عدمه فقد تأثرت حلب من الهواء الاصفر كما تأثرت غيرها من البلاد فان المرض كان قد ظهر منذ ٩ آب في قرية قراغاش بالقرب من اسكندرونة وكانوا قد وضعوا الحجر الصحي على صادرات اسكندرونة من دون السعي الكافي في تدبير طرق الوقاية منه في حلب الى ان انتشر وصار يفتك في السكان فتكه الذريع ولم تنطفئ شرارته الا في ٢٢ تشرين الاول بعد ان ذهب بحياة ما يزاهي عن ٦٠٠٠ نفس .

وصارت آفة هواء الاصفر فرصة سانحة لانجلاء عواطف الانسانية والتفاني النبيل في من تجندوا في خدمة المرضى ومساعدتهم من اطباء وحكام ورجال الدين .

الحجارة المؤلّهة

وعبادتها عند العرب الجاهليين

من آثار المرحوم الاب هنري لامنس

٣

سنحاول الآن ، بالاستناد الى كل ما تقدّم ، ان نرتقي الى اقدم المعروف عن صفة « القبة الحمراء » او القبة من أدم أحمر التي كانت تحتلّ المركز الاول في منازل القبائل الكبرى او في احياء السادة الاشراف . وذلك زمن الجاهلية . حتى اذا جاء الاسلام ، ظلّت هذه القبة على مركزها من الاهمية والرفعة في معسكرات الخلفاء والقوّاد ، ولاسيما في الاحوال الحرجة ، في تلك المآزق التي يكون فيها مستقبل الدولة او « قبة الاسلام » على قول بعض النصوص ، [1] عرضةً للخطر ، كما حصل يوم صِفّين . وقد أكد بعض الاحاديث ان النبي نفسه ، ومزاحمه مسيلمة الكذّاب ، اتخذا هذه العادة باستعمال القبة الحمراء . [2] من ذلك القبة الحمراء التي نُصبت للاجتماع بين مسيلمة وسجاح [3] . وقد كان

---

١) الاغاني ٢٠ : ١٤

٢) راجع *Fâṭima*, p. 73 النسائي : السُنن ٢ : ٢٠٢ ؛ البخاري : الصحيح (Kremer) ٤ : ٨٩ . ويذكر ان النبي كان يحمل في سفره مضربه من الادم الاحمر ، ويرتدي الاحمر ؛ الواحدي : اسباب النزول ١٥١ ، البخاري : الصحيح (طبعة القسطنطينية) ١ : ٩٩ ؛ ابو داود : السنن (مخطوطة باريس) ١٠٤ وجه ، السيوطي : الموضوعات ١ : ٢٢٠ . وهناك امثلة اخرى : في زمن الحجّ (ابن سعد : الطبقات ٢ : ٨٨ ؛ اسد الغابة ١ : ٢٥١) . في تبوك (ابو داود : السنن (طبعة الهند ١ : ١٩٩) . في حُنين (البخاري : الصحيح (القسطنطينية) ٧ : ٥٠ ، مسلم : الصحيح ١ : ١٩١ ، ١٩٢) . في الخندق (السيرة الحلبية ٢ : ٢٥٤) .

٣) الاغاني ١٨ : ١١٦ ؛ وراجع *Fâṭima*, p. 67 . وكان لعمر بن ابي ربيعة « قبة حمراء من أدم » يتخذها زمن الحجّ . الاغاني ١٠ : ٥٣ : وهو تقليد مأخوذ عن « الحُمس » ، ان لم يكن اضافه احد الرواة المُتّهَمين بالشؤون القديمة

النبي يقدر ، دون شكّ ، اهمية المظاهر الخارجية . بيد انه ، في اتخاذه القبة الحمراء كان يرمي الى اضفاء الخصائص الدينية الجاهلية باخضاعها لشخصيته ، وتحويلها عمّا كانت ترمز اليه .

وهكذا كان بشأن كلمة « الرب » التي اصبحت ، في لغة القرآن ، تعني لقباً دينياً فقط . وغدا النبي يحتجّ على استعمال « الكاهن » وما شاكل من الاسماء التي كانت تفيد ميزة ثقافية في العصر الجاهلي . حتى انه منع استعمال كلمة « الرب » في العلاقات الاجتماعية[1] . وقد دعا نفسه « الحَكَم » في العهد ، يوم استسلام المدينة ، وهو الحاكم المطلق الذي يجب ان يطيعه جميع المسلمين ، بعد ان يطيعوا الله : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » .

اما القبة فعاشت بعد كل هذه التطورات . وقد رأينا ان استعمالها الاول قديم يرقى الى عهد كان سيّد القبيلة يضرب خيمته الى جنب « البيت » او الحجر المؤلّه الذي كان من حقه وواجبه ان يحافظ عليه[2] . ويذكر ولهوسن[3] « الآلهة المنزلية » ويقول انها كانت في حوزة السيد . وكلها آراء عرضة للشكّ والخطأ كانت نتيجة التسرّع وعدم التدقيق في درس ولهوسن ومن سبقه من مؤلفي المسلمين لدور « القبة » الحقيقي في دين الجاهلية . ونحن لا نرى اي ذكر « للآلهة المنزلية » ، كما يفهمها ولهوسن ، الا في الاساطير المعروفة في « السيرة » و « دلائل النبوّة » وهي اخبار تكتنف صحتها بكثير من الشك . وفيها روايات عن اعمال المؤمنين الاوّلين وانتقامهم من الاصنام بتكسيرها واحراقها ، وهي من الحجر ! . حتى تُصبح هذه الغيرة على تحطيم الاصنام من الامجاد التي يتنازعها رجال الطبقات[4] .

١) مسلم : الصحيح ٢ : ٢٦١

٢) كان السادن ينام قرب الحجر المؤله . وفي اسد الغابة ٤ : ١٥٣ : « نمت انا في بيت العسم . » اي في القبة – المظلّة .

٣) ... Wellhausen , *Reste*, 49

٤) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤ ، ٥١ ، ٦٩ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٥٤ ، ٣٠٢ ، ٨٣٣ ؛ اسد الغابة ٣ : ٥٥ ؛ السمودي : الوفاء ١ : ١٧٨ ؛ مطهّر المقدسي ٥ : ١١٧

اما الحقيقة فهي ان الأشراف كان من حقهم، لا امتلاك « الآلهة المنزلية »، بل المحافظة على البيت او الحجر المؤله . وهم يحرسونه لا في المنزل او المضرب بل في القبة الخاصة به، وهي قبة القبيلة . وكانت هـذه القبة تُضرب الى جانب خيمة السيّد . وهو معنى المزيّة الخاصة بالقول ضُربت عليه القُبة[1] . وفي بعض الاحايين يفتقر النصّ، بان هذه القُبة هي التقليدية المتوارثة فيُقال : « ضُربت عليه القُبة الحمراء »، وهي قُبة مضر الحمراء »[2] المقدسة التي انتقلت جيلًا فجيلًا الى ممثل السيادة في المجتمع البدوي[3] . ويمكن الملاحظ ان يرى صلة دائمة بين انتقال البيت وامتلاك القُبة[4] . حتى ان الواحد لا يكون دون الآخر، او يبقى عقيماً لا منفعة منه . اما اذا اجتمعا للرجل فانه يضمن لقب « السيد » او « الرب » خاصةً[5] . ويصبح هو وذووه، حرّاس او حفّاظ الحجر المؤله لا يدافعهم في ذلك احد ؛ وهو معنى القول السائر : « هم البيت غير مدافعين »[6]، مقتضباً من القول : « هم ارباب البيت غير مدافعين . »[7] بهذا المعنى يمكن القول ان الآلهة، وبالتالي القُبة، كانت في ايدي الاشراف[8] او سادة الاسر الارستوقراطية، اي البيوتات[9]، كما قيل في ما بعد .

ونتيجة اخرى لهذا الامر أنه ليس في القبيلة المجتمعة من اصل واحد، الا « بيت » واحد، او « قبة » واحدة . واذًا فمن الاغباط ان نتكلم عن « الآلهة المنزلية » او عن العبادة الفردية . فان عربيّ الجاهلية لم يعرف الا العبادة الشاملة، تلك الشعائر التي تقوم بها القبيلة بكاملها في ظروف خاصة ومظاهر قليلة كانت

---

١) قابل بما في الاغاني ١٤ : ١٠٥

٢) البكري : المعجم ٣٤، ١٥، ١٦ ؛ *Chroniken*, II, 141

٣) البكري : المعجم ٣٤، ٤٦٤، ١١ ؛ نقائض جرير والفرزدق ٦٧١

٤) راجع *Chroniken*, II, 141 وقد تُستعمل كلمة « رياسة » مرادفة لهذه الصفة .

٥) ابن دريد : الاشتقاق ١٧٢، ١٨٠

٦) راجع *Berceau*, I, 268

٧) يشير ولهوسن الى هذا الامر (ص ١٩) دون ان يستخرج النتائج التي لم ينتبه لها .

٨) ابن هشام : السيرة ٢٠٢ . اما بشأن « البيوتات » فراجع ابن دريد : الكتاب المذكور ٢٢٨ ؛ *Berceau*, 316 ؛ لسان العرب ٣ : ٢١٩، وفيه يقال : « فلان بيت قومه ».

كافية لاستنفاد جلدة التقوي . وكان اذا خاف تأثيرًا سيئاً من بعض القوات اللابشرية لجأ الى التمائم ، وهي افضل وانجع في نظره من وجود تماثيل الآلهة في خبائه او داره .

ولنسأل الآن هل تذكّر « الحديث » هذا الماضي العريق المصطبغ بعض الشيء بالشرك ، عندما جعل النبي يشجب اللون الاحمر بكونه لون الشيطان المفضّل ؟ [1]

ان « البيوت » المنتقلة او الحجارة المحمولة ، والقبب - المظالّ عملت على تعزيز الطرافات الدينية[2] . وذلك ان الحجارة المؤلهة لم تكن لتُنقل الا في موكب من الكهّان والكاهنات والسَدَنة ومن إليهم من ذوي العلاقات المباشرة بالقوة الالهية . وفي ايّ زمن اقلع العرب عن اتخاذ الحجارة النقّالة ؟ لا شكّ انهم اقتربوا شيئاً فشيئاً من هذا الأمر في تطوّر متتابع حتى انه كان على تقدُّم ، قبيل الهجرة ، ولاسيما في الحجاز وما جاوره من اطراف نجد وهي المناطق التي كانت مهد الإسلام ، وبالتالي فهي التي تهمّنا وحدها في ابحاثنا هذه[3] ، كما انها كانت موضوع انتباه الأثريين الإسلاميين ومؤلفي السيرة . ولا يخفى ان وجود بعض الحجارة المؤلهة في عكاظ يوافق ما نعرفه عن صفات الأسواق العربية من أنها كانت ايضاً اماكن للعبادة . وقد كان لعكاظ حَرَم ، على قول الاغاني[4] . وقد يكون وجود اللات والعزّى في أُحد آخر مظهر لعرض هذه « البيوت » او الحجارة المؤلهة . فيكون ان سراة مكة ، وقد منوا بانكسار بدر فتداعت اركان جمهوريتهم ، شاؤوا هزّ الشعور القومي هزًّا عنيفاً ، فلجأوا الى احياء هذه المشاعر القديمة في مظاهرة غريبة يدفعون بها الوطنيين الى التأثّر

---

١) اسد الغابة ٥ : ١٢ ؛ راجع *Fātima*, 71 . واطلب في شأن قبة النبي الحمراء ، البخاري : الصحيح ١ : ١٠٧ ، ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩٨

٢) قابل بالتعبير « قبة الاسلام » ، الشاعر عُديل في الاغاني ٢٠ : ١٤ ؛ « وقبة الكرم » الاغاني ١٤ : ١٠٥

٣) وهكذا فاتنا عمل بلاد اليمن ، وهي تختلف في ما خصّ مظاهر التطوّر الديني .

٤) الاغاني ١٠ : ٣٦

برأى آلهة مدينتهم العريقة ، فاستعادة الثقة بها والايمان بتأثيرها ، بعد ان كاد هذا الإيمان يتمحي بما فطر عليه البدوي من عبث وعدم تقوى. بيد اننا في هذا المبحث ايضاً نرانا مضطرين الى الأخذ بنصوص منقوصة لم يبقِ منهـا الرواة الأوّلون الّا ما شاءت نزعاتهم.[1] وقد كانوا مدفوعين الى تجاهل هـذا الماضي الجاهلي ، ولاسيما في ما خصّ النظام الديني ؛ فلم يبقوا من النصوص والوثائق القديمة الّا ما وافق فكرتهم او فكرة من أثّر عليهم من ارباب السلطة . وكلّها ترمي الى تناسي « القبب الحمراء » « فخر العرب »[2] « ومجد الجاهلية » ، كما يقول الفرزدق ، وما الى ذلك من المظاهر المكية في طوافات رجب « والعتائر » الدامية ، والاختلاطات الصاخبة التي أنف منها النبي لمـا فيها من دلائل الشرك الوثنية . ويجب الّا نسهو عن مثل هذه الأمور كلّما طالعنا القرآن . وليس فيه ذكر « للبيوت » بمعنى الحجارة المؤلهة ، ولا « للقباب - المظالّ » .

۞

ظلّت الحجارة المديدة مدةً طويلة تحتلّ فناء الكعبة ، اي الساحة المحيطة بها[3] . على انها لم تبلغ ذاك العدد الكبير الذي ترقى بـه الاسطورة الى ٣٦٠ يحطّمها النبي يومَ الفتح . وكان ذاك الفناء الضيّق ، وقد حصرته المنازل المتقدّمة من كل جهة ، يكوّن « مسجد الكعبة » ومجتمع القرشيين . ويزعم القرشيون ان نظام مجتمعهم هذا ، او دستور جمهوريتهم ، يرقى الى جدّهم قُصَيّ . واليه ينسبون كل ما يأخذون به او يطبقونه عليهم من مؤسّسات وقوانين وشعائر مدنية ودينية[4] . وقـد يكون قُصَيّ ، عندما شاء ترميم الكعبة[5] ، انتخب

١) فلم يروا في قُبّة سيبة الا الملجأ . وقابل بما في قول ابن دريد : الكتاب المذكور ، ص ٢١٥

٢) الجاحظ : الحيوان ٥ : ١٤٣

٣) وهو ما يسمّى « مسجد الكعبة » ، اسد الغابة ٤ : ٥٧ . وبعض الروايات تضع الحجارة داخل الكعبة اي ضمن السور الحجري ، لأن الكعبة لم يكن لها اذ ذاك سقف ولا بلاط .

٤) قابل بما في حسّان بن ثابت : الديوان ١٧٦ : ٥

٥) ابن دريد : الاشتقاق ٩٧ . وقد يكون قُصَيّ غيّر في مساحة الفناء ، وزاد في بناء الكعبة .

عددًا من تلك الحجارة المكرّمة[1] . من ذلك اننا رأينا ، بعد الترميم ، الى جنب الحجر الاسود ، وهو اهم مؤلّهات قريش ، عددًا من « البيوت » و « الاركان » و « الحجارة » تحتلّ جوانب الكعبة . ويبذل التقليد السنّي جهودًا كثيرة في سبيل ستر هذه المظاهر الانتقائية في الدين ، بعد ان دلّ عليها الترادف اللغوي ، كما دلّ عليها عدد الحجارة المحفوظة مكرّمة في الإسلام الموحّد . فيحاول التقليد حصر انتباهنا في الحجر الأسود وحده . بيد ان الشعراء الجاهليين لا يهتمّون بهذه المرامي المتأخرة عن عهدهم . وهم ، ان لم يذكروا الحجر الأسود ، فلأنهم لم يسمعوا بعلاقته بالتوحيد الابراهيمي ، بل لم يتصوّروا وجود هذه العلاقة ، خلافاً لما يزعمه ابن هشام[2] . وهم ، فوق ذلك ، يذكرون ، غير الحجر الأسود ، من المعبودات في مكة . يشهد بذلك هذا البيت لحسان بن ثابت ، شاعر النبي ، في هجاء بني هُذَيل :

وما لهمُ ، اذا اعتزوا وحجّوا ، من الحَجَرين والمسحى نصيبُ[3]

والقصيدة متأخرة بضع سنوات عن زمن الهجرة ، كما يظهر من النصّ نفسه . وقد اوحى بها امر « الرجيع »[4] ، موحي سائر الاهاجي الموجهة الى بني هذيل . اما « الحجران » فقد نظنّ انهما الصفا ومروة[5] ، لولا ان القرآن سمّاهما « المشعرين »[6] ، وجرى الشاعر المدني نفسه على هذه التسمية في احدى قصائده[7] . واما « المسعى » فقد يمثل طواف غير طواف الصفا ومروة .

وكانت الحجارة المصطفّة في فناء الكعبة[8] عرضة للسيول التي كثيرًا ما

١) كان النبي يكرّم خاصة الحجارة الموجودة « من نحو دور الجُمحيين » ؛ مُسلم ، الصحيح ١ : ٤٨٧

٢) السيرة ٥٥

٣) ديوان حسّان ٦٨ : ٣

٤) ابن هشام : السيرة ٦٢٨

٥) وكلتا اللفظتين تفيد معنى « الحجر »

٦) القرآن ٢ [البقرة] ١٥٢

٧) راجع ديوان حسّان ٨٨ : ٣

٨) راجع مسلم : الصحيح ٢ : ٨٦

لطختها بالوحل ، او جرّتها الى اماكن بعيدة[1] . فوجب من ثم العمل على وقايتها . واحياناً كانت مياه السيل تدخل الكعبة ، وتخلخل آساسها . فيقوم القرشيون على ترميمها دون اهتمام بحسن الهندسة احياناً[2] . وقد جرت احدى هذه الترميمات في حداثة النبي ، فأعيد الحجر الأسود الى مكانه من جدار الكعبة[3] . على ان السيرة تتناسى مصير باقي الحجارة او « الاركان » فلا تذكر عنها شيئاً . ولا يشير « الحديث » الى عدد « الحجارة » الموجودة في بناء الكعبة[4] .

ولم يكن هذا العدد بالقليل . ولا ننسَ ان ارباب الاحاديث يجعلون منها ، امام النبي يوم الفتح ، ٣٦٠ ، وهي « الانصاب » التي تُركت في فناء الكعبة الضيّق ، على قولهم[5] . وقد استفادت المجموعات من المعنى المزدوج للفظة « رُكن » ، وهي تفيد « الحجر » و « الجهة » او « الناحية » . وهكذا غدا الحجر الاسود يُدعى « ركناً » او « الركن » على الاطلاق[6] ؛ مما يدل على ان « الركن » كان مشهوراً في مكة بمعنى الحجر المؤلّه .

---

١) ابن سعد : الطبقات ١ : ٩٣ . حصل سيل جارف على عهد المأمون ؛ الجاحظ : المحاسن ، ١٩ . وقد عرضنا الى ذكر هذه السيول المؤذية في بحثنا عن « مكة قبيل الهجرة » ص ١٠٣ وما بعدها .

٢) مما اثار احتجاج النبي ، راجع جفرائية المقدسي ، ص ٧٤

٣) ابن هشام : السيرة ١٢٢ . ولا يخفى ان ابن اسحق ، وهو من موالي العباسيين ، يميل ، في هذا الخبر ، الى تأييد الدعوة العباسيّة أكثر منه الى الدقة التاريخية .

٤) وكثيراً ما نرى الاشارة الى هذه الحجارة بصيغة الجمع فيُقال : « الاركان » . وفي سُنن ابي داود ١ : ١٨٧ يُذكر « ركنا » اليمن . قابل بما في رحلة ابن جبير ٨٣ . وهناك ذكر « لحجارة » داخلة في بناء الحائط . اطلب Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, ٤٠ ؛ وابن هشام : السيرة ، ٢٩ . وفي طبقات ابن سعد ١ : ٦٤ : « الله ذو الاركان » في قصيدة منحولة الى عبد المطلب .

٥) راجع البلاذري : فتوح البلدان ٤٠ ؛ ابن حنبل : المسند ١ : ٢٧٧ ؛ مسلم : الصحيح ٨٦ .

٦) راجع مثلاً ابن هشام : السيرة ٧٨٩ وفيها يُسمّى : « الركن الاسود » . ابن الاثير : النهاية ٢ : ٤٧ ؛ كتب الصحيح والسنن في « كتاب الحج » ؛ ثم مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧ ؛ *Chroniken*, II, 138 ؛ البخاري : الصحيح ٢ : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ٩٣–٩٤

ويظهر ، في زمن الهجرة ، انه كان لاكثر الأُسر القرشية المهمّة « اركان » خاصة ، تنفرد كل واحدة بركن منها . وقد ذُكر منها « ركن بني جُمَح »[1] . على ان المفسرين حاولوا تخفيف هذا التعدُّد في معبودات القرشيين ، فزعموا ان ليس الركن هنا بمعنى « الحجر المؤلّه » بل بمعنى الجهة او الناحية من الكعبة « من نحو دور الجُمحيين »[2] . وقد نفهم من هذا كيف عملت الأُسر المكية الكبرى على اقامة انديتها او مجالسها في فناء الكعبة ، كل واحدة بقرب معبودها او حجرها المؤلّه ، دون شك . وهناك ذكر للحجر الاسود والذي بجواره[3] . على ان الذكر المستفيض في كل هذه المجموعة الحجرية في فناء الكعبة يختصّ به « الركنان اليمنيان »[4] . وقد شاءت احدى الروايات ان تحوّلها الى « ركن يمني او يماني » واحد[5] . وهناك ذكر لحجرين يُكرَّمان في الصفا ومروة[6] . ولغيرهما من الحجارة المزدوجة[7] .

ينتج مما تقدّم الميل الى تكريم الاركان مزدوجةً . وهذه الفكرة في الازدواج هي التي اثرت في الطوافات المكية بين « عُمرة » و« دَوَار » و« مسعى » . ولم تختصّ مكة بهذا الازدواج . وقد رأينا مظاهره في غير مكان من البلاد العربية[8] : في معركة أُحد مثلًا . وفي بيئة القطعة الخزفية التي درسها الاستاذ كومون . ومن السهل ان نعدّد الامثلة والشواهد على هذا الازدواج في عبادة الجاهليين ، وعلى ميلهم الى ذكر الحجارة او المعابد مزدوجة . وهذا حسان يتم

١) البغوي : مصابيح السُنّة ١ : ١٢٥ ؛ الثاني : السُنن ٣ : ٢٦ ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧

٢) مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٧ ؛ الثاني : المكان المذكور .

٣) مسلم : في المكان المذكور .

٤) او « الركنان » فقط ؛ البغوي ١ : ١٢٢ ؛ ابن هشام : السيرة ١٢٤ ؛ مسلم ١ : ٤٨٦ ، ٤٨٧ ؛ ابو داود : السُنن ١ : ١٨٧ ؛ الثاني : السُنن ٣ : ٢٤ ، ٢٩ ؛ الدارمي : السُنن (مخطوطة مكتبة القاهرة) ٢٦٣ . وفي صحيح مسلم ١ : ٤٨٧ : « الركن الاسود وركن بني جُمح » .

٥) مسلم ١ : ٤٨٧

٦) الطبري : التفسير ٢ : ٢٨

٧) الدارمي : المخطوطة المذكورة ٢٦٣ ؛ الثاني ٣ : ٢٤ ، ٢٩ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٢٨

٨) ديوان حسّان بن ثابت ٢ : ٦٨

ثابت يُسمّي مُطعم المكّي « رب المشعرين »[1] ، وقد ذكرنا له بيتاً يشير فيه الى « الحجرين » . وهذا شاعر مدنيّ آخر ، قد يكون تأثّر به حسّان ، وهو ابن الحُداديّة ، يذكر « سعاية بين المشعرين »[2] . ولنُشر الى الازدواج المعروف في الصفا والمروه ، وفي عَرَفَة والمُزدَلِفَة ، وأخيرًا في « القَرنَين » ، حَجَرَي الحيرة المكرّمين ، المصطبغين بالدم كما يدلّ اسمها . وقد يكون هـذا الازدواج القديم أثّر في تصميم التعبير الاسلامي « المَسجِدَين » الدالّ على مكة والمدينة[3] .

وكان من عادة الجاهليين ، في الأيمان المعظّمة او في الاتفاقات المشهورة ، ان يقسموا بماء زَمزَم « أركان البيت » ثم يوزّعون ماء الغسيل على ارباب العقد فيشربونه[4] . رأينا ان الازدواج غالب في ذكر الحجارة . على ان كثرتها وتنوّعها يجيز الجمع في لفظة « الأركان » . ولنُشر الى النصّ الذي يذكر فيه « ركنان » مجاوران للحجَر الأسود[5] . الّا ان يكون المعنى ركنـان مجاوران لِحَجَر[6] . وكلتا القراءتين ممكنة . ومهما يكن من موقع هذه الحجارة فـان جميعها جديرة بالتكريم تكريم الحجر الأسود نفسه . واذًا فلا غرابة ان يكون معاوية وابن الزُبَير يكرّمان جميع « الأركان » الداخلة في حيطـان الكعبة دون تمييز[7] . وهي عادة لا شكّ في تأثرها بالعادة الجاهلية[8] ، شارحةً

١) ديوان حسان بن ثابت ٨٨ : ٢

٢) الاغاني ١٣ : ٦ ؛ ٣ : ٩٦

٣) قابل بما في القرآن ٥٥ : ١٦–١٧ وفيه ان الله ربّ « المغربين والمشرقين »

٤) الاغاني ١٦ : ٦٦

٥) أهو حَجَر ام حِجر ؟ راجع مسلم . الصحيح ٢ : ٥١ ؛ النسائي : السُنن ٢ : ٢٤ . ويذكر البَلَنوني في « الرحلة الحجازيـة » ص ١٠٥ ، حجرًا في الركن اليماني اسمه « الحجر الأسعد » .

٦) البخاري : الصحيح ٢ : ١٥٦ . ويظهر ان النبي والصحابـة كانوا يكرّمون جميعهم هذين الركنين ، أسد الغابة ٣ : ٢٤

٧) البخاري : الصحيح ٢ : ١٦٢ ؛ ابن حنبل : المسند ٤ : ٩٤–٩٥ ، ٩٨ . ولا يخفى ان معاوية وابن الزبير يمثّلان ، في نظر ارباب الحديث ، ترعتين متماكسـتين

٨) راجع الجَدَل في ذلك في ابن الأثير : النهاية ٤ : ١٦٢ . وقد ينتج من ذلك ان النبي لم يكرّم الا « الركن الغربي »

كيف اصبح « المسجد الحرام » ، وقد احتلّ وسطه « بيت الله » ، المعبد الوطني الجامع آلهة قريش وقبائل تهامة[1] .

والحَطيم الواسع الذكر في الأيمان الشعرية ؟ ان الغيوم المتراكمة بالشروح المختلفة لأكثف من ان تسمح لنا بتحديد طبيعة « الحطيم » واصله[2] . هل هو حائط الكعبة المجاور للحِجْر[3] ؟ ام هو مرادف حِجْر؟ وهكذا نرى النبي يقوم في الحطيم[4] بالشعائر التي تُقام عادة في دائرة الحِجْر[5] . هو شرح لا خطر فيه أقرّه ارباب الحديث ، واخذ به ولهوسن من بعدهم[6] . وقد أيّد رأيه بالتعبير « حطيم البيت » . قلنا: وهي طريقة لم يكن لينكرها ابن دريد وابن سيده وامثالها من هواة « الإشتقاق » والتخريج .

اما نحن فلكي نتمكن من اقرار نتيجة كهذه يجب ان يثبت لنا ان الحِجْر كان منذ القديم قسماً من الكعبة . من الحق ان احد الاحاديث يقول بهذا . ولكن اي قيمة تاريخية له ؟ ثم ان ولهوسن يذكّرنا برأي معاصري النبي ان الحطيم اسم شيطان او صنم[7] . واذاً فكيف نوفّق بين معادلة الحطيم

١) كبني خزاعة وغيرهم من القبائل المجاورة الذين كانوا في مكة قبل القرشيين ، وتركوا فيها آلهتهم .

٢) اما في يومنا فالحطيم والحِجْر واحد . راجع L. Roches, *Dix ans à travers l'Islam*, 297-298 ؛ اطلب ، في رحلة ابن جبير ، المقاطع المذكورة في الفهرست وزد عليها ص ١٠٣ ، ١٨٠ ، وفيها ان الحطيم هو النبة التي يقف فيها ائمة المذاهب السنية الاربعة . وكذلك في رحلة ابن بطوطة ١ : ٢٧٤، ٢٩٢ ، الذي كثيراً ما نقل عن ابن جبير ، راجع في ذلك الانتقادات المنشورة في *Journal Asiat.*, 1918, p. 474

٣) ابن هشام : السيرة ١٢٤ . قابل بالرأي المنسوب الى ابن عبّاس : الحطيم الجَدْر يعني جدر الكعبة . ياقوت ٢ : ٢٩٠ . اما الجَدْر فمناه الحِجْر . البخاري : الصحيح ٢ : ١٥٦ ؛ ابن الأثير : النهاية ١ : ١٤٨ ، ١٥٠ .

٤) ابن دُرَيْد : تيسير الاصول ٣ : ٢٢٤

٥) ابن هشام : السيرة ٧١، ٩١، ٩٣، ٢٦٤ ؛ ابن حنبل : المسند ٤ : ٣١ ؛ الطبري : تاريخه ١ : ١١٥٧ ؛ البلاذري : انساب الأشراف ١٦٢ وجه ؛ مسلم : الصحيح ١ : ٨٢

٦) Wellhausen, *Reste*, 74 ؛ ابن الأثير : النهاية ١ : ٢٢٧

٧) *Reste*, 74, n. 1 وفي ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٢٩٠ ان الحطيم « ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطّم الناس للدعاء . وقال ابن دريد : كانت الجاهلية

للحجر[١] ، وهذا الرأي الاخير ،[٢] واقوال الشعراء وتلميحاتهم[٣] . فان اقوالهم الغامضة ، التي زادهـا التباساً واضطراباً عمل الرواة والشرّاح ، تضع « ركن الحطيم »[٤] الى جنب « رب مكة » فيكون الحطيم «ركناً »[٥] اي حَجَراً . ولا يخفى ان الكلمتين مترادفتان في مكة . وهل تخطئ ، بعد هذا ، اذا اعتبرنا وجود حجر مؤلّه او معبود لم يُذكر في لائحة « الحجارة » ، اسمه الحطيم ؟

وكان ينافس سائر « اركان » الكعبة في احترام الشعب فيكرّمه الحجّاج تكريمهم « ربّ البيت العتيق ».[٦] ومن اضطراب الشرّاح انّ بعضهم لجأوا الى

تتحالف هنـاك يتحطّمون بالأيمان . وكل من دعا على ظالم وحالف اثمًا عجّلت عقوبته . » (كذا !) وفي اشتقاق آخر ، في الموضع نفسه : « سُمّي حطيماً لان البيت رُبّع وتُرك محطوماً . »

١) راجع جغرافية المقدسي ٧٣، ٧٥ وفيها انه الحِجْر اي الناحية « مما يلي الميزاب . » اطلب ياقوت : الموضع المذكور ؛ ابا تمام : الحماسة ٧١٠ ؛ لسان العرب والتـاج في مادة حطم . على ان هذا «الميزاب » لا يرقى الّا لسنوات قليلة قبل الهجرة ، لأن الكعبة في الأصل « لا سقف عليها » . وقد اورد اللسان عن ابن سيده انه سُمّي الحطيم لانهم « كانوا يحلفون عنده فيحطم الكاذب » وزاد على هذا الشرح انه « ضعيف » . اما الهمداني في « جزيرة العرب » (ص ٢٧٣) فانه يميّز بين الحجر والحطيم . وهناك غير ما تقدّم من شروح واشتقاقات في لسان العرب ٨ : ٣٩ — ٤٠ ؛ وتاج العروس ٨ : ٢٥١ ؛ وقـد لخّص Lane, *Lexicon* نحو اثني عشر منها .

٢) اضف اليه الرأيين التاليين : ١ً الحطيم ما بين المقام او الباب . ٢ً الحطيم مـا بين الركن والمقام وزمزم والحِجر ؛ ياقوت : ك . م . ٢ : ٢٩٠—٢٩١ ، ٦ : ٦٢٩ ؛ ابن بطوطة : رحلته ١ : ٢١٦ يجعل الحطيم ومقام ابراهيم واحدًا

٣) ابن ملجم يحلف قرب الحطيم بانه يقتـل عليًا ، الطبري : تاريخه ١ : ٣٤٦٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ٣ : ٢٢٩ ؛ ولا يمكن استنتاج شيء في تحـديد الحطيم من قول ابي داود : السُنن ١ : ١٨٩

٤) وقد ورد في بيت للحزين ، في حماسة ابي تمام ، ٧١٠ . واذًا فلا يمكن جعله الحِجْر نفسه ، وليس الحِجْرُ بركن . اما بشأن نسبة البيت فراجع الاغاني ١٤ : ٧٨ ، ٧٩ . ولا ينفي ذلك المعادلة بين الحطيم والحجر الاسود . وليس لنا نتيجة من قول الاغاني ١٣ : ٤٠

٥) في بيت منسوب للفرزدق ، الاغاني ١٩ : ٤١ ؛ وفيه ان الحطيم يُقبَّل وهو عمل لا يصح بالنسبة الى الحِجر .

٦) الاغاني ١ : ١١١ ، ٥ : ١٥٢ ، ١٤ : ٧١

التوحيد بين الحطيم والكعبة . وقد يكون من أثر هـذا الجمع ذاك الحديث الذي عدّه السيوطي بين « الموضوعات» والذي ينسب الى النبي قوله ان درهم الربا افظع من ستة وثلاثين زنىً في الحطيم.[1] على ان هذه المحاولة في التوحيد بين الحطيم والكعبة تصطدم بوجود التعابير القديمة من مثل « حطيم البيت » و« حطيم الكعبة . » وكلها تفيد علاقة لا معادلة بين الأثرين . وهذا التعبير الاخير وارد في بيت شعر قديم يذكر الحطيم موضعاً للأيمان[2] . وسرع ما يتحقق المطالع تجاه هذه الشروح والتفاسير المتعدّدة اضطراب الرواة والمحدّثين واجتهادهم في تغطية ما قد يُشتمّ منه رائحة الشرك .

وقد رأينا الكثير من هـذه الحجارة المحفوظة في جوانب الكعبة تتشعّ حتى يومنا بمظاهر التكريم كما يتمتع بها الحجر الأسود . اما شكل الكعبة القديم بجدرانها الملساء ، الخالية من السقف ، المفتوحة لاستقبال الحجارة المؤلّهة ، فانه يرقى ، على الارجح الى عهد الترميم الذي قام به قُصيّ . وفي ذاك العهد أُحدِثت مُنشآت مختلفة بجوار الكعبة ، كدار الندوة[3] . فغدت الكعبة مع فِنائها الدائر بها المستعمل للطواف الديني ، تكوّن المسجد الارستوقراطي ، او المعبد الخاصّ بابناء قُصيّ الذين كانوا يفارون عليه ويقومون بخدمته وحراسته[4] . اما ما سوى ذلك من تاريخ تطوّرات هذا البناء في العهد الجاهلي فـلا نعرف عنها شيئاً . وليس في مرويّات الأزرقي واساطيره التي جمعها في القرن الثالث للهجرة ما يفيدنا شيئاً في هذا النقص . واذًا فنحن مضطرون الى ترك البحث عن اصل « الحِجْر » الغريب[5] ، وغايته ، وعن ذاك الجدار القليل الارتفاع المستدير

١) السيوطي : الموضوعات ٣ : ٨٣ ٢) ابن هشام : السيرة ٥٥٦

٣) ابن دريد : الكتاب المذكور ٩٧ . اما الغاية الحقيقية من هذه الدار فلا نعرفها تماماً راجع *La Mecque* 62, 74, 101

٤) كان نادي على فناء الكعبة . قابل بما في القصيدتين ١٧٣ و١٧٤ من ديوان حسان ان كانتا صحيحتي النسبة . ولا يخفى اثر الدولة العبّاسية في تكييف قصائد الشاعر المدني على رغباتها .

٥) وفي بعض النصوص يُحرّم على المصلّي ان يتجه نحو الحجر في صلاته . راجع جغرافية المقدسي ص ٧٢

من الكعبة ، وعن حقيقة القرار المتخذ بشأن « مقام ابراهيم »[1] ولماذا تُرك الحجر في مكانه قرب هذا المعبد خلافاً لما قُرّر بشأن سائر الحجارة او « الاركان » التي أُدخلت في الكعبة . وقد كان من نتائج هذا الادخال ان الاركان المذكورة جُمّدت في مراكزها فلم يعد من المستطاع نقلها في اثناء العُمرة ، اشهر الطوافات السنوية في مكة[2] . وبهذا فقدت تلك المظاهرات كثيراً من اهميتها القديمة . وقد تقدم لنا ان النبي شهد احد هذه الطوافات في حداثته ، فآلمه ما تحقق فيه من مظاهر الصخب الهمجي والشرك الصارخ . والى هذا قد تشير الآية التي تقضي على القائمين بتلك المظاهر الفاسدة بالعذاب الابدي فتقول : « ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »[3] . ويقول الحديث ان جميع طوافات العُمرة التي قام بها النبي كانت في غير رجب[4] ، وهو الشهر الذي كان يقع فيه عيد مكة في الجاهلية . وفي هذا دليل جديد على محاولات النبي في محو المظاهر الوثنية في عبادة المكيين .

٤

قيل ان تلاشت معالم « البيوت » النقّالة ، اخذت تتلاشى صفات الاشخاص الجامعين بين خصائص الكهانة والسيادة ، الحاملين بفضل هذا الازدواج في المهنة لقب « الربّ » الفخم[5] . وقد عرضنا مرّة ، الى هذا التعبير في درسنا الالقاب التي كان يحملها ارباب السلطة في الصحراء[6] . فيلزمنا الآن ان ندقق ، قدر

١) راجع المقدسي ، ٧٢–٧٣ ؛ Snouck Hurgronje, *Mekka*, I, 11

٢) بصرف النظر عن سائر « المواكب » الدينية ، وكانت في كثرتها كثيراً ما تستدعي تحكّم البدو الشاكين ابداً . اطلب الاغاني ١ : ٢٠

٣) القرآن ٨ [الأنفال] ٣٥

٤) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٢٣

٥) الاغاني ٨ : ٦٨ ، ٧٠ : ١٠ : ١٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف (الطبعة المصرية) ١٩٨ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ١٦٠ (وفيه امثلة عديدة) . ويُدعى المتحدّرون من سلالة الكاهن شقّ « ارباب بَجيلَة » . الاغاني ١٩ : ٥٣

٦) اطلب . . . *Berceau, I*, 203 ؛ في تفسير الطبري ١ : ٤٦ « الرب » يعادل « السيد المُطاع . »

المستطاع ، في قيمة هذا اللقب الذي يظهر نافرًا في تلك البيئة ، لما نعرفه من تقيّد البدو بمظاهر المساواة الديموقراطية . واذًا فلا شكّ في ان الاهتمام الديني وحده كان بامكانه ان يفرض على البدو الديموقراطيين قبول هـذا الامتياز الاجتماعي . وهذا نولدكه يميل الى الشك بصحة القول ان الجاهليين كانوا ينادون احد كهنتهم العظماء « يا ربّنا ! »[1] ومهما يكن من اسباب شكه ، فان حكمه بان القول المذكور « صورة إسلامية تمثل جهل المشركين الأعمى »[2] لا يخلو من شيء من البساطة . فان فيه اهمالًا للاستفادة من بعض « بقايا الجاهلية » على لغة ولهوسن . من الحقّ ان كثيرًا من المرويّات عن ذاك العصر ، التي تضخّم مجموعات الاغاني[3] ، يكتنفها الشك . وقد يكون منها هذا الخبر . ولكن من الحقّ كذلك ان الرواة والقصّاصين ، في انشائهم لها ، استفادوا من بقايا وذكريات شعرية وتاريخية لا يمكننا الاستفادة منها اليوم . ولهذا لا نرى من الحكمة ان نطرح جانباً كل ما جاءنا من المرويّات القديمة ، قبل ان ندرسها ونحلّلها واحدة واحدة علّنا نستفيد تقدّماً في درس الضمير الديني في مجتمع ابناء اسماعيل .

ذكرنا في كتابنا « مهد الإسلام »[4] ، في الكلام عن اعمال « الكهنة القدماء » ، انه كثيرًا ، ما كان يعرض لهؤلاء القائمين بخدمة الآلهة ، في اثناء استعمالهم وظيفتهم ، ان تتضاءل في شخصيتهم اهمية دورهم ، فيخالوا انفسهم مكان تلك الآلهة المخدومة واذا بهم يستعملون طريقة الانشاء الخاصة بها . » من هذا القبيل ذاك الخبر المرويّ عن كاهن بني أسد ، عوف بن ربيعة ، الذي اجاب دعاء قومه : « يا ربّنا ! » بقوله : « يا عبادي . »[5] هذا الخبر الذي يوقع

---

١) قابل بالقول عن احد القرشيين من مخزوم : « ربّكم » ؛ ابن دريد : الكتاب المذكور ، ٦٣

٢) في *Der Islam*, V, 211 في نقده كتابنا *Berceau de l'Islam*

٣) وهي في اكثرها تعمل على شرح المقطوعات الشعرية فتستخدم معلومات تاريخية وجغرافية قد تكون موضوعة بعد الوقوف على المقطوعة الشعرية المنوي شرحها . ولا يخفى ان كل شارح يؤوّل فيها ويبدّل على ما يوافق هواه ونزعته .

٤) *Berceau*, I, 204 ٥) الاغاني ٨ : ٦٦

نولدكه في الاستغراب ، لا نراه بعيدًا ان يكون مستنتجاً من بيت لحسّان بن ثابت . في ديوان حسّان ، قصيدة يرثي بها الشاعرُ المدني سيّدًا من قريش اسمه مطعم بن عديّ . فيسميه « سيّد الناس » « وربّ المشعرَين » وبعد اعطائه هذا اللقب الفخم ، هل يتردّد الشاعر الانصاري في القول ان المكيّين اصبحوا « عِباد » مطعم ما قاموا بشعائر حجّهم !

كل هذه الملحوظات تدفعنا الى اعادة ما قلناه[1] من ان لقب « الربّ » مختصر من « ربّ البيت » ، او « ربّ القبة » ، وهو لقب عالٍ يضع صاحبه فوق سائر « السادة » فيرفعه الى مقام اكليريكي او ديني ، اذا صحّ التعبير . على ان اللقب المختصر اي « الربّ » ، لم يمنع استعمال التعبير الكامل : « رب القبة »[2] ، او « رب القبة الحمراء »[3] . وقد مرّ امام عيني القارئ كثير من هذه الأمثلة[4] . نرى هؤلاء الاشخاص ، المرتفعين عن جمهرة زملائهم في السيادة ، يخلفون « الكهنة » الذين اشارت اليهم الرُقُم النبطية[5] ، والذين كانوا

---

١) *Berceau*, I, 204

٢) او « أهل القباب » كما ذكرنا . وقد يُطبَّق هذا اللقب على الامير اللخمي ، ملك الحيرة ، كما ترى في قصائد النابغة الذبياني وحسّان بن ثابت ، حتى بعد اهتداء اللخميين الى النصرانية . فهل يكون المعنى الاصلي للتعبير دخل منذ ذاك ، في حيّز النسيان ؟

٣) او « ربّ المشعرين » كما في قول حسّان .

٤) وهذا مثل اثيوبي . فقد ذُكر في سُنن ابي داود ١ : ١٩٥ ؛ والاغاني ٢١ : ٦٠ ؛ واسد الغابة ٥ : ١٧ : « ربة بيت في الجاهلية » . ولا يظن القارئ ان المقصود بهذا التعبير « سيدة بيت » او « مديرة اسرة » فان هذه الصفة لا مبرّر للاشارة اليها في المجتمع الحاضر . ان المقصود كاهنة متعلّقة بخدمة بيت او حجر مؤلّه .

٥) Jaussen - Savignac, *Mission archéologique en Arabie*, I, 213, 217, n°s 57, 58, 59. ويستغرب المؤلفان العالمان عدم وجود أثر لأيّ بناء ديني في جوار هذه الرُقُم وهو استغراب لا مبرّر له ، اذا انتبهنا لما استخلصناه من نتائج عن صفة « البيت » العربي الذي لا يفرض وجود الهيكل او المعبد بمعنى البناء الخاصّ . قابل ملاحظتنا (ص ٢١٥) بقول E. Littmann, *Zu den nabat. Inschriften von Petra*, dans *Zeitschr. für Assyr.* 1914, 17, 268-269 اما اصل هذا الالتباس والوهم ، فإقبال العلماء من فرنسويين وألمان ، على ترجمة « بيت » بمعنى المنزل العصري *Maison* او *Haus*

يقومون بحفظ المظلّة المقدّسة او البيت او قبة القبيلة.[1] وفي الجزء الاول من عهد الإسلام ذكرنا اسماء عدد منهم ينتسبون الى اشهر الأسر العربية[2]. ونضيف اليهم الآن هشام بن المُغيرة المخزومي المشهور بكرمه حتى قيل « كان سيدًا مطعامًا » وعندما توفي اخذ المنادي يحترق شوارع مكة صائحًا : « اشهدوا جنازة ربّكم ».[3]

ولا يخفى ان تراجم هؤلاء الاشخاص الذين تقاسمت حياتهم الاسطورة ، قبلغت ببعضهم الى اعمار كثيرًا ما تجاوزت المائة بل المئات[4] فعُدّوا بين المعمّرين ، تفيدنا الكثير من التذكارات والتلميحات الراقية الى آثار المؤسّسات في الجاهلية الاولى .

بيد انه يجب ان لا نخلط بينهم وبين امراء الغساسنة وملوك الحيرة. كما قد يقود اليه لقب « الرب » المشترك ، « كربّ الشام » الدالّ على الأمير الغسّاني . و« ربّ الخورنق »[5] المشير الى ملك الحيرة . كذلك يجب ان نفصل بينهم وبين بعض امراء البادية من الذين كان من حظّهم ان تسنوا ، لمدة قصيرة ، « بربّ الحجاز » ، « وربّ تميم »[6]. وكلها القاب ضخمة نقلها شعراء البلاط ، في ما بعد ، الى الخلفاء[7] . ولم يرضَ عنها التقليد السنّي فاشار الى ان النبي حرّمها

---

١) كان زهير بن جناب المشهور ينام « في قبة له من أدم » ، الاغاني ٩ : ١٧٦ ؛ ٢١ : ٦٠ ؛ *Berceau*, I, 320

٢) الاغاني ٢١ : ٦٠ ؛ *Berceau*, I, 204-205

٣) ابن دريد : الكتاب المذكور ، ٦٢

٤) من مثل زهير ، وشِقّ ، وسطيح . . . ، اطلب ابن دريد : الاشتقاق ٢٦٢ ، ٣٠٣ . والمجلّد الذي خصّ السجستاني « بالمعمّرين » ونشره Goldziher

٥) الاغاني ١٤ : ٧ ، ١٥ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١١٣ ، ٢٢٩

٦) ابن دريد : الاشتقاق ، ٢٣٠ ؛ الاخطل الديوان (طبعة صالحاني) ٣٠٥ . وهناك تعبير « رب العزّى » يميل ولهوسن الى نسبته الى الله (*Reste*, 35, 220) أوَ لا يكون من الاصحّ ان نُتمّ التعبير فنقول : « رب بيت العُزّى » ؟

٧) كرب مَعْدٍ وما شاكل . . . الاغاني ١٨ : ١٥١ ؛ الجاحظ : الحيوان ١ : ١٦٠

بالنسبة الى البشر »[1] ذاكرًا ان القرآن يجعل منها لقبًا الهيًّا »[2] شاجبًا عمل « اهل الكتاب » في تلقيب افراد اكليروسهم « بالارباب » و« الربانة »[3]. ولا يخفى ان الإسلام يخلو من نظام اكليريكي . واذا اضفنا الى هذا تذكارات الشرك الجاهلية العالقة بهذا اللقب ، فهنا موقف الحديث والتقليد من لقب « الربّ » موقف الحذر والإعراض . وسنرى كيف ان الشروح اللغوية تفيدنا عن قيمة هذه التذكارات القديمة في مركز « ربّ القبة » او « رب البيت » في البيئة الجاهلية .

❧

في اقوال النسّابة ، اذا ما ترجموا للأسر الشهيرة والشخصيات الرفيعة المعروفة في تاريخ البادية ، كثيرًا ما نرى قولهم : « هم البيت » او« هو بيت قومه. »[4] واحيانًا تأتي هذه الجملة على صورة اخرى قد تكون اقرب الى الاصل وهي قولهم : « فيهم البيت » او « اليهم البيت »[5] فما هو هذا « البيت » أساس الشرف والعظمة في المجتمع العربي الارستوقراطي ؟ ولسنا اول من يلقي هذا

١) البخاري : الصحيح ٢ : ١٣٥ ؛ مسلم : الصحيح ٣ : ١٩٧ وفيه « ربّ الناس » عن احد السادة العاديين . شراء النصرانية ٤٧٦ ، ويجب ، فيما ارى ، ان نقرأ « ربُّ » بالرفع ، بدل « ربَّ » بالنصب . وقابل بالقول « سيّد » الناس في بيت حسّان عن احد القرشيين . على ان هذا اللقب يُصبح الهيًّا في كلام صخر اخي الخنساء ، الاغاني ١٣ : ١٤٥ ، ان لم يكن هناك تحريف متأخّر العهد .

٢) اطلب فهارس القرآن في مادة « ربّ » . وينقل ابن هشام (السيرة ٣٥١) بيتًا لحسّان بن ثابت (الديوان ١٣٨ : ٢) فيستبدل بكلمة « ربّ » كلمة لا تأثير لها.

٣) القرآن ٣ [آل عمران] ٥٧ ؛ ٩ [التوبة] ١– ؛ ولاسيما بعد كفاح النبي ضدّ يهود المدينة ، راجع بحثنا *Les Juifs à la Mecque à la veille de l'hégire*

٤) ابن دريد : الكتاب المذكور ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ؛ لسان العرب ٣ : ٢١٦

٥) ابن دريد : ك. م. ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٢٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٥ ؛ *Mo'âwia*, 50 ؛ نقائض جرير والفرزدق ، ٥٨٧ ؛ الاغاني ٣ : ٢٠ ، ١٢ : ١٢٦ ؛ الطبري : تاريخه ١ : ١٠٣٨ وفيه : « البيت يومئذٍ من وبيعة في آل ذي الجدّين. » قابل بما في البكري : المعجم ٣٩ ، ٢٠٠ ولاسيما القول : « فلان . . . هو بيت . . . (كذا) » ؛ ابن دريد : ك. م. ١٠٧ ، ١٢٠ ؛ لسان العرب ٣ : ٢١٦

السؤال. ذلك ان مَهَرة النسّابة وحذّاق اللغويين اهتموا قبلنا بحلّ هذا المشكل اذ اعترضتهم صفات مثل هذه عن بعض الأُسر : هم بيت سُلَيم ، او بيت غَطَفان ، او بيت هوازن ، او بيت ضبّة ، او بيت قيس . . .[1] فاخذهم الهمُّ بشرحها وتأويلها . وهو همّ علمي يشكر عليه اولئك الاساتذة القدماء ، لولا ما كان من تسرّعهم في الاجوبة واندفاعهم الى تعديد المترادفات للتعبير المذكور ،[2] دون ان ينتبهوا المطالع لما كان في الاصل ولما زادوه من عنديّاتهم . ولا تخفى هذه الإصلاحات المتأخرة ، ولا هذه المترادفات المُتّحمة ، على ذوي البصيرة من ارباب النقد اذا ما قابلوا بين الاصول القديمة في آثار الشعراء او المؤرّخين الأوّل ، وما ولّده تسرّع الشرّاح والرواة ، وتكثّر مؤلّفي كتب التراجم وجمّاع المعاجم التاريخية.[3] حتى ان البيت اصبح ، في نظر متأخري المؤلّفين[4] ، لا يختلف عن الأسرة او القبيلة التي تؤلّف البيت الاشهر اي المنزل الشرفي[5] . ولذا اخذوا يسرعون فيستبدلون بالبيت مترادفات عديدة « كالرياسة والحكومة » او « العدد والشرف » او « الشرف والرياسة »[6] او « الفرسان والعدد ».[7] بل اننا رأينا في بعض التراجم جملةً يُقصد منها مدح الخليفة العباسي بدغدغة كبريائه ، فيقولون عن أُسرةٍ ما « هي قريش القبيلة الفلانية ».[8] اما شعراء الامويين الذين

١) ابن قتيبة : المعارف ٢٥ ، ٢٨ ؛ ابن دريد : ك . م . ١٥٦ ، ١٧٣

٢) من مثل قولهم في *Chroniken*, II. 142 : « تحوّل البيت بني الشرف والرياسة . . . » ويلاحظ المؤلّف ان الشرح بعد لفظة « بني » من قلم شارح متأخر ، وذلك يخالف معنى الترجمة السابقة الهد . وهذا قوله : « وذلك يخالف المتن المقصود بهذه الترجمة والله اعلم بالصواب . »

٣) من مثل العقد وأسد الغابة وما شاجهما ٤) قابل بما في *Chroniken*, II, 139-142

٥) وقد رأينا بدل « البيت » كلمة « حُجرة » في نقائض جرير والفرزدق ١٣٠ : « والحُجرة يومئذٍ لبني عاصم . » والحال ان « الحُجرة » تعادل « القُبّة » . راجع شيخو : شعراء النصرانية ٦٨٠

٦) البكري : المعجم ٢٩ ، ٣٠ ؛ اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٦٠-٢٦١ ؛ وكان يتجنّب كلمة « البيت » ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٧ ، ٢١ ، ٢٣ . على انه في ٢٨ يذكر « البيت والشرف » وفي ٢٢ : « العدد والبيت » . قابل بما في العقد ٣ : ٤٤ : « بيت فزارة ومركزه بنو بدر » وفي ٥٢ : « فيهم كان بيت رياسة . » : *Chroniken, loc. sit.*

٧) *Chroniken*, II. 142 ٨) ابن قتيبة : المعارف ، ٢٢

ظلّوا على اتصال بالعقلية البدوية القديمة ، فكانت ثقافتهم جاهلية محضة ، فاننا نرى في شعرهم الجمع بين الفكرتين . وهذا جميل يدّعي لقبيلته « بالبيت والمدد »[1] . وهذا الأقيشر يقول :

وبنو دودان حيّ سادة حلّ بيت المجد فيهم والمَدَدْ[2]

وقد يكون هذا الجمع في قول الأقيشر طبيعياً متأثرًا بتطوّر الأفكار ، او مقصودًا لغاية ما ، وهي الأرجح في نظرنا .

ولا تطول المدة حتى يتناسى المؤرّخون وجمّاع التراجم كلمة « البيت » فيستعيضون عنها باحدى المفردات التي عددناها . وهو نصيب الكثير من الكلمات الجاهلية التي حوّلها مؤرّخو العصور التالية عن معناها الاصلي ، وفقًا لنزعاتهم الدينية[3] والسياسية التي عجلت في سير هذا التطوّر اللغوي . وكان القرآن قد بدأ عهد احتقار الاعجاد القديمة : « ظنّ الجاهلية » ، و « حميّة الجاهلية » ، وكل ما ينتج من « حكم الجاهلية »[4] ذاك العهد البائد المتصف بالجهل والهمجية ، الجدير بان يخلّفه النسيان والاهمال . فكان ضرورياً من ثمّ ان تُجتنب هذه الذكريات المشبوهة ، فلا تُذكر « بيوت » الشرك ، ولا ينسب السادة الى جدودهم من كبار الكهّان ،[5] في تلك البيئة الجديدة التي كان ساداتها يتنافسون بالقاب العَقَبي ، والبَدْري ، والأُحدي ، والشجري ،[6] والانصاري ، والتي

---

١) الاغاني ٧ : ٩٩

٢) الاغاني ١٠ : ٨٥ . وراجع ، بشأن بني ذودان ، ابن دريد : ك . م . ١١٠ ؛ اسد الغابة ٢ : ١٣٨

٣) من ذلك ان كلمة « البيت » كانت تُذكّر بالشرك الجاهلي ، او بالكعبة فيها . وفي كلا الأمرين لا توافق النزعات الجديدة .

٤) القرآن ٣ [آل عمران] ١٤٨ ، ٥ [المائدة] ٥٥ ، ٣٣ [الاحزاب] ٢٢ ، ٤٨ [الفتح] ٢٦ ؛ ابن هشام : السيرة ٨٢١

٥) هناك ذكر لكاهن صحابي (ابن دريد ٢٧٩) على ان اسد الغابة يقول : قد يكون اسمه « ابن الكاهن » !

٦) نسبة الى الاشتراك بمعارك العقبة ، وبدر ، وأُحد ، وبصلح شجرة الحديبية . وقد انتهى جمع الامر الى ان عيّنوا ثلاث معارك في العقبة ؛ اسد الغابة ٤ : ١٥٨

كان الانتساب فيها الى ابي بكر وعمر والمُبشَّرة[1] يفوق بما لا يقاس ذاك الانتساب القديم الى اشهر السادة واعظم الارباب في الجاهلية.[2]

هذه العقلية الآخذة بالآراء المعاكسة للجاهلية وما اليها عملت العمل الناجع في نشر التفاسير والشروح الموافقة للحالة الجديدة. فكان من ذلك ان المتطوّر اللغوي لم يسر السير الطبيعي، فانتقل سريعاً معنى «البيت» من الحجر المؤلّه الى الاسرة الارستوقراطية في البادية[3]، واذا لدينا الفصول المستفيضة في اسر العرب القديمة او، كما في لغة ارباب المجاميع، «بيوتات فاخرة متقدّمة»[4] وكانت هذه التعابير، في اصلها، تشير الى ان القبائل المذكورة او الأسر كان من حقّها وحدها المحافظة على «البيت» او خدمة «البيت» اي الحجر الموروث في القبيلة وهو معنى القول: «فيهم كان بيت عُذرة بن سعد»[5]. وقد رأينا، في ما تقدّم تلك الموافقة بين «الرب» و«القبّة» وما كان من صلة بين اللفظتين حتى انه كان لكل «رب» «قبة»[6]. وها اننا نتحقّق صلة مماثلة بين «ربّ» و«بيت». وهكذا فان الأسر التي «فيها» او «اليها» البيت هي الأسر نفسها التي كان منها في الجاهلية، «ارباب» ذوو قباب[7] ومن السذاجة بمكان ان ننسب هذه الصلات المترافقة الى الصدفة.

---

١) هم العشرة من الصحابة الذين «بشّرهم» النبي بالجنّة، اي ضمنها لهم.

٢) لام احدهم خالد القسري على انتسابه الى احد الكهّان فصاح به: «تبّرٍ في بشرٍ»، الطبري: تاريخه ٢: ١٨١٣

٣) اطلب ملاحظة الغامي في *Croniken*, II, 142 بشأن اللبس في استعمال البيت = الحجر المؤلّه، والبيت = الشرف والنبل.

٤) راجع العقد ٣: ٤٤؛ الاغاني ١٦: ٢، ١٧: ١٠٥-١٠٦؛ *Berceau*, I, 326

٥) البكري: المعجم ٣٠

٦) فهو «ذو القبة» كما يقول النابغة (شعراء النصرانية ٦٥١) او «صاحب القبة» الاغاني ٢٠: ١٢٦

٧) راجع الجاحظ: الحيوان ١: ١٦٠. كان «البيت» في بني بدر، فكان حُذيفة، رئيس هذه الأسرة، يدعى «ربّ» معدّ (ابن قتيبة: المعارف ١٦٨، وغيره من الامثلة في ص ٣٨) وقد تتحوّل «القبة» الى خباء يلجأ اليه ويُلاذ به، ابن دريد: الاشتقاق ٢١٥. على ان هذا التحوّل يفرض الصفة الدينية.

ولنتقدّم الى ذكر تعابير تزيد في اظهار الصفة الدينية في هـذه المؤسسة . ان كثيرًا من هؤلاء الاشخاص رؤساء الأسر ، ذوي القباب الحُمر ، الساهرين على « البيت » يتصفون بصفات اكليريكية اذ يحقّ لهم ان يتسمّوا باسم « الكاهن » او « الحازر » او « السادن » او « الحاجب »[1] ، وبعضهم باسم « الحَكَم »[2] . ولا يخفى ان اكثر « الحكّام » في الجاهلية كانوا في الوقت نفسه من « الكهّان »[3] ، وهؤلاء اشهرهم : شِقّ ، وسطيح ، وقُس بن ساعدة جمعوا بين الصفتين[4] . ومن حقّ هؤلاء ان يحكموا في الشؤون الخطيرة فيصدروا القرارات الحاسمة . فتنتقل القبيلة من مكانها ، متحوّلة الى منزل آخر[5] . وهو معنى القول في افخم ما يقال عن احد هؤلاء . الكهّان او الحكّام دلالة على احترام قومه : « كانوا يصدرون عن رأيه » او « كانت مذحج في امره تتقدّم وتتأخر »[6] . ولا يخفى ان هذه الحركات كانت مقرونة بالحفلات الدينية ، ولا يأتيها القوم الا عن رأي العرّافين والزاجرين . ولا يدلي هؤلاء برأيهم الّا بعد ان يسألوا « البيت » الموكولة اليهم سدانته[7] ، ويجيلوا القداح ، ويؤوّلوا مظاهر الزجر[8] . وقد

١) « الحاجب » مرادف « السادن » ؛ راجع ابن دريد : ك . م . ٢٨٣

٢) « الحاكم » ؛ ابن قتيبة : المعارف ٣٧ ؛ وقابل بما في المفضّل : ك . م . ١٨١ : « شيخنا وصاحب ديننا » ؛ الاغاني ١٣ : ١٦ : « سيّد وحاكم »

٣) هم « حكّام اهل الجاهلية » ؛ اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٨٨ ؛ ابن هشام : السيرة ٣٦٠ ؛ البحتري : الحماسة الرقم ٤٤١ يظهر انه يميّز بين « الكاهن » و« الحازي » ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ٣٢٤-٣٢٥

٤) ابن هشام : السيرة ٣٦٠ ؛ الاغاني ١٦ : ٤١ ؛ ابن دريد : ك . م . ٢٨٦ ، ٣٠٢ . « سطيح كاهن العرب » ، اليعقوبي : تاريخه ١ : ٢٨٨

٥) الاغاني ١١ : ٤٤ ؛ *Berceau*, I, 267 . وهي الانتقالات التي تضطرّ اليها القبيلة على اثر الازمات الداخلية او الطبيعية كالجدب والنزو وما اشبه .

٦) ابن دريد : ك . م . ٣٢٩ ؛ ابن الاثير : النهاية ٤ : ٤٠ وفيها ان « العرّاف » يرادف « الكاهن »

٧) ان اصحاب « البيت » والعدد والشرف هم ايضًا من « سدَنَة » « وخزَنَة » الكعبة . اطلب *Chroniken*, II, 138, 139 *etc.*

٨) قابل بقول كاهن أسدي لقومه : « لا تعجلوا . . . حتى أزجر لكم » ؛ الاغاني ٨ : ٦٧ . والكاهن سجّاع ، الجاحظ : الرسائل ، ١٢

لا تختلف اقوالهم ، عندما ينادون القبة - المظلّة المرفوعة على ظهر الجمل ، عن التعابير المدوّنة في سفر العدد : (١٠ : ٣٥) :

« قم ، يا ربّ ، فتبدّد اعداؤك ويهرب مبغضوك من امامك . »

وكذلك القول عن صلاة « الاستسقاء » ، وعن الميزة او الكرامة التي اختص بها بعضهم في استنزال المطر ، زمن الجدب . وهي ميزة يبرّرها عادة كون صاحبها يحفظ « بيت » القبيلة « وقبّتها » ، وللبيت والقبة مركزهما الأسمى في هذه الأدعية الحافلة[1] . وكأن الخلفاء ، بصفتهم ورثة « ارباب » البادية العربية ، ورثوا كذلك هذه الميزة في الاستسقاء ؛ كما تشهد لغة الشعر في القرن الاول للهجرة .[2] وان يكن فات عالماً من امثال نولدكه ، الانتباه لهذه النتيجة ، فلأنه أهمل العامل التاريخي الجاهلي . ونزيد ان هذه الميزة ، او الكرامة ، يختصون بها بصفتهم سادة الناس ، وخلفاء الله ، كما يقول الفرزدق[3] . ولا نزانا مبالغين اذا ظننّا الأصل نفسه لميزة اخرى يوليها العرب سادتهم او ملوكهم ، بل افراد بعض الأسر الشهيرة ، المحافظة على « القبة » ، وهي ان دَمهم يشفي من الكلب[4] . وذلك لان آباءهم اتصفوا بصفة الكهانة . وقد اتسعت هذه الميزة حتى استفاد منها كهنة النصارى ورهبانهم في البادية ، فغدوا اطباء العرب ومعالجيهم .

كل هذه الاسباب تبرّر وتشرح وجود القبة الحمراء في معسكر معاوية وخلفائه الأقربين ، ورثة كرامات السادة في الجاهلية . ولم يتجاوز معاوية انّ

---

١) قابل بما في المزامير ٦٧ : ٦٨ ؛ ١٣١ : ٨ .

٢) انظر ، في ما خصّ مظلة مختار ، ابن دريد : ك . م . ٢٤١

٣) اطلب ابحاثنا في *Chantre*, 70 ؛ *Poète royal*, 17, *n.* 1 وقد تنّوع هذه الميزة فتشمل الامويين جميعهم ، الاخطل : ديوانه (طبعة صالحاني) ٥٦ ؛ الفرزدق : ديوانه (Boucher) ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ؛ *Chronik*, II, 6, 302 وفي الاغاني ذكر لصلاة استسقاء يرئسها اسياد القبائل ، الاغاني ٢١ : ٢٦ ، ١٨ ، ١٧ : ٧٩ . اما نولدكه (*ZDMG*, 1898, 25) فلا يرى فيها الا صورة شعرية لقدرة المخيلة غير المحدودة . راجع في الكندي (طبعة Guest) ص ٨٢ ، كلاماً عن ولاة الامويين والاستسقاء .

٤) الاغاني ١٦ : ٨٦ .

٥) اطلب الامثلة الكثيرة في الجاحظ : الحيوان ٢ : ٣-٤ ؛ ابن دريد : ك . م . ١٣٨

تابع عمل ابي سفيان ، وقد نام في أحد الى جنب القبة المضروبة على إلاهتي قريش . ولسنا لنغفل عن اهتمام الخليفة الكبير بالمظاهرات الخارجية[1] .

وكثيراً ما جمع السيد بين صفتي « الرب » « والكاهن » ، كما فعل زهير ابن جذيمة « رب » بني عبس ، بل اننا نعرف له « ربينة » او تابعة من الجن ،[2] وهي من ميزات العرّافين .[3] وكذلك القول عن سادن « كان له قدر » في بني ضبّة .[4] وفي نجران كانت سدانة الكعبة لآل عبد المدان ، « بيت » قومهم .[5] وهكذا نرى ان فكرة الشرف ، وكرامة « البيت » تظلّ عالقة بصفة المحافظة على معبد ، كما حصل لبني عبد المدان حتى بعد اهتدائهم الى النصرانية . هذا زهير بن جَناب ، جدّ اشهر الأُسر الشريفة في بني كلب[6] ، وسيدهم المطاع وقائدهم الاعلى ، كان في الوقت نفسه كاهنا وحازراً .[7] وهذا مطعم بن عدي ، صاحب المقام الرفيع في شرفاء قريش[8] ، نعرف ، بواسطة حسّان[9] ، انه كان يجمع بين الصفات الاجتماعية والدينية فكان « عظيم المشركين وربّها » . وهذا كليب

---

١) راجع كتابنا *Mo'âwia*

٢) الاغاني ١٠ : ١٢ ، ١٣ ، ١٥

٣) ابن سعد : الطبقات ١ : ١١٠ ، ١٣٦ وهو يذكر كاهنة انثى : السيرة الحلبية ١ : ٢٩ وقد يطلق على هذا الجني الأليف اسم « الرَئِيّ » و « الصاحب » ، الاغاني ٣ : ١٨٨ ، ١٨٩ ؛ ١٣ : ٣٠ ؛ و « الآطي » وهو المكلّف تفسير الاحلام المُنبئة بالشيء ، الاغاني ٩ : ١٨٣ . قابل بما في ابن الاثير : النهاية ١ : ١٠٩ ؛ ٣ : ٥٥ ؛ اسد الغابة ٣ : ١٣٦ ، ٤ : ١٣٣ ؛ السمهودي : الوفاء ١ : ١٣٣ ؛ ابن هشام : السيرة ١٣٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨

٤) ابن دريد ك . م . ١١٩

٥) ابن دريد ك . م . ٢٢٧

٦) ابن دريد ك . م . ٢١٦

٧) راجع *Berceau*, I, 204, 267 . « الحازر » جمع « حَزارة » نوع من العرّافين يقرب من « القائف » ، الاغاني ١٠ : ٢٨

٨) ابن دريد : ك . م . ٥٤٠

٩) ديوانه ٢٨ : ٢ . ولنا في بعض النصوص تصريح باسم الاله الذي يحفظونه او يستدون له هو مثل وَدّ ، وفلس ، ابن دريد ك . م . ٢٣٧ ؛ البكري : المعجم ٢٤ . ويصرّح بصفة « الكاهن » عند ذكر بعض السادة ، البكري ٢٤ . ويذكر ابن هشام : السيرة ٢٧٥ ، ان حُلَيْلاً ، جد قُصيّ ، كان سيد مكة وسادن الكعبة .

اخو المهلهل، كان « رب » وائل . فكانت بكر وتغلب لا تصدران ولا تنتقلان الّا عن رأيه . وهو ما رأيناه في حديث زهير بن جَنـاب والأفوه الأودي.[1] حتى امكننا القول ان هنـاك كثيرًا من السادة شاركوا زهيرًا وكليباً والأفوه بهذه الميزة العالقة بالصفة الدينية . والى هذه الصفة الدينية[2] ترتقي الأمجاد التي افتخر بها احفادهم ، فدوّنها النسّابة بقولهم : « هم اول بيت في قضاعة »[3] ، او « هم بيت قيس » او « بيت بني الديّان.»[4]

ومن هنا نفهم موقف زهير بن جناب من بني غطفان . وكان هؤلاء تحت سيطرة الكلبيين مدة طويلة حتى شاؤوا الاستقـلال فقاموا بثورة عامّة . فاراد زهير ، سيد الكلبيّـين ، ان يعاقبهم ويقتصّ منهم . وكان اول اعماله انه امر بهدم حَرَمِهم وانتهاكه ، والحَرَم المذكور دلالة استقلالهم[5] . ولا يخفى ان الحرم يفرض وجود « البيت » . وهكذا فان الميزة الدينية الأصـل اصبحت مقرونةً بَل متوحّدة بفكرة المجد الوطني والاستقلال السياسي . أوَلا نرى الظاهرة نفسها في الكنائس الشرقية التي كان يتقدم استقلالُها الدينيُّ استقلالَها السياسي وكثيرًا ما كان يعدّه ويعمل في سبيله.[6] وهذا تاريخ البلقان كفيل باقرار هذا القول !

---

١) شيخو : شعراء النصرانية ٧٠، ١٦٦ . الاغاني ٤ : ١٥١ . ويفرض اجتماع السيادة والسدانة ، الجاحظ : الرسائل ٧٥

٢) البكري : ك. م. ٣٤ ؛ ابن دريد : ك. م. ٢٧٩ : كاهن-سيّد

٣) البكري : ك. م. ٣٤ ، ٥٤ ؛ الاغاني ١٩ : ٥٣ . جرير بن عبدالله « رب مروان » ، الاغاني ١٨ : ٢١٤ ، وهل يكون مروان اسم « بيت » او حجر مؤلّه ؟

٤) الاغاني ١٧ : ١٠٥

٥) الاغاني ٢١ : ٤٤ . ولا شك في ان هـذه الحكاية ، الرامية الى اقرار سيادة كلب على القيسيين، متأخرة عن زمن المعارك المتتابعة بين الحزبين على عهد الامويين . وقد يكون فيها الكثير من مبالغات الحزب السوري-الاموي ولاسيّما في الحوادث البطلية المنسوبة الى زهير . راجع بحثنا : *L'avènement des Marwanides et le califat de Marwan I*, *MUSJ*, XII, *fasc.* 2, pp. 21...

٦) كما جرى للشهب اليلداري .

على ذكر جبران

معلومات جديدة عن حياته وآثاره

جبران وبرباره — برباره في قبر جبران وفي متحفه — محاولات الكاتب والفنّان — آراؤه في شؤون مختلفة — مرضه ووفاته

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف

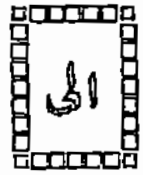

برباره ! الى برباره !

كثيرًا ما قرأ روّاد متحف جبران في بشري هذا التعبير باللغة الانكليزية يوقّع به المصوّر النابغة بعض رسومه الرصاصية والفحمية، فيرفعها هدية « الى برباره ». وكان الاختصاصيون بالشؤون الجبرانية يعرفون ان السيدة بربارة يونغ، من كبار الاديبات الاميركانيّات، عرفت جبران في آخر سنيه، واهتمّت، بعد وفاته، بتركته الادبية والفنية. بيد ان جمهور المعجبين بالشاعر الفنّان، الثُّرّ على جمع اخباره وذكرياته، ما كانوا ليتمثلوا هذه الاميركية الّا شخصيّة غامضة لا تكاد تخرج من ضباب الأبعاد النيويوركية الّا لتلتحق بسرب اولئك السيدات مشجّعات الادب والفنّ، بل الادباء والفنّانين، من اللواتي تتردّد اسماؤهن دون ان تدلّ على حقيقتها تلك الشخصيّات الجذّابة.

في احد ايام تشرين الاول سنة ١٩٢٣، كانت السيدة بربارة يونغ تشهد حفلة نادرة في كنيسة القديس مرقس الانجيلية الاسقفية في نيويورك. وكان القائم بتلك الحفلة السيد داڤين-پورت بطلر، مدير مسرح غريب من نوعه في العالم؛ هو مسرح مجاني يمرض فيه الممثلون والممثلات اشهر الروايات في حفلات منظّمة

شأن سائر المسارح، ولكن تمتاز بكونها مجانيّة . فلا الادارة تنال شيئاً على تنظيمها، ولا الممثلون ينالون أجراً على اعمالهم. اعلنت هذه الجوقة انّها ستقوم بقراءة مقاطع من « نبيّ » جبران في الكنيسة الاسقفية. وتمّت الحفلة على اكمل وجه بحضور المؤلّف نفسه . وكان من جمهور المعجبين بالمقاطع الملقاة السيدة بربارة — او الست بربارة ، كما تعوّد اهل جبران واصدقاؤه ان يسمّوها في ما بعد . وكما سندعوها جرياً على هذه العادة ! — وهي لا تعرف جبران ولا شيئاً عن جبران

انتهت الحفلة وخرج الناس كلّ بذكرياته وتأثراته . وكان اتجاه الست بربارة الى اول مكتبة تتزوّد منها كتاب « النبي » فتحيي ليلها بقراءته معجبةً متأثرة . حتى اذا اقبل الصباح كان للنبيّ مبشّرة جديدة تندفع في نشر تعاليمه وشرح آرائه بما اعطاها الله من بلاغة حارّة ونبرة جذّابة ، وبما اولاها اهتداؤها الجديد من غيرة وحماسة . واذا بالمحاضرات تثار المحاضرات عن جبران ونبيه ، وبالقراءات بعد القراءات للمقاطع المؤثّرة في المجتمعات الخاصّة والعامّة .

ومرّت اشهر خمسة .

في شهر اذار من السنة ١٩٢٤ ، بعد ان قامت الست بربارة بقراءة آيات من « النبي » في « جمعية النساء » في الكنيسة نفسها ، تقدّمت منها احدى الاوانس واخذت تسألها هل تعرف جبران. فهزّت الخطيبة رأسها متأسفة . وشدّ ما كان استغرابها عندما سمعت من الآنسة المذكورة ان جبران في نيويورك . على انها تردّدت في طلب التعرّف اليه خشية ان تمحو شخصيته الحقيقية تلك الشخصية المثلى التي كوّنتها لها إحساسها الفني وخيالها الشاعر . وكان عراك شديد بين الاكتفاء بالمثل الاعلى الخيالي والفضول الانثوي الدافع الى الاطلاع على الجديد مهما يكن . حتى انتصر الفضول ، طبعاً ، ولكنه اقترن بشيء من الإيجاس والحذر ارضت به الست بربارة خيالها المكتفي بما تمثّله عن جبران . وبعد ان عزمت على مخاطبته بالتلفون ، تجنّبت سماع صوت قد يبدّد ما تصوّرت سماعه من نبرات « النبي » ، فكتبت اليه رسالة إعجاب واحترام ، واخذت تعدّ الساعات مقدرة مدة الذهاب ، مؤمنةً بتسلّم جواب عن تلك الرسالة .

ناحية من نواحي متحف جبران وفيه معرض الرسوم الذي نظمته السّت برباره بعد وفاة الفنّان

صورة العائلة بريشة جبران

وكان الجواب اسرع مما قدرت . وكان شفهيًا حمله سلك التلفون يسأل عن السيدة بربارة يونغ ويدعوها الى محترف جبران ، او يدعو جبران نفسه ، اذا صح التعبير ، الى مكتبها . على انها فضّلت ان تذهب هي فتزور الشاعر الكبير في مهبط وحيه في « ٥١ وست الشارع العاشر ». ولم يكد ينتهي حديث المجاملات حتى اصبحت الست بربارة من اخلص اصدقاء جبران ، واصدق معاونيه ، مدة سبع سنوات متوالية ، يفضي اليها بكل ما يخالج قلبه ، ويطلعها على خفايا حياته الكنيسة ولا سيما في آخرها ، فتحنو عليه حنوّ الامّ العطوف ، وتعجب به إعجاب الاخت الفخور ، وتمتثل اقواله امتثال البنت المطيعة . يستشيرها في المشاكل الاجتماعية ، ويتكل عليها في الشؤون الادبية ، ويرتاح الى تعازيها في أزماته الصحية ، ويراها جنب سريره في المرض الاخير ، وفي تلك الساعات القليلة التي قضاها في المستشفى ؛ حتى اذا فارق هذه الفانية ، اخذت تهتمّ بما تركه من مخطوطات فجهزت للطبع ثلاثة مجلّدات كتبت مقدّمة واحدٍ منها . ورتّبت آثاره الفنية فاظهرتها في معرض تذكاري ، في محترفه الخاص ، فتح ابوابه من كانون الثاني الى نيسان ١٩٣٢ (انظر الرسم) . ثم هيأتها مع آثاث المحترف جميعها حتى شُحنت الى مسقط رأسه . وكم كانت يقظة هذه التذكارات مؤلمة في بشري ، في متحف الفقيد ، وقد رأينا الست بربارة تتنقل وكأنها مخطوفة الحواسّ ، من زاوية الى زاوية ، ومن صورة الى صورة ، من قطعة خشبية الى كرسي ، الى ريشة ، الى رأس تمثال مهشّم ، وتقول : « كان يجلس هنا ، وكان يسند كتابه الى هذا ، وكان يكتب بهذا ، وكان يرسم على هذا . . . » حتى اذا وقعت عيناها على دفتر بين مخطوطات جبران ، صاحت : « هذا خطّي . مقاطع من « يسوع بن الانسان » كان يمليها عليّ . »

❧

كان من نصيبنا ان اجتمعنا عدة ساعات في ثلاث جلسات الى هذه السيدة الراقية ، ورافقناها ، مع الامير موريس شهاب ، والاستاذ داود ازرق ، في رحلة خشوعية الى مسقط رأس جبران ، وقد جاءت لتقضي فيه سنةً كاملة تكتب في اثنائها حياة الفقيد . ولكن حوادث الحرب الحاضرة ، التي باغتتها في عرض

الاوقيانوس اضطرّتها الى الرجوع الى نيويورك ، وارغمتها على ان ترقب بصبر ختام المأساة العالمية الجديدة لعلّ الله يُفسح لها بعض الزمن فتتم ما بدأت به.

بيد ان الابحاث الجبرانية تستفيد الكثير من مرور السيدة يونغ في بلادنا، وان مروراً سريعاً : فهناك صور غير معروفة ، ومخطوطات غير منشورة اسعدنا الحظ بان نطّلع عليها .. وهناك معلومات نفيسة عن حياة جبران العامة والخاصة ، وعن آرائه ومعتقداته ومظاهر روحانيته الغريبة نغتبط بالوقوف عليها بواسطة شاهد عيان ، بل طالب متفهّم معجب باستاذه ، شاء ان يسقط الاسانيد ، فنقل الينا بحذافيرها تلك المحادثات المتتابعة بينه وبين المعلّم الراحل . كانت الست بربارة تنقل هـذه الاحاديث من ذكريات الاعوام المتعاقبة ، وكأنّها حصلت بالأمس ، فتحييها بابتسامها او بكآبتها ، بخشوعها او بمرحها ، وتتمثّل المشاهد العديدة في محترف جبران وفي غيره من المجتمعات النيويوركية ، بينما كانت السيّارة تقطع بنا الخاديد طريق اميون ، او تدور في المصاعد اللولبية المتراكبة من كوسبا الى اعالي الجبل المقدس .

ـــ هذا قاديشا الوادي المقدّس العابق بعطور النسّاك والقديسين

ـــ آه ! قاديشا !

وبرقت عينا الستّ بربارة وهزّت حفيدها[1] ذا السنوات الأربع وهمست في اذنه : « كريستوف ، قاديشا » ، مشيرةً الى الوادي الرهيب . فردّد الطفل الكلمة مرّتين مبتسماً ابتسامة معنوية ، وتابع دون أن يحوّل نظره عن الوادي :

ـــ ومار سركيس ؟ اين مار سركيس ؟

ـــ سنصل اليه عمّا قريب .

هذه مغارة القديسة مارينا . . . وهممنا بالاندفاع في اطلاع الستّ بربارة

---

١) اشارت بعض جرائدنا اليومية الى وصول السيدة يونغ وابحاثها عن جبران ذاكرةً انها اتت بابنها لتعلّمه لغة جبران . ولمّا سألناها عن اسم « ابنها » هذا ، تبسّمت واشارت الى الطفل والى وجهها الصافي على رغم بعض التجعدات : « اني ؟ عمره اربع سنوات وعمري احدى وستون سنة . . . هو كريستوف ابن بنتي . » — ولعلّها اول امرأة تذكر عن عمرها رقماً يتجاوز ما يعتقده المتأمل فيها !

على هذه الاسطورة اللبنانية الجميلة . فهزّت رأسها مؤمنة ، وقالت :

اعرف القصة رواها لي جبران .

وكم كان انفعالها مؤثراً عندما اطلّت بشرّي ، وفوقها وسام الأرز الأكدر على صدر ظهر القضيب ، كما يقول جبران . وما هي ان وضحت الخطوط ، وتقاربت الأبعاد ، حتى بان سنديان مار سركيس يصعد الى ابيضاض الكهف حيث شاء الشاعر ان يستريح من متاعب الدنيا ، وتكالب ابناء الدنيا .

هي طريق صعبة المرتقى تلك التي تؤدّي الى القبر ، شأن كل سبيل يتخذها الانسان لادراك شخصية ذاك الناشم المطمئن . انها تفرض الرغبة الشديدة ، والجلد المتابع ، ان لم تفرض الحبّ البارّ .

ـــ وما رأيكِ لو مُهّدت وعُبّدت فتقدّمت عليها السيّارات .

ـــ لا ! لا ! لا سيّارات ولا ضجّة قرب جبران . قالت هذا واللهثات تقطّع كلماتها . يجب ان يتعب من يودّ الوصول الى جبران .

وما قطعنا الباب الخارجي لمدخل الدير حتى تولّانا الصمت الخاشع ، فتولّانا الهيبة والاحترام ، ناظرين الى الآية اللاتينية المعروضة منذ اجيال : *beata ()* « *solitudo, sola beatitudo* ! » . ولم يكن يتخلّل ذاك الجوّ الرهيب الّا صوت الصفير ، وكأنه غُلّف بشيء من القبطة الكثيبة ، يردّد : مار سركيس ! مار سركيس !

وفي القبر - المعبد ، طلبت ان تُترك وحدها . فخرجنا دقائق حفلت بالمناجاة الصامتة تهزأ بالمكان والزمان :

حسبُ الرفيقين نأيُ الأرض بينهما : هذا عليها ، وهذا تحتها بالي !

❦

في المتحف عرفت كلّ صورة ورسم ، وكلّ قطعة ودفتر . هذه وسادته . وهذا شمعدانه ذو السبع الشموع الذي كان يصوّر على نوره . هذا الحاجز الخشبي المحفور صنعه بيده ، وكذلك هذا المتكأ . وكأن حجاب الرموز الغامض انشقّ امام السيّدة ، فلم تبقَ صورة غامضة في المتحف ولا حركة في الاشخاص لا معنى لها . بين صور الفقيد غير المنشورة رسم ملوّن يمثل شخصين

عاريين متجهين كل الى جهة ، وقد ربطت يداهما برباط وثيق . كان الناس يعجبون بهذه الصورة ولا يعرفون ماذا تمثّل ، شأنهم في اكثر الصور الجبرانية . اما ذوو الاختصاص ، وارباب الادّعاء ، فكانوا يشرحونها متفلسفين بانها صورة الزواج الذي يربط بين الزوجين وان تخالفت نزعاتهما حتى المعاكسة . واما الست برباره فقالت مبتسمة : انها رمز الحزن والفرح المرتبطين ابدًا ، على تعاكسهما ، في حياة الانسان . واذا بالصورة تتخذ امامنا حياةً جديدة . واذا بنا نرى احد الشخصين وقد انتشرت على قسمات وجهه الغبطة الهادئة ، بينما تخدّد جبين الآخر بخطوط الكآبة الاليمة .

هي ساعة عذبة في متحف جبران ، وددنا لو طالت الى ما وراء الساعات والايام والشهور ، فتتمكن هذه السيدة ، وتمكننا ، من فهم رموز الشاعر ، وتصوّرات الفنان . ولا شك ان جبران كان يعبّر عن فكره بالرسم والكتابة على السواء ، كما يظهر من مخطوطاته ومسوّدات رسومه ، وبعضها في متحف بشري ، والبعض الآخر في حقيبة الست برباره وقد اذنت لنا بدرس ما فيها ، فرأينا ان نطلع مريدي جبران ودارسيه على ما لا يتسنى لهم الاطلاع عليه بعد سفر الكاتبة الاميركية .

تحتوي الحقيبة على كثير من الصور الاصلية ، وعلى عدد من النسخ لاصول محفوظة في متحف الميتروبوليتن في نيويورك ، وهو من اعظم متاحف العالم ، او في متحف لندن ، او في مجموعات خاصة . وقد لاحظنا في بعضها ، ولا سيما في المحاولات ، ان الكتابة كثيرًا ما اقترنت بالخطوط ، فاظهرتا ، مجموعتين ، فكرة جبران . وهو اسلوبه في اكثر كتبه . من ذلك صورة جبل شاهق بارز عمّا حوله من العناصر الطبيعية ، مكتنف بكثير من الاضطراب ، وقد كتب على الصورة بالعربية : « اذا ماتت الأرض تحوّلت ماء ، واذا مات الماء تحوّل هواء ، واذا مات الهواء تحوّل نارًا . » وهناك محاولة لرسم المسيح — قد تكون ادّت الى الصورة المنشورة في هذا المقال — وعليها بالعربية : « مملكتي حيث يجتمع اثنان او ثلاثة منكم باسمي بالحب والفرح . »

الرسم والكتابة مقترنتان في نظره لا فرق بينهما في اداء الفكر . وكذلك لا فرق بين ان يؤدّيه بالعربية او بالانكليزية ، وان كانت الانكليزية اسهل سيلًا ، وارفع تعبيرًا ، واضبط دقائق ، واعمق بلاغةً وتأثيرًا ، في رأيه ، وبالنسبة اليه . يشهد بذلك كتاب « النبي » الذي كتبه اربع مرّات بالعربية فلم يرض عنه حتى مزّقه وكتبه دفعةً واحدة بالانكليزية . كما تشهد مخطوطاته وفي صفحاتها العربية كثير من التنقيح والاصلاح ، والتحشية ، وابدال المفردات ، مع بعض الاغلاط والاخطاء . اما الصفحات الانكليزية فصافية سليمة من آثار التنقيح ، على الغالب ، الّا ما يعرض من وضع كلمة موضع اخرى او تقديم تعبير على آخر . وسنعرض مقاطع من مخطوطاته العربية تبرز اسلوبه في الكتابة والتنقيح . اما انه كان يستعين باللغتين معاً في إعداد انجاته فواضح من الاوراق الانكليزية وكل ما رأيناه منها مقاطع من « يسوع ابن الانسان » كتب في رأس صفحة منها بالعربية : « وصف مريم — تصفها احدى جاراتها . » ثم تابع بالانكليزية . وهذه صفحة كاملة بالانكليزية ، على اعلاها بالعربية . « فقال تلميذ : ترى هل انا اكثر من قطرة ندى . . . الخ . الخ . . . »

وممن محفوظات الست برباره الرسمية صورة عبّاس عبد البهاء ، زعيم البهائيين . زار نيويورك سنة ١٩١٢ واجتمع به جبران في الساعة السابعة مساء فتأثر بهيئته الساجية حتى اذا جنه الظلام لم يقوَ على النوم . وظلّ مضطرباً يتململ متأملًا بوجه عبد البهاء الى منتصف الليل ، فقام واخذ يعمل ، مستندًا الى ذاكرته وحدها ، حتى اخرج صورة تلك الهيبة على اتم ما يمكن ، وقدّمها صباح اليوم الثاني الى صاحبها فاعجب كل الإعجاب . وبهذه المناسبة ذكرت الست برباره ان جبران كثيرًا ما كان يصوّر دون أمثلة (modèles) مستندًا الى خياله الخصب ، والى تمارينه العديدة المتتابعة فانه كان من كبار المشتغلين تمريناً ورياضةً في الانشاء والتصوير . ومن محتويات الحقيبة الاميركية صورة امرأة نائمة ، او مائتة ، [illegible] وهي من اوليات صور جبران ، رسمها في بيروت ولم تستقل شخصيته بـ [illegible] عهد شبابه صورة جميلة جدًا تمثل المريمات الثلاث : مريم ام يسوع ، ومريم

المجدلية ، ومريم اخت لعازر ؛ وهي غاية في التأثير الأليم اشتراها احد سكان نيويورك ، وحفظت الست برباره نسخة عنها . وكذلك تحفظ نسخة من « شجرة الحياة » (الاصل في بشري) ، ومن « التجند المتتابع » (الاصل في متحف متروبوليتن في نيويورك) ، ومن رسم « المسيح » الذي زيّن مدخل « يسوع ابن الانسان » ، ومن « العائلة » (الاصل في بشري). وقد نشرنا هاتين الصورتين في مقالنا هـذا . ومن الصعب وصف الصور الباقية في محفظة الست برباره لان الحديث لا يغني عن العيان ، ولعلّ اجملها « رؤوس العميان » ، وصورة شيخ شاعر في نيويورك تجلّت فيها الهيبة الوادعة ، فانسابت الطمأنينة والسلام من خطوطها . وقد شاهد هـذه الصورة الشاعر الاميركي المشهور ادوين ماركهام (Edwin Markham) ، في المعرض الذي اقامته الست برباره بعد وفاة الفنّان ، فكتب عليها بخطّه الكبير الواضح : « هذه الصورة بروحانيتها اجمل الصور التي وقع عليها نظري ، ٩ نيسان ١٩٣٢ . »

وهناك اوراق عديدة متناثرة فيها دروس وتمارين ومحاولات تصويرية يكثر فيها رسم الايدي والأرجل ، والرؤوس ، والاجسام المتداخلة بعضها في بعض ، والعضلات خاصة . ويلاحظ المطالع ان في الفنّان ميلًا الى تمثيل اليد المقفّعة بتقاطيعها الدقيقة . وهناك صورة يد كبيرة اصابعها شديدة الانقباض وفيها الخواتم الضخمة ، وكأنه اراد ان يمثّل بها الشحّ والحرص . وهـذه الاوراق ترقى الى سنين متتابعة . منها ما يتصل بجبران الفتى ؛ ومنها ورقة تحمل ، مطبوعاً ، عنوان فندق في باريس ؛ ومنها ما يرقى الى آخر حياته .

اما المخطوطات التي شاءت السيدة يونغ ان تطلعنا عليها فهي في اربعة دفاتر . خطُّها واضح جليّ في الغالب ، على قسطٍ من الجمال ؛ انما يكثر فيه الحذف ، والتحشية ، والتنقيح ، سواء أكتب بالحبر ام بالقلم الرصاصي . ومما يلاحظ الدارس ان الكاتب يُسرع في تدوين اول ما يخطر على باله من التعابير حتى انه ينسى بعض الحروف ، ولاسيما الألف ، وسط الكلمة ، فيكتب « وحد » بدل « واحد » ، ويكتب « سطان » بدل « سلطان » و « المزكشة » بدل « المزركشة » .

صورة المسيح بريشة حمدان

وقد لا ينتبه ، في سرعته ، لقواعد العروض ، ولا لاصول الإملاء والنحو احياناً . فيكتب الهمزة الواقعة بعد الألف مفتوحةً ابداً دون كرسيّ مهما تكن حركتها : « شاءوا » . ويقول : « ترى ان العقل سطاناً » وقصده « ان العقل سلطان » . وكثيراً ما نصب اسم ليس في « المواكب » في ردود الفتى :

ليس في الغابات عدلاً
ليس في الغابات عزماً
ليس في الغابات علماً
ليس في الغابات موتاً
ليس في الغابات سكرًا

ولكن اصلح ذلك مرة في « ليس في الغابات عزما » فضرب على الألف من « عزماً » . اما الغلطة النحوية في قوله « يدعى السيد الخطر او الوقر » فكأنه اراد تداركها لأنه وضع علامة استفهام فوق « الوقر » .

ويجب القول ان من هذه الدفاتر ما يرقى الى عهد تلمذة جبران . ومهما يكن من أمر فلا يجوز ان يؤاخذ الكاتب بما في مسوداته الاولى من خطأ او سهو . على اننا رأينا وصف هذه الدفاتر الاربعة بشيء من التفصيل لعلّ في بعضها فائدةً لطلّاب المباحث الجبرانية :

١ً دفتر صغير دون جلد . لا شك انه كان من دفاتره المدرسية ، عليه صور تحاريز : « الى رئيس عام » و « الى صديق » والى « بطريرك » وما شاكل من تلك « الصور » و « التراجم » التي كان يتناقلها الطلاب في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . أوَليس عجيباً ان تكون اكثر « الصور الانشائية » التي تمرّن عليها جبران من الرسائل الاكليريكية ؟؟؟

٢ً دفتر ثانٍ اكبر من الاول . دون جلد . يحمل على ورقته الاولى : « من دفاتر جبران خليل جبران ت ١ ١٩٠٠ » وتحتها ، على ثلاث مرات ، هذان البيتان :

الا يا مستعير الكتب دعني فان اعارتي للكتب عارُ
وجدت كتابي في الدنيا حبيبي حبيبي لا يُباع ولا يعارُ

والدفتر مجموعة شعرية منتخبة من اقوال ابراهيم بن سهل ، وابن ممتوق ، والشيخ سليم حنا الظاهر . وكلها من الشعر السهل المائع .

وفيه تمارين انشائية من نثر وشعر . اكثرها غير كامل ، حافلة بكثير من الاستعارات والتشابيه . منها هذا المقطع .

« اخذت اليراع وطيرت رائد الافكار فسقطت على جذوع الالفاظ والتقطت اثمارها ورجعت الى اعشاش الطروس وولدت افراخها . تطايرت طيور الافكار في سماء المعاني وسقطت على غصون البراعة وغرّدت الحاظا . ارتفعت اجنحت (كذا) الافكار بحرارة شمس الذكاء الى فضاء المعاني ففاجئتها (كذا) ارياح الارادة الباردة واسقطتها (كذا) على الاقلام شوبوبًا فسال على الطروس مدادًا »

« انا الآن في البيت الذي سكناه من سبعوات (كذا) اعوام جالس على مقعد بقرب طاولة عليها نور يبعث على الورقة التي اخط عليها كلامًا ربما لا تنظره عين ولا تسمعه اذن ويشق كبد الظلمة باسهم نارية ارتجف بردًا لان الشتاء قد اقبل بمز الريح عطفيه ويسحب النسيم اذياله . »

وكلها من انشاء تلميذ على نصيب وافر من الخيال ، والميل الى الكتابة . انما لم تُصقل مواهبه بعد ، ولم يثبت ذوقه الفني .

يلي ذلك محاولات شعرية غير موفقة .

وفي آخر الدفتر هذه الصفحة الجميلة تخطّ تطوّر قليلًا فارتقى ارتقاء الاسلوب الانشائي :

« اشباح تجيء واشباح تروح . خيالات تطوف في فضاء وسيع وأرواح تسير على مراسح المادة وفي مسارح المكونات . افكار تتراوح بين هذه الدنيا وتلك وشعائر تتماثل بين الحب والبغض . نفوس تطلب الانعتاق من اثر المادة ومادة ترزم السيادة على النفوس . قلوب ترى جمالا فتعبده وقلوب لا ترى الجمال ولا تعرفه . وفي هذه الاشباح وهذه الخيالات وهذه الارواح وهذه الافكار وهذه الشعائر وهذه النفوس وهذه المادة وهذه القلوب محبة كانت منذ الازل . ومن وراء كل هذه الاشياء قوة هي الله والله في كل شيء . . »

٣ دفتر عادي قليل الورق ، مجلّد . مكتوب على صفحته الاولى من جهة اليسار : « من دفاتر جبران خليل جبران »

فيه كتابات انكليزية قليلة . ثم محاولات شعرية بالعربية منها :

يا خليلي لو كنت تعلم ما بي ... ما جعلت الحديث (١ عهد التصابي
ذاك حلم دفنته بفؤادي ... وجعلت الاكفان برد الشباب
ما سلوت الحبيب لكن جفاني (٢ ... فاقتنعت (٣ بوحشتي واكتئابي
وبعدت عن الانام وحيداً (٤ ... (وحجبت) (٥ عن العيون مصابي
واتخذت الطروس صحباً فاني ... قد وجدت الطروس خير الصحاب
وجعلت المدام خير دوائي ... واتخذت الندم وجه الكتاب
وافت من الخيال صروحاً ... عاليات (٦ يخرقن صدر (٧ السحاب
وخلقت (٨ من الخيال بلاداً (٩

وبعد هذه المقطوعة بيتان اعدهما ليكتبا تحت رسمه ، على ما يظهر ، وهما بعنوانهما : « تحت رسمي

« هذا خيال فتى يموى الحياة ولا ... يموى الحياة وفي الحالين يكتئب »
«فان بدى (١٠ جامداً والصمت يملكه ... فاتلوا عليه صلاة الحب يضطربُ »

وعلى صفحة اخرى ، دون عنوان :

يا نفس اياك الملال ... ممن تجاهل او جهل
سيري على أمل فلا ... يدني الوصال (١١ سوى الامل

يا نفس قد ابعدتني ... عن لذة (١٢ العيش الهني

---

١) ما جعلت الحديث : كتب فوقها : « ما رجعت لذكر »
٢) لكن جفاني : كتب فوقها : « حتى سلاني »
٣) فاقتنعت : كتب فوقها : « فاكتفيت »
٤) وحيداً : كتب فوقها : « خجولا »
٥) الهلالان في الاصل
٦) كتب فوق هذا الصدر المتقدم : واقت الخيال صرحاً رفيعاً يسامي الى »
٧) يخرقن صدر : كتب تحتها : « يلثمن وجه »
٨) وخلقت : كتب فوقها : « وبرأت »
٩) انتهى . ولا عجز لهذا الشطر
١٠) بدى : كذا في الاصل
١١) الوصال : احاط هذه اللفظة بدائرة وكتب تحتها : « الاماني » ولا يخفى ان هذا الاصلاح يضعضع الوزن
١٢) لذة : وضع فوقها : « سكرة »

فرضيت فيك قسمة (١ وعن الرضا (٢ لن اتني

وبعد هذا المقطع صوّر بالحبر الأسود الصيني شبه جعل بشع ، بارز القرنين ، وتحته تابع القصيدة :

يا قس لو كان النوى يثني النفوس عن الهوى
لتشوش الشرع الذي نثر الكواكب في الفضا
يا قس لو كان البعاد

ثم شطب هذا الشطر

وفي الدفتر نفسه ، مقال طويل في عشر صفحات كثير الشطب والتحشية حتى لا يكاد يخلو فيه سطر من مظاهر التنقيح . واكبر الظن انه مسودّة لمقال نُشر في « الهلال » جواباً عن سؤال كانت تلك المجلة قد طرحته بشأن النهضة الشرقية وامكان التضامن بين الاقطار العربية . ومما امكننا استخلاصه ، من بين الاصلاحات والتعاليق والحواشي الكثيرة مطلع المقال وهو :

« في عتيدتي ان ما نحسبه نهضة في الاقطار العربية ليس باكثر من صدى ضئيل لما ندعوه وغن في غيبوبة بالمدنية الغربية . ذلك لان هذه النهضة المباركة (٣ لم تولّد شيئاً من عندياتها ولم يبن منها ما كان موسوماً بطابعها الخاصّ او ملوّناً بصبغتها الذاتية . والاسفنجة التي تمتصّ الماء من خارجها وتنتفخ (٤ قليلاً لا تتحول الى ينبوع ماء حيّ . اما ذاك الذي يرى في الاسفنجة المنتفخة نبعة حيّة فهو احوج الى طبيب رمدي وعناقيره منه الى صاحب هذا المقال ونظرياته » .

ثم يقول ان الشرق مقلّد للمدنية الغربية . ويزيد في جملة تدلّ على ان المقال كُتب في اثناء الحرب العمومية :

« ليس بحثنا هذا في ما اذا كانت المدنية الغربية صالحة بحدّ ذاتها او غير صالحة . فالمدنية الغربية قد وقفت في تموز سنة ١٩١٤ امام منصة القضاء السرمدي ولم تزل واقفة هناك . ولو انتدبني القضاء السرمدي لاصدار حكمه على المدنية الغربية لفعلت الساعة وكنت بما اقوله على وفاق تام مع المفكرين الغربيين انفسهم . »

ثم يحمل على الذين يدّعون الوطنية ، ويتظاهرون بالاستقلال عن الغرب في

(١ كذا في الاصل
(٢ كذا في الاصل
(٣ كتب فوقها : « مختلفة »
(٤ كتب فوقها : « وتنتفش »

بعض مظاهر الحياة ، وهم في جوهر حياتهم يقلّدون لكل ما يخرجه الغرب . يأخذون بالتقليد ويدّعون الابتكار . قال في آخر تلك الجملة :

« ولكن لو قال لي هذا السياسي والوطني الحر الذي يلعب دورين بليدَين في وقت واحد لو قال لي ولو بشيء من الفراهة السطحية : « الغرب سابق ونحن لاحقون وعلينا ان نسير وراء السائر ونتدرج مع « الدارج » .

« اذا لقلت له « حسناً تقولون . الحقوا السابق ولكن الحقوه صامتين . سيروا وراء السائر ولكن لا تدّعوا بانكم غير سائرين وتدرجوا مع « الدارج » ولكن كونوا مخلصين للدارج ولا تخفوا حاجتكم اليه وراء غربال المزعجلات السياسية . وماذا يا ترى يفهم التضامن في الامور العرضية وانتم غير متضامنين في الامور الجوهرية . ماذا تجدي الالفة في المزاعم وانتم متباينون في كل عمل من اعمالكم . . .

« هذا ما اقوله لمن يريد ان يسمع ولو بشيء من الفراهة . اما الطرشان ، اولئك الذين لا يسمعون حتى همس نفوسهم فلهم الحصة الكبرى من عطفي وشفقتي . اما نصيبهم من صوتي فمثل نصيبي من آذانهم . . . »

وفي آخر المقال صفحة وافرة التنقيح يستخلص منها ما يلي :

« وفي عقيدتي انه لو اتيح لنا الوقوف(١ على قمة من قمم التجرّد مستعرضين المدنيات الثانية . وما احدثته من النهضات والوثبات لرأينا ان نهضات (الشعوب) الامم ليست بما اوجدته لحفظها الخاصة بل بما تركته ارثاً(٢ للامم التي تأتي بعدها . وعلمنا ان زبدة المهد الذي كان فجره في بابل وساءه (كذا) في نيويورك هي في الحقائق الكلية الشاملة التي اكتشفتها نبوغ الامم واثبتها . وفي الجمال المطلق الذي بان له في الحياة فالبسه قالباً خالداً واوقفه برجاً ذهبياً (٣ امام وجه الشمس . فان كنا متدينين قلنا . . . (٤ وان كان بنا ميل للآداب والفنون . وما الآداب والفنون من الدين الّا بمثابة الشرح من المتن رأينا رموز تلك النهضات العلوية ظاهرة بجلاء في الثور المجنّح الكلداني وفي ابي الاهوال والهرم الاكبر ، في مزامير داود وسفر ايوب ، في الحكايات الهندية والفواجع اليونانية ، في ابيات علي ونظريات الغزالي وفتحات القارض وغضبات (؟) المعري . وفي رؤيا (٥ دانت وتماثيل ميكل انجلو ورسوم دافنشي وروايات شكسبير وانتام يتوقن . »

---

١) كتب فوقها : « لفرد مثا ان يقف »

٢) كتب تحتها : « لا يزول »

٣) كتب اولا : « قوالب خالدة » « وابراجاً ذهبية » ثم اصلحها

٤) كذا في الاصل

٥) تحت رؤيا كتب : « قصيدة »

ومما يجدر بالذكر ، في هذا الدفتر ، صفحتان وافرتا التنقيح ، شأنَ سائر الكتابات العربية ، تدوران حول « العقل والروح » في بحث لا يظهر تامًا ، يستخلص منهما :

« ان العقول قشور الارواح فمن (١ يعيش بعقله دون روحه لا ولن يعرف من الحياة سوى سطحياتها . ومن يحسب الروح ظلًا شيئًا ومآتي الروح سرابًا (٢ كان وجوده بعض الوجود (٣ وكان وجدانه غلافًا للوجدان . ويقولون لي ان المدنية الغربية قد قامت على دعائم العقل والعقل شيء عملي اجرائي ايجابي (٤ وهذا ما جعل الغرب غنيًا قويًا غالبًا

ويقولون لي فانظر الى آثار العقول ومظاهرها من قطارات مسرعة وبواخر ماخرة وطيارات محلقة وآلات دائرة تقوم الواحدة منها مقام الف رجل وتنجز بساعة ما لا تنجزه الايدي البشرية بسبعة اعوام

ويقولون لي الا ترى انهم بعقولهم قد سادوا وسادوا وقسموا الارض كما شاءوا (كذا) وحكموا سكان الارض كما ارادوا

يقولون لي مثل هذه الاقوال باسطين البراهين المزركشة على سلطة العقل وميزته ثم يختمون حديثهم بسؤالهم « وماذا يا ترى انتجت (كذا) ذاك الذي تدعوه روحًا؟ فان كنت تحسب الغرب عقلي الطوية والشرق روحي المذهب فانظر اذن الى هذا وتمثل ثم التفت الى ذاك واندب . »

يطلبون اليَّ ان انظر الى عقل الغرب العامل لارتمش (٥ حسدًا ثم الى روح الشرق لاندب . ذلك لانهم يتوهمون ان الغرب بدون روح وان الشرق بدون عقل . ومن هذا الوهم يسخرون (؟) ويستنتجون الاسباب مما يدعونه تفهقرًا في الشرق (٦ وتقدمًا في الغرب (٧

اما نحن ، نحن الموحدون ، نحن السكارى بخمرة وحدة الحياة وفرديتها ، نحن لا نجزئ الارض الى شرق وغرب او الى قبلة وشمال . ولا نفصل (٨ بين عنصر من الناس وعنصر آخر .

---

١) كتب اولًا : « الذي » ثم اصلحها فوقها « بمن »
٢) في الجملة الاصلية : « نفحة في الفضاء » ثم اصلحها « بالسراب »
٣) في التعبير الاصلي : « نصف وجود »
٤) كتب اولًا : « عملي » ثم وضع فوقها : « اجرائي » واردفها بلفظة « ايجابي »
٥) كتب تحتها اولًا : « لاغتبط »
٦) كتب فوقها : « الشرقيين »
٧) زاد فوقها : « بين »
٨) كتب اولًا : « ولا نقسم البشرية » ثم اصلحها

نحن نرى الطبيعة مظهرًا واحدًا من مظاهر الله الاوحد . نحن نرى الارض كتلة واحدة والبشرية عنصرًا واحدًا واعمال البشر عملًا واحدًا

نحن لا نفصل بين شيء وشيء ، حتى ولا بين العقل وهو الشعور والروح وهو اللباب . ولكننا نميز بين هذا وذاك فنقول العقل سطحي وقتي وهو لازم (١ . اما الروح فباطني ابدي وهو الزم .

غير اننا في كليتنا نتساهل بعض الاحايين مع المجزئين (٢ ونقول نعم هناك قسم في هذه الفكرة يعرف اصطلاحًا بالشرق وهناك قسم آخر يدعى تمييزًا بالغرب . »

وفي آخر هذا الدفتر ، او في اوله من جهة اليمين ، مسودة رسالة قد تكون موجهة الى ميّ كما يُستدلّ من النص . والمعروف ان جبران كان يكتب مسوداتٍ لرسائله . قال :

« ها قد رجعت من لبنان فانا بالطبع اهنئك بذهابك الى لبنان ولا ادري ما اذا كان عليّ ان اهنئك برجوعك سالمة الى مصر

لبنان . لبنان . لبنان . قولي لي ماذا وجدت في لبنان ؟ لو بعثت اليك بالرسائل التي تجيئني من ابسط اللبنانيين ومن اكثرهم (تركيبًا) (٣ لما فكرت قط – لو كنت انتِ انا – (هلّا خطرت لي هذا الافتراض) – بالذهاب الى لبنان او الى اية قرنة من قراني الشرق . »

٤ دفتر كبير اكثره ابيض . يبدأ من اليسار بمقاطع كثيرة من « آلهة الارض » باللغة الانكليزية . يليها محاولات تصويرية منها صورة امرأة تحضن طفلًا وترضعه . وقد رسمت بالرصاص على شكل دوائر متتابعة متداخلة بعضها في بعض فأتت على كثير من الغموض والوضوح معًا . ثم رسم حية برأس امرأة جميلة . ومحاولات كتابة اسم « بربارة » بالعربية نظن ان الست بربارة هي التي قامت بها وقد علّمها جبران ان تكتب اسمها بلغته . ولكنها نسيت ، في احدى هذه المحاولات ، الراء الثانية فاتى الاسم هكذا : « برباة »

---

١) زاد فوقها : لفظة : « ولكنه » ولا رابط لها

٢) كتب فوقها : « الجزئيين »

٣) كذا في الاصل

واول الدفتر من ناحية اليمين حافل بكثير من عناوين الاشخاص بالانكليزية . ثم هذا المقطع :

« اريد ان اموت قبل من احب كيلا اجن اذا مات قبلي
واريد من يحبني ان يموت قبلي كيلا يحزن لموتي قبله . »

وتحته ، وهي مسودّة قطعة معروفة بعنوان « الارض » :

« تنبثق الارض من الارض رغماً (١
« ثم تسير الارض فوق الارض تيهاً وكبراً
« وتنثى (٢ الارض من (٣ الارض القصور والبروج والمياكل
وترسم الارض على الارض الاساطير والتعاليم والشرائع
ثم تقلّ الارض اهمال الارض فتحوك (٤ من هالات الارض الاحلام والاشباح
ثم يراود نعاس الارض اجفان الارض فتنام نوماً هادئاً عميقاً ابدياً
ثم تنادي الارض قائلة للارض : انا البدء وانا النهاية (٥ وكل ما بي فيّ وسابقي ظافرة (٦ رحماً وقبراً حتى تضمحل الكواكب وتتحوّل الشمس الى رماد . »

وفي صفحة ثانية مسودّة قطعة كاملة ننشرها في ما يلي :

« تسير اليوم مستندة على ساعده – وبالأمس كانت على ساعدي
وتجلس بجانبه في ظلال الغصون وبالامس كانت بجانبي
وتشرب الراح من كأسه وبالامس كانت ترشفها من كأسي
وترمقه بعين ملؤها الحب وبالامس كانت ترمقني

قلت لصديقي : الا فانظرها متكئة على ساعده وبالامس كانت على ساعدي . فقال : وغداً على ساعدي .

قلت : تأملها جالسة الى جانبه وبالامس كانت الى جانبي . فقال . وغداً الى جانبي .

قلت تبصرها تشرب الراح من كأسه وبالامس كانت ترشفها من كأسي فقال وغداً من كأسي .

---

١) كتب فوقها : « كرهاً وقسراً »
٢) فوقها : « وتتيم »
٣) فوقها : « على »
٤) كتب تحتها : « فتبدع »
٥) كتب فوقها : « انا الرحم وانا القبر »
٦) كتب فوقها : « قوية هائلة »

قلت انظرها ترمقه بعين ملؤها الحب وبالامس كانت ترمقني . فقال وغدًا ترمقني
قلت اسمعها تمس اغاني الغرام في اذنه فقال وغدًا في اذني
قلت انظر فهي تعانقه وقد كانت بالامس تعانقني . فقال وغدًا تعانقني
قلت انظر فهي تقبل ثغره وقد كانت بالامس تقبل ثغري . قال وغدًا ثغري
قلت ما اغربها امرأة
قال : هي كالحياة يملكها (؟) كل الناس (١ وكالموت تتغلب على كل البشر وكالارض (٢ تضم كل البشر . »

ثم هذه القطعة التامّة الدالة على ميل جبران الى التوحيد، او الوحدة الرامية الى الحلولية ، التي تكلم عنها في قطعة سابقة (راجع ص٢٥٣) :

تجزئة سطح الارض شغل الباسة
وتجزئة النفس شغل الفلاسفة
وتجزئة القلب شغل الشعراء
وتجزئة السماء شغل الكهّان

ولقد وجدتني غريباً بطبعي واحلامي عن هؤلاء المشتغلين بالتجزئة والتقسيم منصرفًا الى الوحدة النفسية والعقلية والدنيوية والسماوية . »

يلي ذلك شذرات وحكم :

« العلم طريق من سار عليها لا يستطيع الوقوف بوعين متتابعين في مكان واحد .
لم تحكم امة امةً اخرى الّا والفت الفتن بين عشائرها .
لو لم يكن في الارض غير شجرة واحدة لعبدها الناس .
ليس امرّ من فقر يأتي بعد الغنى . »

« نصرف ام اجسادنا بعقولنا فلو (صرفنا) (٢ عقولنا عن اجسادنا لما شعرنا بالالم (العقل) (٣ يتموج مثل كل قوة غير محدودة . قد تستشرف سبيلًا الى ارسال موجات (عقلية) (٣ الى مكان بعيد . »

ولعل اهم ما في هذا الدفتر مسوّدات « المواكب » ، او اكثر المواكب . فان في درسها فوائد جمة تطلعنا على تطوّر فكر جبران ، واضطراب القوالب في التعبير عنه ، حتى استقرارها نهائياً على الشكل المطبوع ، وليس بالشكل

١) كتب فوقها : « البشر »
٢) الفلان في الاصل .
٣) الفلان في الاصل .

الأمثل . وهذه ابيات نشير الى طرق اصلاحها في المسودّة ، وقد وضع الكلمات المصلحة فوق الاصلية . ثم نقابل بينها وبين النصّ المنشور بالطبع :

نبدأ بالمقطع المعروف « بالعلم » . جاء في الدفتر :

والعلم في الناس سبل بان اولها — اما اواخرها فالدهر والقدرُ

الرام
واكثر العلم مثل الجهل ايسره — يرضي ولكن في ادمانه الخطرُ

وافضل حلم
وانبل العلم وحي لو ابحت به — وسرت ما بين ابناء الكرى سخروا

فان رأيت اخا الاحلام منفردًا — عن قومه وهو منبوذ ومحتقر

النبي الند
فهو الكليم وبرد الغاب يجبيه — عن امة برداء الامس تأتزرُ

لام الناس او عذروا
وهو المجاهد غاب وهو الابي جاء الناس ام هجروا حضروا

وهو الغريب عن الدنيا وساكنها — وهو البعيد وان ابدى ملاينة

الشديد
وهو البعيد وان ابدى ملاينة — وهو البعيد

اما في « المواكب » المطبوعة فقد جاء هذا المقطع :

والعلم في الناس سبل بان اولها — اما اواخرها فالدهر والقدرُ
وافضل العلم حلم ان ظفرت به — وسرت ما بين ابناء الكرى سخروا
فان رأيت اخا الاحلام منفردًا — عن قومه وهو منبوذٌ ومحتقر
فهو النبي وبرد الغاب يجبيه — عن امة برداء الامس تأتزرُ
وهو الغريب عن الدنيا وساكنها — وهو المجاهر لام الناس او عذروا
وهو الشديد وان ابدى ملاينة — وهو البعيد تدانى الناس ام هجروا

اما البيت الثاني في المخطوطة : « واكثر العلم . . . » فلم يظهر في هذا المقطع من « المواكب » انما نقله المؤلف الى مقطع الحبّ كما سيلي .

وهذا مقطع « العدل » :

ويستضحك الاموات
والعدل في الارض يبكي الجن لو سمعوا — به ويضحك اهل النار لو نظروا

فالسجن والموت للجانين
فالموت للسجرمين ان صغروا — والمجد والفخر والاثراء ان كبروا

منبوذ (؟) ومستهن الخطر /
فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى السيد الوقر
وقاتل الجسم مقتول (بفعلته) وقاتل الروح لا تدري به البشر

وهذا هو في « المواكب » المطبوعة :

والعدل في الارض يبكي الجنّ لو سمعوا به ويستضحك الاموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين ان صغروا والمجد والفخر والاثراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل الخطرُ (١
وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لا تدري به البشر

وهذا مقطع « الحب » :

والحب في الناس اشكال واكثرها كالعشب في القيظ لا زهر ولا ثمر
والحب ان قادت الاجسام موكبه الى الرغائب والاغراض ينتحرُ
كانه ملك في الاسر معتقل يأبى الحياة واعداؤه له ظفروا
والطير لا يبني عشّاً وهو في قفص كلّا ولا

اما في « المواكب » المطبوعة فجاء على هذا الشكل :

والحبّ في الناس اشكال واكثرها كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمر
واكثر الحب مثل الراح ابره يرضي واكثره للمدمن الخطرُ (٢
والحب ان قادت الاجسام موكبه الى فراش من الاغراض ينتحر
كأنه ملك في الاسر معتقل يأبى الحياة واعوانًا له غدروا

اما اجوبة « الفتى » المعروفة في « المواكب » فكأنه كان يؤلفها معاً . فهي، في الدفتر، كلّها متتابعة، بعد ان تتابعت مقاطع « الشيخ » قبلها .

وفي الدفتر المذكور مسوّدة قصيدة لا عنوان لها ننشرها كما هي مع التعاليق التي وضعها الشاعر على بعض الالفاظ بقصد ابدالها :

في هدوء الليل يأتي مبطئًا وهو مثل الليل هولًا قد بدا
يأتي منفردًا كان الارض لم ترى الاّه عظيماً تحتضن الاّه فردًا سيدا
ويدوس الشرب مرفوعًا كما تلمس (الاطلال) اطراف السحاب

١) وفي بعض الطبعات الظاهرة، بعد وفاة جبران، أُصلح هذا الخطأ النحوي فجاء : « وسارق الحقل لهو الباسل الخطرُ . »
٢) هو البيت المنقول من مقطع الحلم .

فكان الجسم في اثوابه من شعاع ورياح وضباب

قلت يا طيفاً يبق الليل في سيره هل انت جنّ ام بشر
قال (كلمة غير مقروءة) وفي الفاظه رنة الهزء انا كل القدر

معترضاً
قلت لا يا طيف قدمات القدر يوم ضمتني ذراع القابله
قال مبتسماً انا الحب الذي لا ينال العيش الا ناتله

قلت لا فالحب زهر لا يبشر بعد ان تذبل ازهار الربيع

ضجة البحر
قال مكتئباً وفي سحنته لهجة القبر انا الموت المريع

قلت لا فالموت صبح ان اتى ايقظ النائم من غفلته
قال منتخراً انا المجد فمن لم ينلني مات في علته

وينتهي القسم العربي من الدفتر بعملية حسابيّة على الثقل النوعي غايتها معرفة كمية الفضة والذهب في خاتم مركب من المعدنين .

هذا افضل ما في الدفاتر المذكورة من معلومات ادبية وفنيّة افادتنا الكثير عن تطوّر فكرة الشاعر المصوّر . وهناك افضل منها معلومات حيّة شخصيّة كانت تفيضها علينا الستّ بربارة دون انقطاع ، وفي حديثها نبرة الاعجاب والاحترام . فرأينا ان ننقلها ، مصادر ووثائق للدروس الجبرانية ؛ ونعرضها على طريقة موضوعية ، تاركين استخراج الأحكام لمن يُعنى بدرس جبران درساً شاملاً في المستقبل :

عاش جبران ، في نيويورك ، مدة ٢٢ سنة وحيداً دون خادم . سكن اولاً محترفاً ضيقاً يواقق دخله . حتى اذا مرّ عليه سنتان او ثلاث انتقل ، في البناية نفسها ، الى المحترف الواسع الذي ظلّ فيه حتى آخر حياته ، في ٥١ وست الشارع العاشر . وكان يكتسب من تصويره . وقد عرف امره فاقبل عليه الكثيرون ، حتى اصبح معدّل دخله من الصورة الواحدة ٢٥ دولاراً . ومن الذين صوّرهم فشهر بهم موريس مترلنك ، وهنري دي روشمون ، في باريس ،

وعبّاس عبد البهاء في نيويورك .

وظلّ يصوّر بالزيت حتى السنة ١٩١٥ . فارتفعت اسعار موادّ التصوير بما يفوق مقدوره . فترك الزيت الى الفحم والرصاص ، وبقي عليهما حتى وفاته .

اما الكتابة فكان يلهو بها اول الأمر ، ولا يأمل منها ربحاً ، حتى نشر « المجنون » بالانكليزية ، سنة ١٩١٨ . فكان فاتحة الشهرة ومدخل الثروة . ولم يلبث جبران المصوّر ان تضاءل امام جبران الشاعر المفكر في نظر الاميركيين ، الّا ذوي الاختصاص بالفن التصويري فظلّوا يقدرون الفنّان المصوّر على احترامهم المؤلف النابغة .

واخذت الست بربارة تفيض في احترام الاميركيين لآثاره الكتابية ، من المجنون ، الى يسوع ابن الانسان ، الى آلهة الارض ، مما يعرفه الجمهور ، متوقفة ، خاصّة لدى « النبي » الذي كاد يحتكر اعجابها اذ كان سبب اتصالها بالمؤلف . فاطلعتنا على معلومات بشأنه تشير الى اخلاص جبران لفنه اخلاصاً نادرًا ، كما تدلّ على احترامه لأمّه وتقديره مواهبها . فرأينا في نقلها كل الفائدة :

كانت امّ جبران من النساء الذكيّات العاقلات . من اولئك اللبنانيات ذوات الشخصية القويّة ، اللواتي يؤثّرن في اولادهنّ اثرًا عميقاً يجاوز اثر الآباء ، ويرافق الابناء في جميع مظاهر حياتهم . كانت عارفةً باللغة الانكليزية ، وقد نالت ، في اثناء اقامتها باميركة ، كثيرًا من تلك الثقافة الاختبارية التي ينضجها التوازن العقلي على مهل . فغدت تفهم ابنها حقّ الفهم ، وتُعجب به ، لا اعجاب الام « بغزالها » ، بل اعجابها بفتى نابغ يخرج عن مستوى الجمهور من البشر . تعرف انه مدعوّ لتمثيل دور في ادب بلاده وفنّها ، ولكنها تشعر ، على رغم محبة الامّ ، انه لم ينضج بعد للقيام بهذا التمثيل . وكان جبران يعرف منها هذا الحبّ العطوف ، ويشعر بهذا البصر البعيد ، فيعرض عليها آثاره الاولى ، ويتقيّد باحكامها وآرائها ، كما ظلّ يختلج احتراماً لذكراها ويردّد اقوالها طول عمره ، بعد ان ودعته الوداع الاخير سنة ١٩٠٣ ، وبعيدها قبل وفاته للست

برباره . حتى جمعت الكاتبة الاميركية من اقوال الامّ الواحلة واحاديثها كتيباً صغيراً استشره بالطبع مع ترجمة جبران .

الف جبران « النبي » اولاً باللغة العربية . فعرضه على امه فخوراً . وبعد ان سمعته الامّ منتبهة ، لم يمنعها اعجابها القول : « انه كتاب عظيم ولكنه سابق لأوانه . فكرته رائعة عميقة ، ولكن تعبيرك عن هذه الفكرة لا يزال بحاجة الى الاختمار ، يا جبران . فارى ان لا تنشره اليوم . » فتركه جبران خمس سنوات ، توفيت في خلالها والدته . وعاد الى « النبي » يكتبه من جديد بالعربية ايضاً . ولكن لم يكد ينتهي منه حتى تمثل حكم امه ، ولم يرَ انه بلغ النضج الكافي . فمزّق الكتاب دون ان يقرأه كاملاً . ثم كتبه بالعربية للمرة الثالثة وتركه يختمر . ومرّت عشر سنوات . ولما عاد اليه يقرأه من جديد لم يرضَ عنه فمزّقه . وكتبه رأساً بالانكليزية ، وقد تجاوز الخامسة والثلاثين ، فاتّسع افق تفكيره ، واستقرّ ذوقه الادبي . فكان ذاك « النبي » الذي تجاوز الاعجاب به جمهور الادباء الى اكابر رجال الدين والدنيا فرُتّلت منه المقاطع في الهياكل الانجيلية ، وقام بتنغيم اناشيده حاخامو اليهود في كُنُسهم ، وقال عنه الرئيس ولسون : « انه اعظم كتاب بعد الانجيل . » وكان من نصيبه ان نقل الى اكثر من عشر لغات منها العربية . على ان جبران لم يكن راضياً عن هذه الترجمة العربية ، ولم يكن يخفي عدم رضاه هذا . ولكنه كان قد مزّق الاصل العربي الذي وضعه هو لهذا الكتاب ، ولم يجد مجالاً لوضعه من جديد بلغة بني قومه .

وعلى ذكر كتاب « النبي » وما تضمّنه من آراء دينية ، وموقف رجال الدين منه ، انتقلنا الى الكلام عن « يسوع ابن الانسان » وعن آراء جبران في الدين ورجاله . فاخذت الست برباره في حديث شائق كانت تقطعه نبرات اعجابها بالشاطئ اللبناني ، والسيارة تنهب بنا سهول جبيل والبترون ، وتلتفّ في مضايق راس الشقمة :

كان جبران مسيحياً كل المسيحي في الكثير من معتقداته وتصرّفاته ، ولاسيّما في بغضه للرياء والمرائين ، اولئك الذين حاربهم المسيح طول حياته ، اذ

كانوا يتمثلون له بأشخاص الفريسيين ؛ والذين اراد جبران ان يحاربهم كذلك ، وقد تمثلوا له برجال الاكليروس . على انه كان يستثني قليلًا من افراد الاكليروس عرفهم بصدق تقواهم واخلاص نيّاتهم ، فكان يستقبلهم ويعطف على مشاريعهم الخيرية . وقد عرفت الست برباره من هؤلاء المستثنَين الاب الدويهي ، نزيل بوسطن . وكان جبران كلما زار اخته مريانا في بوسطن ، يجتمع بالاب الدويهي فيحييان الليل في الاحاديث . وكثيرًا ما كان يهبط الاب الدويهي نيويورك ، فيزور جبران في محترفه ويتحادثان الى ساعة متأخرة من الليل كذلك . وللراهبات في احترام جبران مركز خاصّ . كان لا يفوه بكلمة في انتقادهنّ ، ولا يجيز لأحد ان يتعرّض لهنّ بحضرته . وكنّ يعرفن منه هذا العطف ، فلا يتأخرن عن طرق باب محترفه ، كلما كنّ بحاجة الى اسعاف . ولم يحدث له ان ردّ احداهنّ خائبة . وكان له لذّة خاصة في عمل الخير على شكل تخفيف مصاعب الحياة عن المتعبين . تشهد بذلك اخته مريانا التي طالما كلفها ان توزّع الاحسان من قبله على فقراء اللبنانيين في بوسطن ، كما كان يتولّى الواجب نفسه بواسطة الراهبات في نيويورك . وتشهد بذلك وصيته ، وقد ترك فيها القسم الأكبر من منتجات كتبه في سبيل فقراء مسقط رأسه بشرّي .

وكما كان جبران يكره الرياء في الدين كان يكرهه في المجتمع اشد الكره ، ولاسيما في السياسة . ولهذا تجنّب الدخول في جميع «الجمعيات» و« الأندية» و « المحافل» وما اليها من المجتمعات التي كان ينشئها المتاجرون بالمذاهب السياسية من اللبنانيين والسوريين ، وهم كثيرون في جميع انحاء المهاجر . روت لنا الست برباره حادثة تدلّ على كره جبران للسياسة ، كما تدلّ على قوته البدنية ولاسيما في يديه . قالت :

جاءه في احدى الليالي سوري ذو اسم في بني قومه . واخذ يداوره في الحديث حتى اطال واضجر ، قاصدًا ادخاله في مشروع سياسي «رسخ» — والكلمة للست برباره — فما كان من جبران ، وقد تأثر حتى تشنّجت اعصابه ، الّا ان صرفه بلياقة ، ثم رجع مضطرباً نحو مكتبه ، وعليه جدول التلفون ، وهو في

نيويورك ، مجلّد ضخم . فتناوله ، وبلمحة بصر ، مزّقه بين يديه من الدفة الى الدفة ، متمنياً لو امكنه ان يستبدل بـه رقبة ذاك السياسي الوسخ . وبقي الجدول قطعتين في محفوظاته مدة طويلة شاهداً على قوّته ، وعلى ما نواه لرقبة ذاك السياسي ....

اما الكنائس فلا تذكر الست بزباره ان جبران دخلها قبل وفاته . بيد انه ذهب مرّتين الى الكنيسة الانجيلية الاسقفية مكلّفاً من قبل قسّيسها القسّ الإرشاد الاسبوعي . ولا يستغرب السامع موقف جبران يلقي المواعظ في الهيكل . فان صاحب « النبي » ، في آخر ايامه ، كاد يلتحق ببطله فيتوحّدان في نظر الكثيرين من معجبي الاميركان . وهو ، في نيويورك المادية ، يمثّل برجاً من ابراج الروح . وكثيراً ما اتجه نحوه مريدو الروحانيات بل زعماؤها يأخذون رأيه ، ويهتدون بهديه ، كما جرى لكريشنا مورتي .

— ومن هو كريشنا مورتي ؟

— كريشنا مورتي شاب روحاني ثقّفته سيدة اميركية اسمها آني بيسنت . واعتكف على التأملات النفسية ، حتى نضجت فكرته واختمر اسلوبه ، فقام يخطب في المجتمعات ويدعو الناس الى التقوى والصلاح والفضيلة . وما هي مدة حتى سار ذكره في انحاء اميركة . فكثر تبّاعه ، والّف جمعية لتبشير المتردد بالدين المسيحي . وكان لا بدّ من ان يختلف بعض مريديه في شخصيته الغريبة . فمنهم من قال انه رسول بعثه المسيح الى هذا العالم ليخفّف من شروره وويلاته ، ومنهم من زعم انه المسيح بالذات . وتجاوز بعضهم الى الرغبة في التعبّد له . فاضطرب كريشنا من موقف تبّاعه ، وطفق يشرح لهم انه رجل عاديّ ألهبته محبة المسيح فاراد خدمته . فلم يُفلح . اخيراً كاد يملكه اليأس . فلجأ الى جبران يستشيره ، وعرض عليه مخطوطة كتاب في الروحانيات .

قرأ جبران الكتاب ، مع الست بزباره ، في ليلة واحدة . وعندما عاد كريشنا ارجع اليه مخطوطته مع الثناء الحقّ . ونصح له ان يتابع خطته ، ولا يهتم بما يقول الناس عنه حسناً كان او سيئاً .

امّا كريشنا فحاول من جديد افهام اتباعه غايته الحقيقية. ولما لم يُفلح للمرة الثانية ، حلّ الجمعية ، وسافر وحده الى الهند .

— وجبران كيف كانت وفاته ؟ وهل مات كاثوليكياً ؟

كان جبران يشعر بتعب في قلبه ، ومعدته ، وامعائه خاصة ، مع انحطاط شامل في سائر جسمه . وليس من سرطان ولا ايّ مرض آخر بشهادة تقارير الاطباء في المستشفى . انما الشغل المتواصل انهك قواه ، واضرّ به عدم الانتظام في حياته . ذلك انه كان يُهمل الجسد اهمالاً تاماً ، ويقول : لا قيمة الّا للروح ، ولا يستحق هذا الغلاف المادي شيئاً من الاهتمام . فلم يرَ طبيباً ولم يشأ ان يتناول دواء . حتى اشتدّت به الادواء ، فوقع مغشيّاً عليه في احدى الليالي بينما كان يشتغل في مخترفه ، وليس عنده احد . على ان الجيران عرفوا بالأمر فأسرعوا وانعشوه بما حضرهم . ولما لم يعرفوا عنوان الست بربارة ، تلفنوا الى سيدة تعرفها . وما هي دقائق حتى جاءت الست بربارة وبعض اصدقاء الشاعر . وكان قد عاد اليه رشده . فحاولوا اقناعه بالذهاب الى المستشفى فأبى . ولم يفلحوا الّا صباح اليوم الثاني . فنقلوه الى مستشفى كاثوليكي اقام فيه ساعات معدودة .

ورأت الست بربارة ان من واجبها اطلاع كبار اللبنانيين على ان جبران في المستشفى فتلفنت الى الاستاذ سلوم مكرزل وكلفته القيام بما يراه موافقاً . ولم يلبث السيد مكرزل ان جاء المستشفى يصحبه كاهن ماروني . وكان جبران قد دخل في غيبوبة الموت ، ولكنه كان لا يزال في وعيه الداخلي ، كما قال الاطباء . فاقبل الكاهن يخاطبه بالعربية ، ويسأله اسئلة لم تتفق منها محدّثتنا الّا لهجتها الاستفهامية وكلمة : يا جبران . ولمّا لم يفز الكاهن بجواب ، هزّ المحتضر بعنف اثار احتجاج الست بربارة ، فلم تتمالك الخروج عن لطفها المعتاد .

وبعد قليل جاء الطبيب واعلن الوفاة .

وهنا افاضت الست بربارة ، تقطعها نبرات الأسف واللوعة ، في وصف الجنازة الفخمة في بوسطن ، حيث كانت الجماهير تزدحم خارج الكنيسة على مسافات بعيدة ، حتى انها اوقفت سير المركبات مدة عشرين دقيقة . وكان

المزدحمون ، عند مرور النعش ، يخرون راكعين . وعندما عرض الجثمان ، مرّ جميع الحاضرين من امامه يتأسفون مودّعين الراحل بعبارات مؤثرة لم تفهم منها تلك الرفيقة الامينة ، الّا كلمة : « حبيبي جبران » !

ــ وماري هسكل ؟ تلك التي كثيراً ما يُلفظ اسمها في الكلام عن جبران ؟

ــ ماري هسكل سيدة فاضلة ، احسنت الى جبران في نشأته فمكّنته من متابعة ثقافته الفنيّة والادبية . وليس من صحة لما يُقال من انها كانت ترغب في الزواج منه . بل ان جبران نفسه هو الذي عرض عليها هذه الفكرة . ذلك ان الفقيد ، عندما اصاب نصيبه من الغنى ، اراد ان يكافئ المحسنة اليه ، وشاء ان يترك لها ثروته . فعرض عليها الزواج في هذه الغاية ، ليس غير . على انها رفضت العرض بلطف ، وقد سُرّت بفكرة الاعتراف بالجميل . فسُرّ جبران بالرفض كذلك ، لأن اقتراحه لم تملِه العاطفة الحبيّة . وبعد ذلك تزوّجت السيدة هسكل وعاشت مدة مع زوجها . وقد توفي منذ اربع سنوات . اما هي فلا تزال متمتعة بالصحة في سِلفانيا من مقاطعة جيورجية ، كما لا تزال محافظة على ذكرى تلك الصداقة المتينة التي كانت تربطها بجبران . واني اعرف الكثيرات من صديقات جبران يحفظن ذكراه باحترام قد لا يعرفه الكثير من اصدقائه .

وارادت الست برباره ان تلبي داعي الفضول قبل ان تجسر بالسؤال فتابعت : وافيدكم ان جبران كان في جميع علاقاته روحانياً سامياً يترفع عن الشهوات البشرية . كان حبه من ذاك الحبّ الصوفي الشديد الهيام المغذّى بالفنّ والجمال المتفلّتين من القيود الارضية . هو روحاني في نظراته ، في احاديثه ، في علاقاته جميعها . يذيب نفسه في هذه الزفرات نحو العلاء ، كما يذيب جسده في الشغل المتواصل والمعيشة الزاهدة المتقشفة . لا اعرف له علاقة غرامية واحدة . ولم يطلعني قط ــ وقد اطلعني على الكثير من شؤونه ! ــ على انه احبّ حبّ شهوة في حياته ! انما اطلعني على حادثة تأثّر منها مدة طويلة ارويها لكم

دون تعليق :

دعي مرّة وهو في ابهة مجده الادبي بعد ظهور « النبي » الى حفلة شاي في دار احد كبار اللبنانيين. وكان هناك كثير من مشاهير الاميركيين والاميركيات. لان جبران كان ذا علاقات حسنة مع كبار القوم في المهجر ، من أسرة الرئيس روزفلت الى مثيلاتها من سراة المجتمع. وكان بين المدعوين سيدة اميركية واسعة الثقافة اعجبت جبران بحديثها المشبع بدقة الاطلاع ، وبذوقها الفني الصحيح . فانصرف اليها على طريقة لفت انظار المدعوين . وعندما ودّعها شدَّ على يدها علامةَ الاعجاب. امّا هي فلم يوافق حسنُ ظنها حسنَ نيّته . وبعد يومين تلقّى منها دعوة الى حفلة شاي . فسُر وتهيأ للموعد المذكور . وشدّ ما كانت دهشته المؤلمة عندما وصل الى البيت فلم يجد من المدعوين سواه . وكان اول ما تمتمت شفتاه في اضطرابه :

ــ ألم يصل احد من المدعوين بعد ؟

ــ لا مدعوين غيرك . فنحن وحدنا .

عند ذاك ، تلمّس قوى نفسه جميعها ، وقام معتذرًا ، مودّعاً ، متلعثماً ، مضطرباً . وكان آخر عهده بتلك السيدة التي لم يشأ ان يذكر اسمها حتى لي .

وبعد وفاة الفقيد ، اتاني ميخائيل نعيمه ــ واضطربت الست بربارة ممتعضة ــ فطلب مني ان اطلعه على حياة جبران السرّية . فابتسمت ، على رغم انفعالي الداخلي ، وقلت :

ــ لم يكن لجبران حياتان . عاش جبران ومات في وضح النهار . فانظر واحكم .

ولمّا اعاد الكرة واخذ يداورني كي اطلعه على شيء مما يريد ان ينسبه الى جبران ، قلت له :

ــ انا رفيقته ومعاونته مدة سبع سنوات لا اعرف له الّا حياة الشغل الدائم ، والجهاد المضني ، والمعيشة الروحانية . فان لم تعجبك هذه الحياة ، فاطلب غيري .

فذهب ولا اعرف ماذا نشر في كتابه . غير ان اللبنانيين والسوريين المهاجرين ، اظهروا سخطهم على هذا الكتاب عندما اطلعوا عليه في نيويورك

كانت برباره يونغ امينةً على ذكرى جبران ، مخلصة ، له في حياته ومماته . رافقته في عمله ، ورافقته في مرضه ، ورافقته في جنازته المحمولة الى بوسطن ، كما رافقته في ترتيب تركته الفنية وطبع مخلّفاته الادبية . فلا اقل من ان ترافقها ذكرى زيارتها قبر جبران ، في عرض الاوقيانوس الفسيح حيث تجابه الطوارئ والمفاجآت في هذه الأيام العصيبة ، راجعةً بعد حجها القصير ، الى مهبط وحي جبران !

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE LA SOCIÉTÉ DES NATIONS.

منشورات جمعية الأمم

كثيراً ما اشرنا الى منشورات جمعية الأمم المفيدة في مختلف مناحي العلوم الاجتماعية والاقتصادية . ففصّلنا محتويات البعض منها في اجزائنا السابقة . وها اننا الآن نجمع معاً كل ما وصل الينا مؤخراً ، فنصفه مشيرين الى اهم ما يفيدنا من فوائده :

Projet de Nomenclature douanière. Vol. I, in-8°, 135 pp. Prix : 6 frs. suisses. Vol. II, in-8°, 318 pp. Prix : 12,50 fr. s.

مشروع في الاوضاع الجمركية

هذه طبعة جديدة مبنيّة على ملاحظات الحكومات للمجلّدين الخاصّين بالاوضاع الجمركية . وكان قد اشتغل في تأليفها عدد من الاختصاصيين بناء على طلب اللجنة الاقتصادية في جمعية الأمم ، وذلك في سبيل تنفيذ قرار المؤتمر الاقتصادي الدولي المنعقد سنة ١٩٢٧ ، وغايته توحيد الاوضاع الجمركية بين الدول. اما هؤلاء الاختصاصيون فعددهم ثمانية مثلوا اسوج ، والمانية ، وايطالية ، وبلجيكة ، وتشيكوسلوفاكية ، وسويسرة ، وفرنسة ، والمجر ، اشتغلوا مدة عشر سنوات ، فجمعوا موادّ كثيرة ومعلومات دقيقة ، استخرجوا منها هذا المشروع المفصّل التام الذي يمكن الحكومات ان تستفيد منه في تعديل تعرفاتها الجمركية . وكانت الغاية التي رمى اليها مؤتمر سنة ١٩٢٧ ان تجعل التعرفات الجمركية في الدول قابلةً للموازنة بعضها ببعض ، بفضل اوضاع جديدة من السهل على الحكومات استعمالها . وكان واند لجنة الاختصاصيين في وضع هذا المشروع الجديد :

١ ــ ان الاوضاع الجمركية يجب ان تنظر الى التقاسيم العامّة التي وضعها

العلم والصناعة في المنتجات الطبيعية من جماد ونبات وحيوان ، وكذلك في المنتجات الصناعية .

٢ً ــ عليها ان ترتب المنتجات على اسلوب يذهب من البسيط الى المركب، اي ابتداء من الموادّ الأوّلية حتى المصنوعات التامّة الرفيعة .

٣ً ــ عليها ان تجتهد في جمع منتجات الصناعة الواحدة جميعها في الابواب نفسها وفي الفصول نفسها اذا امكن .

٤ً ــ على لائحة الاوضاع الجديدة ان تتصف بالمرونة فتكون قابلة التقليل والتكثير ، لتوافق مظاهر الاقتصاد الداخلي في كل بلد من البلدان.

وفقاً لهذه المبادئ قام الاختصاصيون بوضع الاوضاع الجديدة مقسومةً عشرين باباً ، وتسعين فصلاً. وفي كل من هذه الفصول رُتبت المنتجات في مراكز اولى ، وثانية ، وثالثة ، ورابعة . فيكون ان البضائع والمنتجات الموجودة في المراكز الأولى ، تحافظ مبدئياً على مركزها ، فلا تنقلها الدول التي توافق على هذا المشروع وتعمل به . اما المراكز الثانية ، والثالثة ، والرابعة فيمكن التصرّف بها وفقاً لحاجات الدول الخاصة .

وقد خُصّ المجلد الأول بنصّ المشروع نفسه . اما الثاني فشمل شروحاً تكميليّة سهّل على كثير من الدول اعادة النظر في تعرفاتها الجمركية ، فاتخاذ هذا المشروع مبدأً لها .

Contrôle national de la fabrication et du commerce des armes. In-8°, 245 pp. Prix : 7 fr. s.

المراقبة الوطنية لصنع الاسلحة وتجارتها

في شهر ايار ١٩٣٧ ، قدم مكتب مؤتمر نزع السلاح طلباً الى سكرتارية جمعية الأمم يرغب فيه ان تجمع وتبلّغ المكتب المذكور كل المعلومات الممكنة عن حالة مراقبة صنع الأسلحة وتجارتها في مختلف الدول . فكان هذا الكتاب . وقد احتوى على نبذة خاصة بالدول الاربع عشرة الآتية : المانية ، انكلترة ، بلجيكة ، الدانمارك ، الولايات المتحدة ، فرنسة ، ايطالية ، نروج ، هولاندة ، بولونية ، اسوج ، سويسرة ، تشيكوسلوفاكية ، اتحاد الجمهوريات

السوفياتية . وفي كل نبذة ملخص لحالة صنع الاسلحة وتجارتها في الدولة المذكورة ، مع مقتطفات من الشرائع المختصة بهذا الشأن . وقد قُسمت هذه المعلومات على بابين تناول الأول الأسلحة والذخائر : صناعتها وتجارتها الداخلية والخارجية . واختصّ الثاني بالمتفجرات .

وهو يشير الى طريقة اعطاء المأذونيات ، في كل من تلك الدول ، بصنع الأسلحة وتجارتها الداخلية والخارجية ، كما يدلّ على طريقة مراقبتها وتفتيشها ، ودور الحكومة في كل ذلك . ويظهر من المبحث الخاصّ بالمتفجرات ان لها شرائع خاصة في كل الدول ، وان هذه الشرائع سابقة ، على الغالب ، شرائع الأسلحة العامّة ، كما انها تفوقها بالصرامة والتدقيق في المراقبة .

E. J. Bigwood, **Directives pour les Enquêtes sur la nutrition des populations.** In-8°, 293 pp. Prix : 6 fr. s.

توجيهات للابحاث في قضية تغذّي السكّان

كتاب نشرته اللجنة الصحيّة في جمعية الامم ، ألفه الاستاذ بيگوود من الجامعة الحرة في بروكسيل ، وقد حاول فيه وضع مناهج بحث ذات تطبيقات عامة حول نقطتي الاستهلاك الغذائي الحقيقي ، وحالة الاغتذاء في جماعات مختلفة . وبالتالي قسم الكتاب الى جزئين :

١ً ــ أبحاث غذائية : مثالاتها اربعة ، فيما اذا طبقت على بلد بجملته ، او على جماعات محدودة ، او على عائلات ، او على افراد . يشرح المؤلف اولاً عملية هذه الابحاث وكيفية اجرائها بالأوزان والدفاتر العائلية والاسئلة الخ . . ثم يأخذ هذه النتائج ويحللها نظرًا الى طبيعة الاغتذاء ، والى احصاءات الاستهلاك العائلي ، احصاءات لا بدّ منها لمقابلة نتائج الأبحاث عن اشخاص يفترق مزاجهم عمرًا وجنساً . وقد خصّ الكلام في الفصلين الأخيرين بانواع التغذية من وجهتها الاقتصادية وبقيمة هذه الاحصاءات القائمة على تلك الابحاث .

٢ً ــ أبحاث عن حالة اغتذاء الجماعات : في هذا الجزء الثاني يلجأ الى مناهج البحث ، لا عن سبيل الاحصاءات المختلفة كما في الجزء الاول ، بل عن سبيل النظر في تركيب جسم الانسان والمواد المغذية له وحاجته اليها ؛ فيستند

في درسه هذا الى علم الحياة والطب والمزاج . لكنه يفسح مجالاً هاماً للاساليب المزاجية ، لاسيما التي تطلعنا على نقص المواد المغذية وعلى نقص الحديد في الجسم .

وينتهي الكتاب بإيراد امثال لابحاث مختلفة جرت في بلدان عديدة ، ويحتوي على فهرس تفسيري ومراجع .

Monnais et Banques 1938-1939. Vol. I. In-8°, 181 pp. Prix 5 fr. s. Vol. II. In-8°, 205 pp. Prix : 6 fr. s.

العملة والمصارف

في هذا الكتاب ذي المجلدين تجمع دائرة الدروس الاقتصادية في جمعية الأمم المعلومات المهمة بشأن العملة والمصارف في بلاد العالم جميعها . تخص المجلد الاول بلمحة في « الحالة النقدية » ، عارضة لمختلف الحوادث في هذا الموضوع حتى اذار ١٩٣٩ ؛ اما المجلد الثاني الخاص « بالمصارف التجارية والمركزية » فانه يتناول المعلومات والاحصائيات المتخذة قاعدة لدرس الحالة النقدية في ٤٤ دولة .

وقد زاد المؤلفون ، هذه السنة ، على المجلد الأول بحثين مهمين :

١ً ــ البحث الاول يجمع ، لأول مرة ، الاحصائيات المتعلقة بودائع وممتلكات جميع الادارات القائمة بالاعمال المصرفية في ٢٢ دولة . واكثر هذه الاحصائيات ما يرقى الى السنة ١٩١٣، وكلها مدروسة في بحث خاص اشار الى التقدم المتواصل في مصارف الاقتصاد ومؤسسات الاعتمادات العامة ، هذا التقدم الذي اجحف بعض الشيء بالمصارف التجارية وغيرها من المصارف الخاصة . واشار البحث كذلك الى ازدياد النسبة التي تتناولها السلطات العامة من الاقتصاد الوطني .

٢ً ــ وثاني البحثين الجديدين المهمين يتناول سلسلة من الاحصائيات ترقى الى ما قبل الحرب العالمية وتؤلف قاعدة لدرس تام في تطاول استعمال الحوالات المالية ، وما كان من اسباب هذا الحدث وتأثيره في السياسة النقدية والمصرفية .

وفي المجلد الاول فصول تتناول تطور الحوادث مدة السنة ١٩٣٨ ، وفي

الشهرين الاولين من السنة ١٩٣٩ ، فيما خصّ القيمَ الاجنبية ، والذهب ، والنقد ، والاعتمادات والماليات العامّة . يلحق بها خمسة عشر جدولًا تلخّص ، على اساس متوحّد ، اهم الاحصائيات النقدية والمصرفية في العالم ، مدة العشر السنوات الاخيرة .

واهم ما في الفصل الاول : ثبات الفرنك الفرنسوي المتواصل . واستعادة القيَم المتعلّقة بالليرة الاسترلينية بعد الاضطراب المتتابع . وازدياد المراقبة على اعمال الصرف في البلدان الزراعية . ومحصول الذهب وتوزيعه في العالم .

اما الفرنك الفرنسوي فقد اصبح ، بفضل السياسة المالية المتخذة في ايار ١٩٣٨ ، وبفضل المنهاج الاقتصادي المباشر في تشرين الثاني ١٩٣٨ ، من اثبت النقود العالمية تعضده المقادير الموفورة من الذهب التي تزيدها السلطات النقدية في فرنسة يوماً فيوماً .

واما اضطراب القيَم المتعلّقة بالليرة الاسترلينية وما مُنيت به من الضعف سنة ١٩٣٨ ، فاهم اسبابه خروج ما يسمونه « الرساميل التائهة » من انكلترة الى الولايات المتحدة ، ونقص الاحتياط الاسترليني في البلدان الزراعية الداخلة في منطقة العملة المذكورة بسبب انحطاط الأسعار ، وما قامت به ارلندة ، وليتونية ، وتزوج ، وأسوج من تحويل اموالها المحفوظة في لندن الى الذهب . ويرى المؤلفون ان اكثر « الرساميل التائهة » الاجنبية قد تركت لندن . على ان الاجراءات التي اتخذت في اوائل هذه السنة ، ولاسيما تحويل ٣٥٠ مليوناً من الليرات الاسترلينية الذهبية الى حساب الصرف ، تشير الاشارة الواضحة الى عزم السلطات على الاحتفاظ بمستوى الليرة الجديد .

واما النقص في ميزان المدفوعات في البلاد المنتجة المواد الاولية فقد عادله التنقيص من احتياط القيَم الاجنبية ، وهبوط قيمة النقود في هذه البلاد ، واهمها : الارجنتين ، البرازيل ، الاكوادور ، ليتوانية ، بولونية ، رومانية ، يوغوسلافية . وبما قامت به زيلندة الجديدة من اتخاذ اسلوب جديد في مراقبات اعمال الصرف . على انه لم ينقص الاحتياط الذهبي في اكثر هذه البلاد .

واما محصول الذهب العالمي ، بصرف النظر عن محصول اتحاد الجمهوريات

السوفياتية الاشتراكية ، فقد زاد ايضاً في السنة ١٩٣٨ بمعدل ٧,٧ ٪ نسبةً الى محصول السنة السابقة . ويذكر المؤلفون من الحوادث المهمة ، في ما خصّ توزيع الذهب في العالم ، ان الولايات المتحدة زادت احتياطها الذهبي « المنظور » زيادة عظيمة ، وان الاحتياط « غير المنظور » اصيب ببعض الاضطراب .

في السنة ١٩٣٨ زادت المخزونات الذهبية في الولايات المتحدة ١٧٥١ مليوناً من الدولارات ، اي بزيادة ٦٥٠ مليوناً من الدولارات عن محصول العالم العادي. وهذه المخزونات مثلت في آخر سنة ١٩٣٨ ، ٥٨ ٪ من احتياط الذهب « المنظور » في العالم .

اما في انكلترة فان المتلكات الذهبية الخاصة بالتساوي تناقصت حتى النصف في الستة الأشهر المنتهية في ٣٠ ايلول ١٩٣٨ . وقد نقصت كذلك نقصاً مهماً في آخر ربع من السنة المذكورة . واما في فرنسة وهولاندة فقد زادت كمية التثبيت الذهبي زيادة عظيمة مدة السنة ١٩٣٨ : وتقدّر زيادة المخزون الذهبي « غير المنظور » في فرنسة مدة الستة الأشهر المنتهية بـ ٣٠ ايلول ١٩٣٨ ، بقيمة ١٥٠ مليون دولار . وقد رمت المانية الى زيادة احتياطها الذهبي المستور اذ وضعت يدها في اذار ١٩٣٨ على المتلكات الذهبية في النمسة من عامة وخاصة . ولكن هذه القيَم الاحتياطية نقصت نقصاً مهماً مدة التسعة الاشهر الاخيرة وقد صُدّر فيها من الذهب الصافي ما فاق قيمة المخزونات « غير المنظورة » في النمسة .

بقي القول عن اليابان وقد اشارت التقديرات غير المباشرة في المجلد الثاني ، الى ان المتلكات الذهبية الموقوفة على عمل التثبيت الياباني كانت كلّها قد انفقت في تموز ١٩٣٨ ، حتى اضطرت الحكومة الى وضع يدها على ٣٠٠ مليون ين ذهباً خاصة بنك اليابان . وهذه القيمة نفسها انفقت الحكومة القسم الكبير منها في ما بقي من السنة .

ويجيء الفصل الثاني فيدرس مرونة الاساليب النقدية المختلفة ، مما تحققه العالم في ازمة ايلول ١٩٣٨ . ويتوقع نهضةً اقتصادية عامة في البلدان المهمة ؛ خاتماً البحث في ما خصّ النقطة الاولى بقوله ان تأليف الاساليب النقدية الداخلي ، وطرق الاعتماد اظهرت كثيراً من المرونة في الازمة الدولية . وقد لُبّيت جميع

الطلبات النقدية دون اضطراب هبوطي يُذكر في اسعار العملة . وكذلك فان الارتفاع في اسعار الحبر لم يتجاوز الحدود المعقولة ولم تطل مدته حتى تناقص في الاشهر التالية . ولم نعرف انه حصل في شهر ايلول ١٩٣٨ افلاس مصرفي جدير بالذكر .

وفي ما خصّ توقع النهضة الاقتصادية فان آراء المؤلفين تختلف باختلاف البلدان . وهي تشير بالتفاؤل الى الولايات المتحدة ، وفرنسة ، وانكلترة وذلك بفضل العمل الدائم والمتوافق تقريباً الذي قامت به الدول الثلاث في سبيل تسهيل الانتشار النقدي وتنشيط المنتجات والاعمال التجارية .

وليس ما يشير الى مثل هذا التفاؤل في درس الانتشار النقدي في المانية واليابان . قال المؤلفون :

من الحقّ ان الانتشار النقدي لم ينتج ، في أيّ من البلدين ، تضخماً عاماً متتابعاً في الاسعار . ولكن يجب الانتباه الى النقص في بعض الاشارات الرسمية الى الاسعار ، والى تدنّي قيمة البضائع بالنسبة الى ثبات اسعارها . ومن الواضح ان تدني قيمة البضاعة يشير ضمنياً الى تضخم عظيم في سعرها . ويرى اصحاب الكتاب ان حالة المانية واليابان تشبه الحالة التي كان عليها اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية في السنوات ١٩٣٠—١٩٣٢ ، قبل العدول عن سياسة « التقنين » ، عندما لم يكن بامكان المستهلكين ان يستعملوا القيم المعطاة لهم الّا لشراء قسائم الدولة ، وبالتالي لزيادة الاحتياط الجاري غير المثمر .

ويختص الفصل الثالث بدرس اهمّ التغييرات الطارئة منذ الحرب الكبرى على النظام المصرفي في ٢٢ دولة . فنتحقّق تضاؤلاً عاماً في اهمية المصارف التجارية وغيرها من المصارف الخاصة ، وذلك في سبيل ازدهار مصارف التوفير ، ومؤسسات الاعتمادات العامة ؛ وتقدماً في نجاح شركات التأمين محققةً باسواق العملة ؛ وازدياداً في إقبال المؤسسات المصرفية على امتلاك القسائم التي تصدرها السلطات العامة ، او على تسليف هذه السلطات . ويُتحقّق هذا الحدث الاخير خاصة في المانية ، وايطالية ، واليابان ، تلك الدول التي نظّمت مصارفها في سبيل حاجات السلطة المتزايدة دائماً . اما في غير ما تقدم ذكره من الدول فلم تقم

السلطات بعد بطلب الكثير من الاموال الموفورة ، مما يسمح بتنظيم قروض عامة لا تُرهق الاقتصاديات بوطأتها ولا طريقة الاعتماد في الدولة .

وفي الفصل الاخير تحليل للحوالة واضطراباتها من حيث انها اداة للاعتماد ومادة في موجودات المصرف . ومن اهم مظاهر هذا التحليل النقص الشامل في استعمال الحوالات . واسبابه كثيرة منها مراقبة الصرفيّات ، والتطور المهمّ في تمويل الاعمال التجارية والصناعية ، واستقلال الصناعة المالي . . . ويشير المؤلفون الى ان هذا النقص في استخدام الحوالات اثر الأثر السيء في تكوين ممتلكات المصارف .

ومن يهتم الاطلاع على الارقام ، والاحصائيات ، والجداول ، وما تعلّق بكل بلد من الاحداث المالية والاقتصادية ، فاننا نشير عليهم بالرجوع الى المجلد الثاني وفيه معلومات وافرة عن ٤٤ دولةً .

MITCHELL B. CARROLL, La prévention de la double imposition et de l'évasion fiscale. In-8°, 59 pp. Prix : 1,50 fr. s.

توقّي ازدواج الضرائب وتهرب المال

بهذا العنوان أصدر السيد ميتشال كارول ، العضو الاميركي في لجنة المالية في جمعية الأمم ، كرّاساً أبان فيه جهود الخبراء الماليين العاملين تحت رقابة جمعية الامم منذ نحو عشرين سنة ، لتحرير العلاقات الاقتصادية والمالية الدُولية من قيود التضريب المُعرقلة .

ذلك أنهم أوجدوا اصطلاحات مثلى قد اعتُمد عليها في عقد نحو ستين اتفاقاً عاماً بين حكومات أُلفت بها ازدواج الضرائب ، وفي عقد اتفاقات خاصة اكثر عددًا تختص بحقوق الوراثة وسن الضرائب على مشاريع الاسفار البحرية ووكالات المشاريع الصناعية والتجارية .

ويُشير المؤلف ايضاً الى ما ستكون توجيهات اعمال اللجنة التي اتسعت دائرتها اثر مشاكل جديدة عامة طُرحت على درسها ، كمسألة المبادي الفنية لوضع الضرائب على اختلاف انواعها .

ولا يفوت القراء باطلاعهم على امثال هذا الكراس كم تجتهد اللجنة في ان

تأتي اعمالها مفيدة وعملية ؛ ولا عجب وهي لجنة تتألف من اختصاصيين لدُول عديدة كانت او لم تكن من اعضاء جمعية الامم .

J. TINBERGEN, **Vérification statistique des Théories des cycles économiques. Vol. I. Une méthode et son application au mouvement des investissements.** In-8°, 178 pp. Prix : 3,50 fr. s.

الامتحان الاحصائي لنظريّات الأطوار الاقتصادية : الجزء الاول

تنشر ادارة الدروس الاقتصادية في جمعية الامم كتاباً للاستاذ تِنبِرْگن بعنوان « الامتحان الاحصائي لنظريّات الاطوار الاقتصادية » ، ظهر الآن جزؤه الاول بعرض « طريقة وتطبيقها على حركة توظيفات الاموال » وهو كتاب يبدأ سلسلة محصورة من المنشورات تُتمّ الكتاب الذي نشرته الادارة نفسها ، سنة ١٩٣٧ ، للاستاذ غودفريد فون هابِرلِر (Von Haberler) بعنوان : « ازدهار وانحطاط » . في هذا الكتاب ، قام الاستاذ هابرلر ، وهو اليوم في جامعة هَرْڤَرْد ، بدرس النظريّات المتنوّعة المعروضة لشرح طبيعة الحَدَث المعروف عادةً بالطور الاقتصادي . فعمل على تعيين ما في هذه النظريات من نقاط مشتركة ، واظهار ما تختلف فيه احداها عن الاخرى ، مع الاجتهاد بتعيين اسباب هذه الاختلافات . فكان عمله ختاماً لمرحلته الاولى من الابحاث والتنقيبات عن طبيعة الطور الاقتصادي واسبابه . اما المرحلة الثانية فتحاول مقابلة هذه النظريات المدروسة بالاحداث التي يدوّنها التاريخ ، وعرضها على الامتحان الاحصائي ، ان كانت تلك الاحداث من التي تلخّص بالارقام .

فكان من عمل الاستاذ تِنبِرْگن ، المنتمي الى مكتب الاحصائيات المركزي في هولندة ، ان عرض في هذا الكتاب شبه مقدّمة لهذا العمل في المرحلة الثانية ، ترمي الى اجراء الامتحان الاحصائي لتلك الفرضيات القائمة اساساً لمختلف النظريات في الاطوار الاقتصادية . وغاية المؤلف المهمّة ان يعرض الطريقة التي يقول بتطبيقها في الامتحان المذكور ، ويعطي على هذا التطبيق بعض الامثلة يتناول بها ثلاثة من الاحداث الاقتصادية هي : الاضطرابات الظاهرة في توظيفات رؤوس الاموال . والمبالغ المرصودة لبناء منازل السكن . وتوظيفات

الاموال في موادّ السكك الحديدية .

ولا يخفى ان نتائج البحث في هـذه الشؤون التطبيقية مفيدة جدًّا لدرس الاطوار الاقتصادية ، كما قال ، في مقدمة الكتاب ، مدير دائرة الابحاث الاقتصادية في جمعية الأمم . على انها لا تمثل ، في كتاب الاستاذ تِنبِرْگن ، الّا دورًا ثنويًا . اذ ان غايته عرض طريقته في التحليل الاحصائي واثارة المناظرات بشأنها مما قد يفيد القائمين بهذه الابحاث .

هذا وقد عُرضت المخطوطة ، قبـل طبعها ، على عدد من الاختصاصيين بالعلوم الاحصائية في مختلف البلدان ليضعوا آراءهم في هذا الشأن . كما ان عددًا من الاقتصاديين اجتمعوا في جلسـتين لمناقشة المؤلف في طريقته . واذًا فـان لكتاب الاستاذ تِنبِرْگن قيمة علمية جديرة باهتمام العلماء والاقتصاديين ورجال الاعمال الاقتصادية .

Annuaire Statistique de la Société des Nations 1938-1939. In-8°, 330 pp. Prix : 10 fr. s.

الدليل الاحصائي لجمعة الأمم ١٩٣٨-١٩٣٩

هي سنة جديدة لهذا الدليل النفيس التي تنشره سكرتيرية جمعية الامم ، فتجمع فيه اولًا لمحة اجمالية على الاحداث المهمّة بشأن سكّان البلدان ، والأمور الاقتصادية ، والمالية ، والاجتماعية . واكثر المعلومات الاحصائية فيه تصـل الى آخر السنة ١٩٣٨ ، ومنها ما يتناول الثلث الاول من السنة ١٩٣٩ الحالية . واهمّ الجداول الاحصائية التي برزت فيها الارقـام على اسهل ما يمكن من ترتيب ، فتمكن المقابلة بين مختلف البلدان ، تختص بالموضوعات الآتية :

الموازين والمكاييل ، النقود واسعارها ، مساحة البلاد وسكّانها ، حالة السكّان وتطوراتها : الزواج الولادة ، الامراض والوفيات . . . ؛ البطالة ومظاهر العمل واجور العمّال ، المحصول والاستهلاك : الحيوان ، المصايد ، المحصولات الزراعية على اختلاف انواعها ، المحصولات الصناعية والمعدنية ؛ النقليات والتجارة وميزان التبادل التجاري ؛ الاحصائيات النقدية ، والاسعار ، والشؤون المالية العامة .

ومما امتازت به هذه الطبعة الجديدة معلومات لم يسبق نشرهـا وتحسينات

جمّة في جداول الاحصائيات السابقة . منها ما تعلق بالسكان . وذلك ان الجدول المفصّل سكان العالم نسبة الى اعمارهم ، تناول هذه السنة اقساماً تذكر عدد السكان ممن ينحط عمرهم عن الخامسة عشرة ، ومَن هم بين الخامسة عشرة والرابعة والستين ، ومَن تجاوزوا هذه السنّ . وفوق ذلك معلومات عن سنّ المرأة الوَلود اي بين ١٥ و٤٩ . وأضيف الى الارقام الدالة على عدد السكان ، ارقام تخمينية تفيد في درس ميول الشعوب الحالية . وهناك معلومات يستند اليها من يبحثون في تطوّر اسباب الوفيات تظهر من جدولين جديدين في عدد قابلي الحياة ، وعدد الوفيات وفقاً لسني العمر . وفي جدول الولادات حسب عمر الأم معلومات جديدة كذلك .

وفي الاحصائيات الاجتماعية تمييز ، في ما خصّ العمل الصناعي ، بين الشؤون المتعلقة بالعمّال انفسهم ، وما يتعلق بساعات العمل .

وأضيف جدول جديد ، في باب المحصولات والمنتجات ، من شأنه ان يفصّل محصول اللحم في العالم على طريقة اوفى مما كانت عليه في الجداول الماضية ، ولا يخفى اهمية هذا المحصول في المواد الغذائية . وكذلك في هذا الباب جداول جديدة لمنتجات البترول والبترول ومتفرّعاتها ، والمنتجات الثنوية من الكاوتشوك والصوف . . . وأُعيد النظر في جدول صيد الحيتان الكبرى من نوع البال . وتُوسّع في الجدول الخاص بانتاج الأزوت واستهلاكه .

ومما يتحققه المطالع التوسّع في الشروح والتعاليق التفسيرية وقد جُعل بعضها على شكل جداول كما في باب المنتجات الصناعية ، وتقلّب الأسعار . ومما تفيده هذه الشروح ان المطالع لا يملّ امام الارقام المتراكمة في الجداول ، فتسهّل له بفضل الشروح والتعاليق معلومات ثمينة ، فضلاً عمّا في تلك التعاليق من اصلاحات وتحفظات لا بدّ منها للوصول الى الحقيقة العلمية السليمة . من ذلك ما علّقه الكتاب بشأن سكان العالم فقال ، بعد ان قدّر عدد هؤلاء السكان ، في الوقت الحاضر ، بليارين ومائة مليون من البشر : « ان هذا العدد لا يمكن ان يؤخذ على اطلاقه . فان في الكثير من الحالات لا نعرف عدد السكان بالضبط . والكثير مما نسميه « احصاء » او « تعديداً » او « تقديراً » لا يعطينا بعض

الاحيان الّا ارقاماً تقريبية بل خيالية . ولا يخفى ان التدقيق في هـذه « الاحصائيات » يسير في بعض البلدان سيرًا مقبولًا وان بطيئاً . على انه كثيرًا ما يقود الى تضخيم العدد الاصلي كما حصل في الهند الهولندية مثلًا ، وفي البرازيل ، وفي سيام . وفي بعض البلاد يضطرب العدد اضطراباً غير معقول .

وهناك مشكل القياس الاساسي الذي يستند اليه علماء الاحصائيات في تخميناتهم فانه كثيرًا ما يختلف من منطقة الى اخرى ، فيختلف بالطبع تخمين السكّان . من ذلك ان تخمين سكان ايران انتقل ، من مدة قريبة ، من ٩ ملايين الى ١٥ مليوناً . وبعكس هذا انحطّ تخمين سكان البرازيل ٥ ملايين ، وسكان كولومبية ٦٠٠،٠٠٠ .

وما القول عن التناقض في الاحصاء الرسمي والتخمين السابق . وهـذه الجمهوريات السوفياتية انحطّ عدد سكانها حسب الاحصاء الاخير في هذه السنة ١٩٣٩ انحطاطاً مهماً بالنسبة الى نتائج التخمين السابقة . اما اتحاد دول افريقية الجنوبية فقد ظهرت زيادة مهمة في سكانها بعد احصاء ١٩٣٦ .

وقد نفتقر الى المعلومات الدقيقة عن شعب من الشعوب فنترك الرقم المذكور في ادلة السنوات المتتابعة ، كما هو الحال بشأن سكان الصين ، فاننا تركنا منذ السنين العديدة الرقم الاجمالي ٤٥٠ مليوناً .

اما سكان افريقية فلا نعرف عددهم بالضبط . وكل ما هناك من ارقام تظهر على الغالب نتيجة التخمين او التقدير الخيالي . ولاسيما في ما خصّ بلاد الحبش ، وليبيرية ، ومراكش الاسبانية ، وريو دي اورو ، فان الارقام تنتقل احياناً من الواحد الى ضعفه . واكثر الاحصائيات المزعومة دقيقةً التي تعرضها الحكومات لا تتناول الّا السكان البيض . اما الوطنيون ، وهم اكثر السكان ، فلا يعرف عددهم الّا بالتخمين .

وكذلك القول ، في ماخصّ الاضطراب العددي ، عن سكان اكثر بلاد اميركة الوسطى ، وبعض بلاد اميركة الجنوبية . وهـذه هايتي يتراوح تقدير سكانها بين المليونين والمليونين والنصف . وبوليفية بين مليونين ونصف وثلاثة ملايين . والاكوادور بين مليونين وثلاثة ملايين ونصف .

وكذلك في بعض انحاء آسية كبلاد الافغان (من ٧ الى ١٢ مليوناً) وبلاد العرب (من ٧ الى ١٠ ملايين) وايران (من ٩ الى ١٥ مليوناً) والعراق ونيبال ، وسورية ، ولبنان ، والهند الصينية ، وشرقي الاردن ، والصين . وبشأن الصين نقول ان الفرق بين التخمينات قد يبلغ مائة مليون .

اما في اوقيانية فلا نعرف عدد السكان الّا بطريقة غير مضبوطة ، ما عدا اوسترالية ، وزيلندة الجديدة . »

ويثل هذه الفوائد الدقيقة تأتي الشروح والتعاليق في جميع موضوعات الدليل .

ومما يجدر بالذكر جدول مهم يلخص نهضة النقليات الجوية فيذكر انه بين ١٩٣١—١٩٣٧ زاد عدد الكيلومترات المقطوعة جواً في مختلف انحاء العالم ٨٠ ٪

وفي آخر المجلد ستّ خرائط جغرافية مبنيّة على ادقّ التخطيطات وعلى معلومات جديرة بالثقة . يلي ذلك فهارس ابجدية تسهل الفائدة من الدليل .

La production mondiale et les prix 1938-1939. In-8°, 121 pp. Prix : 5 fr. s.

المحصول العالمي والاسعار في السنة ١٩٣٨—١٩٣٩

يبيّن هذا المجلد ان المحصول العالمي في السنة ١٩٣٨ هبط عمّا كان عليه في السنة ١٩٣٧ هبوطاً خفيفاً . وتفصيل ذلك ان مجمل المحصول الاساسي العالمي هبط ٢ ٪ ، بسبب النقص الظاهر في محصول الموادّ الاولية للصناعة ، وقد بلغ هذا النقص ١٠ ٪ بينما كان محصول الموادّ الغذائية يصعد قليلاً . اما محصول الموادّ المصنوعة كالفولاذ وورق الخشب وما اشبه فقد نقص ٩ ٪ وكذلك محصول الموادّ الرفيعة فقد هبط ٧ ٪ وبالتالي تحقّقنا هبوطاً محسوساً في مبلغ التجارة العالمية بلغ ٨ ٪ اي اكثر مما بلغه الهبوط في المحصول العالمي إجمالاً .

ويمكن ان يكون سبب هذا الهبوط الانحطاط الصناعي الذي ظهرت بوادره في الولايات المتحدة في النصف الثاني من السنة ١٩٣٧ ، فنالت نتائجه شيئاً فشيئاً عدداً من البلدان . على ان هذا النقص وصل الى اقصاه في منتصف السنة ١٩٣٨ فعاد النشاط الصناعي الى كثير من الدول ، وها اننا نرى المحصول يرمي

الى الازدياد في جميع البلاد المهنة. وقد فاقت فيها كميات المحاصيل ما كانت عليه سنة ١٩٣٧ . حتى يمكن القول ان انقلاب التطوّر الاقتصادي في الولايات المتحدة ، في منتصف سنة ١٩٣٨، يكوّن اول مثل لنجاح سياسة الحكومة في ما خصّ الاشغال العامّة وتسهيل دوران النقود .

وقد صحّ ما توقعه هذا الكتاب في طبعته السابقة من ان التطوّر الاميركي سيكون له تأثير عامّ يتناول سائر دول العالم . وهكذا كان فان الاضطرابات الاقتصادية التي حصلت في اميركة مدة السنة ١٩٣٨ ، وفي مطلع السنة ١٩٣٩ ، كان لها التأثير الاعظم في اتجاهات العالم الاقتصادية مدة الثانية عشر شهرًا الاخيرة . على انه بسبب العوامل المتشابكة توزّعت مظاهر التطوّر العالمي حتى اصبح من الصعب تفسيرها بالاوضاع الاقتصادية .

لهذا وضع الناشرون في اول الكتاب مقدّمة قصيرة يبيّنون فيها ما طرأ على العالم ، في السنوات الاخيرة ، من تغيّرات مهمة في تكوينه جعلت من الصعب القيام بتحليل اقتصادي صرف لتطوّر الاقتصاديات فيه . فان الطريقة الاقتصادية المتوحّدة تقريباً التي أقرّت في نحو السنة ١٩٢٠ لم يبقَ لها من وجود اليوم . ثم ان اضمحلال الوحدة النقدية المشتركة ، وانتشار السياسات التجارية الوطنية ، وكثرة الاجراءات المتخذة في بعض البلدان للتخفيف من مجرى الاطوار الاقتصادية ؛ كل ذلك كوّن عدة مجموعات من الدول المستقلّة تقريباً استقلالًا اقتصاديًا حتى انها اصبحت عرضة في داخلها لمجار اقتصادية قد تتخالف في اتجاهها كل المخالفة . وقد تعزّزت هذه النزعة مؤخرًا بانصراف الدول الى الاهتمام بالتسلّح . فنتج ان الاختبار الماضي لم يعد صالحًا للدلالة على اتجاهات الحالة الحاضرة . ومن المنتظر ان تظلّ هذه النزعات المتخالفة ما دام القلق السياسي موجودًا .

Aperçu général du commerce mondial 1938. In-8°, 91 pp.

لمحة عامة في التجارة العالمية السنة ١٩٣٨

يعرض هذا الكراس صورة عامة لحالة التجارة العالمية مدة سنة ١٩٣٨ . فيبدأ بتلخيص النتائج ، ثم يفصّل قيمة البضائع التجارية وكميتها في العالم اجمع

مدة السنوات ١٩٢٩-١٩٣٨ . بعد ذلك ينعدر الى تصنيف هذه البضائع وفقاً لأنواعها ويصنف كذلك الحركات التجارية حسب البلاد المتاجرة . وبعد ان يتوقف قليلاً لدى درس التجارة بالنسبة الى الجغرافية ، يخص فصلاً كاملاً بلاحظات في العلاقات بين الاسعار وكميات البضائع التجارية . ويلحق بهذه البحوث اربع جداول واسعة تمثل بالارقام موضوعات الكتاب .

Rapport du Comité de Coordination des questions économiques et financières figurant à l'ordre du jour de la XIX^e^ session ordinaire. Genève, 1938.

— de la XX^e^ session ordinaire. Genève, 1939.

Comité d'experts statisticiens, Rapport au conseil sur les travaux de la VII^e^ session. Genève, 1938.

Comité économique, Rapport au conseil sur les travaux de sa XLVIII^e^ session. Genève, 1938.

Remarques sur les perspectives actuelles de la politique commerciale. Genève, 1939.

Comité financier, Rapport au conseil sur les travaux de sa LXVI^e^ session. Genève, 1938.

Rapport sur le contrôle des changes. Genève, 1938.

هذه تقارير رفعتها اللجان الخاصة الى مركز الجمعية ، وكلها تمس الشؤون الاقتصادية .

***

BERNARD VERNIER, **Qédar, carnets d'un méhariste syrien.** In-12, 244 pp. Paris, Plon. 1938.

قيدار

كثرت في عصرنا اخبار الرحلات والاسفار في الشرق الادنى يرمي فيها اصحابها الى اطلاع الناس ممن لم يعرف هذه البلاد على ما رأوه او تخيلوه في سكانها ، ولاسيما نازلي الصحراء منهم . بيد ان هذا الكتاب يفوق القسم الاوفر من تلك المؤلفات بما فيه من دقة ملاحظة ، وحسن تصوير ، واصابة حكم ، يبدو في اسلوب رائق لذيذ يتذوقه المطالع مغتبطاً .

ب . م .

D. Giuseppe Barbera, Dizionario maltese-arabo-italiano con una grammatica comparata arabo-maltese. Vol. I. A-E. In 8°, XXV × 338 pp. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1939.

قاموس مالطي عربي ايطالي : الجزء الاول

انفق الاب بربيرا السنوات الطويلة يدرس اللغات الشرقية من حيث اشتقاقها وتطوّر مفرداتها بتطوّر البيئات والعصور ، وما تركه فيها تأثير اللغات الاجنبية او تأثير لهجاتها الخاصة بعضها في بعض فاقام مدّة في شرقي الاردن ، وطاف في انحاء البادية ، حتى استقرّ في بيروت منذ سنوات يتمّ ما بدأ به . وقد تقدّم له بحث في اللهجة البربرية لفت نظر العلماء . وها هو الآن ينشر القسم الاول من قاموس شامل يتضمّن اشتقاق الالفاظ المالطية من العربية ، بل من اللهجة العربية السورية ، ومقابلة بين قواعد اللغتين العربية والمالطية ، مع ترجمة هذه الالفاظ الى لغة المؤلف الايطالية .

وقبل مباشرة القاموس ، خصّ القسم الاول من هذا المجلّد ببحث في غراماطيق اللغة المالطية ، وما يقابل قواعده من قواعد العربية ، تناول فيه لمحة تاريخية على تطوّر تلك اللغة ، واستقرارها في القواعد الحاضرة ، عارضاً لهذه القواعد من لفظ حروف الابجدية ، وفيها الشمسية والقمرية ، كما في العربية ، الى احكام الاسماء والافعال والحروف جرياً على الاساليب العربية نفسها . بعد ذلك انتقل الى القاموس فقدّم عليه الابحاث التمهيدية في ميزاته وطرق الاستفادة منه . ثم تناول المفردات المالطية وما يقابلها في العربية والايطالية مع شرح تطوّرها اللغوي والتاريخي ، منتهياً في هذا المجلّد بالحرف E . فالى بعلى نفيس جزيل الفائدة للغويين عامّة ، وللغويي العرب خاصّة . ف . ا . ب .

Robert Brunschvig, La Versification arabe classique. Essai d'une méthode nouvelle. In-8°, 20 pp. Alger, Société Historique Algérienne.

علم العروض العربي المدرسي

يحاول الاستاذ برنشويغ تسهيل درس العروض العربي ، لا باختراع طريقة جديدة ، بل بالاستناد الى طريقة القدماء ، واختصار ما فيها من تشعّبات

وفرضيات ادّت الى نظرية الزحافات والعلل المزعجة . ثم انه يحاول ان يستبدل بالطريقة الكتابية طريقة سماعية تنزل المقاطع الصوتية منزلة الحروف .

P. Paul Sbath. Al-Fihris, catalogue de Manuscrits Arabes. I, Ouvrages des Auteurs antérieurs au XVII^e s. Le Caire, Imprimerie Al-Chark, 1938. Prix : 95 p. e.

فهرس مخطوطات عربية : الجزء الاول

كثيرًا ما اشرنا الى مخطوطات الاب بولس سباط التي يجتهد في جمعها وتبويبها منذ ٢٧ سنة . وقد نشر فهارسها في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٢٨ و١٩٣٤ . على انه كان يَطّلع في اثناء تفتيشاته على كثير من المخطوطات لم يمكنه الحصول عليها فكان يدوّن اسماءها ، واسماء مؤلفيها ، واصحابها . وظلّت هذه المعلومات مبعثرةً في اوراقه حتى خطر له ان يفيد ارباب الاختصاص بهذه الشؤون ، فجمعها كلّها ورتّبها في هذا الجزء الحاوي على وصف ما تقدّم القرن السابع عشر من هذه المخطوطات . واذا بها تبلغ ١٠٣١ مخطوطةً ، مرتبةً وفقاً لاسماء المؤلفين . وقد قدّم عليها لائحة باسماء اصحابها اليوم ، ومهنهم ، وطوائفهم ، ومحالّ اقامتهم . فأتى بفائدة جزيلة .

Paul du Véou, Chrétiens en péril au Moussadagh I In-12. Illustré. Paris, Baudinière, Collection *Méditerranée*. 1939. Prix : 15 fr.

نصارى موسى داغ عرضة للخطر !

ألّف هذا الكتاب على اثر بحوث خاصة قام بها المؤلف برفقة السيد غوترو عضو مجلس الشيوخ الفرنسوي ، وذلك بضعة اشهر قبل التخلي عن منطقة موسى داغ لتركية . وموسى داغ ، او جبل موسى ، جبل تسكن فيه جمهورية ارمنية صغيرة خرجت حيّة من عوادي الحرب الكبرى . وكان كثير من افرادها قد حاربوا تحت اللواء الفرنسوي ، فنال عدد كبير منهم وسام صليب الحرب ، كما نال بعضهم وسام جوقة الشرف . فكان للتخلي عن ارضهم عاطفة ألم صبغت تلك الحقبة المحزنة من تاريخهم . وقد شاء المؤلف ان يصف حياة هؤلاء الجبليين واخلاقهم ، وما اتصفوا به من ايمان مسيحي حيّ وتعلّق شديد بفرنسة . يتخلّل

ذلك نبرة عطف ، ومسحة جمال فني تجعل لكتابه لذّة خاصة . ولاسيما وقد فهم الشعب الذي احبّه ، فنجح في عرض قضيّته والدفاع عنها .

اما الآن وقد حفل العالم بالخطوب الخطيرة . فان قضية موسى داغ اصبحت من الاحداث الثنوية . بيد انه لا بأس من الاشارة اليها ، وثيقةً يستفيد منها مؤرّخ الغد

ر . ش .

آرائي ومشاعري

بقلم الآنسة فلك طرزي

١٥٦ ص . صغيرة — مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٩

« يدل هذا الكتاب على ظاهرة حسنة في ادبنا العربي الحاضر ، وتلك الظاهرة هي اهتمام الفتاة بالادب العربي . » هذا ما قاله خليل مردم بك في مقدمة الكتاب . بيدَ ان مجالي هذا الاهتمام لا تتجاوز لطف الاسلوب ، ونعومة التعبير . ولا شك ان اللطف والنعومة من طبع الآنسة ، لأن الانثى ، ان يكن دليلاً على شخصية الرجل ، فهو بالاولى دالٌّ على شخصية المرأة . وما رأينا بهذا اللطف وهذه النعومة يفرقان في المشاكل الاجتماعية ، او يضيعان في الصرخات « الوطنية » ، او يتحمّسان في المشاحنات السياسية ؟ لتطالب الآنسة ما شاءت بتثقيف الفتاة ، ولتعمل ما في وسعها لتحرير المرأة . اما ان ترمي الى انزال نفسها منزلة الرجل — والرجل السياسي السوري — فتنظر الى جيرانها بعينيه ، وتسمع لاصواتهم باذنيه ، وتشعر نحوهم بشعوره ، وتسخّر ادبها في سبيل التعبير عن كل هذا فهو ما نربأ بها ان تتصوّره ولو لمحةً خاطرة . الّا اذا شاءت ان تعكس الطبيعة فتنزل الرجل منزلتها الناعمة اللطيفة

ف . ا . ب .

مقاييس الكفاءة للاستقلال

تأليف الدكتور ولتر هولز رتشر

١٦٢ ص . متوسطة — المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٨

نشر الدكتور ولتر هولز رتشر ، استاذ العلوم السياسية في جامعة بيروت الاميركية ، هذه الرسالة باللغة الانكليزية سنة ١٩٣٤ . ثم طلب اليه بعض

الاصدقاء ان ينشر لها ترجمةً عربية ليزداد انتشارها وتعمّ فائدتها . وها هي ظاهرة في سلسلة العلوم الاجتماعية من منشورات كلية العلوم والآداب في الجامعة المذكورة . وقد اشتغل بنقلها الاستاذ فؤاد مفرّج ثم الاستاذ شاكر نصّار . على ان هذه الطبعة العربية لم تستفد من الاحداث التاريخية الواقعة بعد نشرها بالانكليزية ، منذ السنة ١٩٣٤ ، انما اكتفت بنقل النصّ الاصلي دون تنقيح . وهو ما اشار اليه المؤلّف في المقدمة العربية ، معتقدًا ان اهمية المشاكل التي تعالجها هذه الرسالة والنتائج التي ادّى اليها بحثه هذا لم تتغير بل ما تزال محافظةً على جدّتها . وقد تناولت « المقاييس » فصولًا خمسة اكتنفتها مقدّمة وخاتمة وتوزّعت كما يلي : المقاييس في العراق ، المقاييس في جزر الفيليبين ، مقاييس الكفاءة في الهند ، مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة ، مقاييس الدخول في عصبة الأمم .

ولا يخفى ان في كفاءات الشعوب للاستقلال مؤهّلات روحية لا تقع تحت مقياس مهما يكن رفيعاً ومهما يبلغ نظر القائس من البعد والصواب . كما ان للشعوب احياناً نزوات وطوارئ تهزأ بالمقاييس .

تاريخ لبنان

التمهيدي المصوّر

بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني

٦٤ ص. متوسطة — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٩ — الثمن: ٣٥ غرشاً لبنانياً

تقدّم لنا في مشرق السنة الفائتة ذكر الجزء الثالث من هذا التاريخ اللبناني ، وقد دعاه صاحباه « الموجز » ونشراه وفقاً لاتفاق عقداه مع وزارة التربية الوطنية اللبنانية قرّرت به تدريس هذا التاريخ في المدارس الحكومية واعتماده في الامتحانات الرسمية . وها ان المؤلفين يصدران اليوم الجزء الاول بعنوان « التمهيدي المصوّر » دلالةً على ما رميا اليه من تسهيل اساليب الدرس التاريخي على صغار التلامذة بالصور الواضحة المثلة اهم حوادث بلادنا منذ عهد الكهوف الى توقيع المعاهدة اللبنانية - الفرنسية . فكانت الصور معالم بارزة يقفز بينها

التلميذ طروباً ، تسدّد خطاه يد المعلّم الضابطة وترعاه عينه الساهرة ، فلا يخشى الزلل . اما اللحمة بين الصور فتلك الشروح التي ارادها المؤلّفان موجزةً بسيطة تلذّ التلميذ ولا تتعبه ، ويسهل على المعلّم التوسّع فيها والزيادة عليها . وقد مُثّلت بالحرف الكبير وضبطت بالشكل الكامل . فغدا الكتاب ، الى كونه تذكاراً وطنياً متقناً ، كتابَ قراءةٍ عربية جزيل الفائدة .

رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

جمع الاب انطون صالحاني

الجزء الثالث : ١٦٠ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٩ –
الثمن : ٥٠ غرشاً لبنانياً

لا يخفى ما كان من اقبال المعاهد التدريسية ، على الجزئين السابقين من مختارات الاغاني اللذين نشرهما الاب صالحاني ، لأول مرة ، من نحو نصف قرن وتعدّدت طبعاتهما منذئذٍ . وقد كانت الحاجة تزداد الى جزء ثالث اسهل من الأولين اسلوباً ، واقصر حكايات . فاقبل الاب صالحاني ، على رغم الثالثة والتسعين ، يطالع من جديد الـ ٢١ جزءاً من الكتاب الكبير ، ويختار منها هذه القصص القصيرة البسيطة فيبوّبها ويشرحها ، جاعلاً منها مدرجة الى الجزئين السابقين ، مستحقاً شكر الغُيَر على اللغة وآدابها جميعاً .